



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

إبلاغية الخطاب القرآني من منظور لسانيات النص - دراسة في سورة البقرة

رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية
تخصص: علوم اللسان العربي

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد خان

إعداد الطالب:

عبد الكريم حاقة

لجنة المناقشة

| الرقم | اللقب و الاسم | الرتبة | الجامعة | الصفة |
|-------|-------------------|------------------|---------|--------------|
| 01 | عمار ربيع | أستاذ محاضر - أ. | بسكرة | رئيسا |
| 02 | محمد خان | أستاذ | بسكرة | مشرفا ومقررا |
| 03 | فوزية دندوقة | أستاذ محاضر - أ. | بسكرة | عضوا مناقشا |
| 04 | بوبكر حسيبي | أستاذ | ورقلة | عضوا مناقشا |
| 05 | عبد المجيد عيساني | أستاذ | ورقلة | عضوا مناقشا |
| 06 | عادل محلو | أستاذ محاضر - أ. | الوادي | عضوا مناقشا |

العام الجامعي: 1437/1436هـ - 2015/2016م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

﴿ هود : 88 ﴾

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع :

إلى روح والدي الكريمين ، اللهم ارحمهما كما ربياني صغيرا .

إلى زوجتي التي وقفت معي واثرتني وشدت علمي يدي وكانت نعم العون في

متوار الحياة كلها .

إلى أوالدي فلذات الكبر وعمرات الفؤاد :

الأمين ، بشري ، ميمونة ، أنفال ، مروى

اللهم بارك فيهم واهدهم وأصلح بالهم .

إلى كل من يحمل قلما في خدمة القراء الكريم .

شكر وتقدير

الشكر أولاً لله عز وجل ، فالحمد لله على توفيقه ، والصلاة والسلام على محمد نبيه ، الذي بلغ رسالة ربه ، وأدى الأمانة ، ونصح للأمة .

ثم الشكر لفضيلة الأستاذ الكبير : أستاذنا الدكتور محمد خان الذي تفضل مشكوراً بقبول الإشراف على هذا البحث ، كما تفضل من قبل بالإشراف على مذكرة الماجستير ، فله علي أيادي بيضاء أعد منها ولا أعددها .

ثم الشكر لكل من ساعدني في بحثي ومد لي يد العون من قريب أو بعيد وخاصة نزوجتي وأولادي الذين لم يدخروا جهداً في مساعدتي فجزى الله الجميع أفضل الجزاء .

مقدمة

مقدمة :

القرآن الكريم رسالة دينية ، تحمل تعاليم الله وأحكامه ، أنزله الله تعالى على رسوله الكريم ، بلسان عربي مبين . ومنذ نزوله تدفق عطاؤه العلمي على قرائح العلماء ، الذين نهضوا لدراسته وخدمته ، واجتهدوا في فهمه وتفسيره ، وإدراك أسرارهِ ، فتنوعت دراساتهم ، فمنهم من توجه إلى العناية بفهم أحكامه وشرائعه ، ومنهم من اقتصر على البحث في لغته وبلاغته ، فظهرت مصنفات كثيرة في كلا الجانبين.

وفي عصرنا الراهن ظهرت دراسات لغوية حديثة ، اصطبغت بصبغة عربية تارة ، وفي أحيان كثيرة اكتست صبغة غربية ، فكأنها تنزع إلى العالمية ، شأنها شأن العلوم عموماً ، فكان من بين الدارسين العرب من حاول مقارنة النص القرآني الكريم بآلياتها وأدواتها ، لأنه نصٌ لغوي يتكون من هذه المادة اللغوية التي يتداولها الناس في مخاطباتهم ، غير أنه يختلف عنها من جهة المصدر ، فهو ليس خطاباً بشرياً ، بل خطاب إلهي مقدس ، وإن كان ذلك لا يمنع من مقارنته مقارنة لغوية ، ولكن ينبغي أن يُتناول على أساس تنزيهه ووقديته.

وكما ساع للعلماء من قبلُ دراسة لغة القرآن صوتياً وصرفياً وتركيبياً ودلالياً وبلاغياً ، كذلك يسوغ أن يقارب هذا النص الكريم في عصرنا بأدوات وآليات علوم اللسان الحديثة ، وقد اهتم به الباحثون ، وأخرجوا للناس بحوثاً كثيرة ، درسوا فيها لغة القرآن الكريم ، وتناولوه من جوانب عدة لسانية وأسلوبية وتداولية ؛ ونحن في بحثنا هذا نريد مقارنة النص الكريم بآليات لسانيات النص.

ولسانيات النص ، أو علم اللغة النصي ، كما اصطلح عليه بعضهم ، هو علم حديث النشأة ، لم يمض على ظهوره إلا زمن قليل ، ما ينيف عن خمسين عاما تقريبا ، وهو علم يعتمد تحليل النصوص في سياقاتها التواصلية والاجتماعية.

وتعد الدراسات التي تناولت الوظيفة الإبلاغية في القرآن الكريم بمقاربة لسانية نصية قليلة جدا ، مقارنة بالكم الهائل للدراسات السابقة التي تناولت النص الكريم بالدرس والتحليل من جوانب ومناح أخرى ، لذلك ساغ لنا أن ننجز بحثا نركز فيه على الوظيفة الإبلاغية في الخطاب القرآني الكريم.

والوظيفة الإبلاغية لم تحظ بدراسات وافية في لغتنا العربية ، وخاصة من منظور لسانيات النص ، لذلك اخترنا أن يكون عنوان رسالتنا : « إبلاغية الخطاب القرآني من منظور لسانيات النص دراسة في سورة البقرة » .

إن هذا البحث مقارنة لغوية لنص مقدس ، ونهدف إلى الإجابة عن جملة من الأسئلة هي :

ما مفهوم الإبلاغية في القرآن الكريم وعند اللسانيين المحدثين ؟ وما علاقة الإبلاغية بالتواصل اللغوي ؟ وما الوظائف اللغوية والمعايير النصية التي تتلاءم مع القرآن الكريم ؟ وما العناصر الأساسية التي تركز عليها الوظيفة الإبلاغية ؟ وما مدى استجابة النص الكريم لآليات المقاربة اللسانية النصية ؟

وقد حاولنا فيه الإجابة عن هذه الأسئلة ، منتهجين منهاجا وصفيا تحليليا ، لأنه لا بد من وصف الظواهر اللغوية النصية وتحليلها ، بغية الوصول إلى ما تحمله من قيم إبلاغية ،

وقد اخترنا خوض غمار البحث في هذا المجال ، رغم ما فيه من صعوبة ومجازفة ، كما اخترنا سورة البقرة مدونة للبحث ، لأنها أطول سور القرآن الكريم ، وتتوعت فيها الأساليب والقصص والأحكام والأغراض ، كما تتضح فيها معالم لسانيات النص أكثر من غيرها.

وقد تناول الباحثون دراسة الإبلاغية ، ولكن بآليات أخرى ، ومن بين الدراسات السابقة دراسة سمير أبي حمدان الموسومة بـ : "الإبلاغية في البلاغة العربية " ، وقد درس الباحث الإبلاغية من منظور علم الأسلوب ، وربطها بجوانب التعبير والانفعال والشحنات النفسية في النص ، كما فعل الأمر نفسه عفيف دمشقية في كتابه المعنون بـ : " الانفعالية والإبلاغية في بعض أقاصيص ميخائيل نعيمة " ، وكذلك في مقال له بعنوان : الإبلاغية فرع من الألسنية ينتمي إلى علم أساليب اللغة ، وهذان الكاتبان ربطا الإبلاغية بعلم الأسلوب ، وعليه فإن دراستنا للإبلاغية تختلف عما قارياه في بحثهما ، ومن الدراسات السابقة هناك دراسة أعدها الطالب نادر عبد الرحمن محمد الوقفي بعنوان : " الإبلاغية في الشاهد البلاغي " ، وهي رسالة دكتوراه في الأدب العربي مقدمة لجامعة مؤتة ، وصاحب هذه الدراسة قصرها على البلاغة ، فدرس التشبيه والكناية والاستعارة والمجاز المرسل والالتفات والبيدع ، وكذلك هناك مقال للدكتورة عايدة حوشي بعنوان : " الإبلاغية بين اللسانيات والسيماء " ، وهو منشور في مجلة التبيين العدد 24 لسنة 2005م ، وقد أرادت الباحثة في هذا المقال التأكيد على أن نظرية الإبلاغ تمثل محورا مشتركا في العلمين : علم اللسان وعلم السيمياء.

إن هذه الدراسة التي نقدمها رسالة علمية مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم اللسان ، تختلف في مضمونها عن كل الدراسات المذكورة من قبل ، فهي تقارب الوظيفة الإبلالية للخطاب القرآني من منظور لسانيات النص ، بآليات تختلف عن آليات الدراسات السابقة ، وقد تم البحث وفق خطة تستهل بمقدمة وتمهيد وأربعة فصول تليها خاتمة وفهرس المراجع وفهرس المحتويات.

التمهيد : أوضحت فيه أن القرآن الكريم رسالة ذات بعد ديني وبعد لغوي ، وبحثت في الجانب الديني مقاصد القرآن الكريم في سورة البقرة ، ويكون ذلك تمهيدا موضوعيا للدراسة. وفي الجانب اللغوي تناولت علاقة القرآن الكريم باللغة العربية ، وكيف كان هذا الكتاب سببا في بروز مختلف العلوم اللغوية ، وما الأثر الذي أحدثه نزول القرآن الكريم بلغة العرب.

الفصل الأول : تناولت فيه الجوانب النظرية للبحث ، ودرست الوظائف اللغوية التي اقترحها اللسانيون المعاصرون أمثال جاكبسون وبوهلر وهاليداي وبرينكر ، وبحثت مدى ملاءمتها لنص القرآن الكريم ، كما درست الوظيفة الإبلالية ، ومفهوم الإبلالغ في القرآن الكريم ، وعند الباحثين اللسانيين المعاصرين ، كما تناولت البحوث النظرية المتعلقة بالنص والخطاب ، واستعرضت المعايير النصية التي اقترحها دي بوغراندي ودريسليير ، ونظرت في مدى تطابقها مع نص القرآن الكريم ، كما تناولت في هذا الفصل أيضا موضوع التواصل اللغوي ، ودرست علاقته بالوظيفة الإبلالية.

الفصل الثاني : خصصته لدراسة العناصر الأساسية للوظيفة الإبلالية ، ودرست فيه أصناف المتلقين في سورة البقرة ، كما تناولت فيه أنواع الخطاب وقسمته إلى خطاب إبلالي

مباشر ، وخطاب إبلاغي غير مباشر ، كما تعرضت لعنصر السياق ، وهو عنصر مهم من عناصر الوظيفة الإبلاغية ، الذي درست فيه مختلف السياقات ، لغوية وغير لغوية.

الفصل الثالث : تناولت فيه بحث عنصري الإقناع والتأثير ، وهما من العناصر الأساسية للوظيفة الإبلاغية ، وقد ارتأيت أن أخصهما بفصل مستقل لسببين :

- السبب الأول يتعلق بمنهجية البحث التي تتطلب تقارب حجم الفصول ، فلو أنني وضعت هذين العنصرين مع بقية العناصر لتضخم حجم هذا الفصل تضخما واضحا ، لذلك جعلتهما معا في فصل مستقل.

- السبب الثاني يتعلق بالموضوع ، فرغم أن هذين العنصرين من عناصر الإبلاغ الأساسية ، إلا أنهما لأهميتهما في عملية الإبلاغ يكادان يكونان كالموضوع المستقل نسبيا ، فالإبلاغ يرتكز عليهما في الوصول إلى عقل المتلقي ووجدانه ، وهذه هي غاية الإبلاغ ، أن يقنع المرسل المتلقي ويؤثر فيه لدفعه إلى اعتقاد أو عمل أو سلوك ، أو صده عن اعتقاد أو عمل أو سلوك ، لذلك كانت آلياتهما منطقية عقلية وعاطفية وجدانية.

الفصل الرابع : تناولت فيه عنصرين هامين من عناصر الدراسة النصية ، وهما الاتساق والانسجام ، وهذان العنصران هما المعياران المهمان اللذان بهما تتحقق نصية أي ملفوظ ، ومن دونهما يفقد الملفوظ صفة النصية ، وقد بحثت في هذا الفصل أدوات التماسك النصي ومدى تطابقها مع نص القرآن الكريم.

وكان البحث في كل مراحله يبحث عن القيم الإبلافية التي يريد النص الكريم إبلاغها إلى المتلقي ، على اعتبار أن النص الكريم كله موجه للإبلاغ ، وكل آياته تحمل قيما إبلاغية يراد تبليغها للمتلقين.

الخاتمة : أبرزت فيها النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث .

وقد اعتمدت في هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع ، التي يتركز عليها صرحه ، ويعلو بناؤه ، وقد اشتملت على كتب قديمة ، وأخرى حديثة معاصرة ، مثل أمهات التفسير ، ومؤلفات المعاصرين المهتمين بلسانيات النص ، كما استفاد البحث من مقالات كثيرة نشرت في مجلات عربية متخصصة.

وقد اعترض سبيل هذا البحث جملة من الصعوبات تغلبت عليها بمعونة الله الكريم ، نحمده على جليل صنعه ، ومن بين تلك الصعوبات قلة المراجع العربية التي تناولت بحث الإبلاغية على التصور الذي وضعته لها ، لذلك حاولت أن نرسم لدراستي خطأ أستفيد فيه من مراجع تبدو بعيدة عنها في الظاهر ، لكنها تقترب من الحقل الذي قاربت فيه هذا الموضوع وهو الاستعمال اللغوي ، وما يتعلق بالدراسات الوظيفية والتداولية والسياقية ، كما أن ظروف الحياة تمثل جزءا من الصعوبات ، تلك التي أمضى الباحث فيها حقبة زمنية لا بأس بها ، تمتلكه الحيرة ، حيرة الباحث.

وفي ختام هذه المقدمة لا يسعني بعد شكر الله تعالى إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدم لي المساعدة ويد العون ، وخاصة أستاذنا الجليل الأستاذ الدكتور محمد خان الذي تفضل مشكورا بالإشراف على بحثي هذا ، وقد كان له فضل سابق في تدريسي في

الماجستير، والإشراف على رسالتي ، فإليه يعود الفضل بعد الله تعالى ، في تلك وفي هذه ،
وإنني لأشعر بالفخر والاعتزاز ، أن جعلني الله تعالى ثمرا من غرسه ، وأسأل المولى
سبحانه أن يزيد في حسناته ، وأن يبارك في عمره ، وأن ينفع به طوائف المتعلمين ، فقد
كان ولم يزل أستاذا مرشدا ، ووالدا نصوحا ، حفظه الله تعالى ، وأحسن إليه ، وجزاه عنا
خير الجزاء.

وأخيرا أسأل الله العلي القدير أن يضع لهذا البحث الرضا والقبول ، ونحمده أولا وآخرا
على توفيقه ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : 88] ، والحمد لله رب
العالمين.

وادي سوف في :

يوم الإثنين 26 من شهر المحرم الحرام سنة 1437هـ

الذي يوافق 9 من نوفمبر الأغر سنة 2015م

تمهيد:

القرآن الكريم رسالة دينية

ولغوية

تمهيد:

القرآن الكريم رسالة ، وهذه الرسالة تحمل أحكام الله وتشريعاته ، فهو رسالة دينية ، لأنه يبين دين الله للناس ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : 44] ، وهو كذلك رسالة لغوية ، لأنه نزل بلغة من لغات البشر ، وهي اللغة العربية ، ليتسنى للناس قراءته وفهمه ، قال تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء : 190] ، والدارسون للقرآن الكريم منهم من توجه إلى دراسة الجانب الديني ، فبينوا ما فيه من عقيدة وعبادات ومعاملات وأخلاق وقصص ، ومنهم من اعتنى بالناحية اللغوية ، فدرس أصواته ونحوه وصرفه وبلاغته¹ ، وسوف نتناول بشكل موجز هذين الجانبين من القرآن الكريم ، غير أننا سنركز في الجانب الأول على مقاصد القرآن الكريم في سورة البقرة ، لتكون . بين يدي بحثنا . دراسة موضوعية لهذه السورة الكريمة ، إذ هي السورة التي سيتناولها البحث بعد ذلك بالدراسة.

1 . القرآن الكريم رسالة دينية :

قبل أن نتناول مقاصد القرآن في سورة البقرة ، يجدر بنا أولاً أن نعرّف بالسورة الكريمة.

1 . 1 . التعريف بسورة البقرة :

¹ . ألف العلماء مصنفات كثيرة في دراسة القرآن الكريم من الجوانب الدينية وكذلك اللغوية ، وقد استوعب معجم مصنفات القرآن معظم ما ألف من الدراسات القرآنية إلى وقت تأليفه ، ولهذا يعد مرجعاً لمن أراد معرفة ما كتب عن القرآن الكريم ، ينظر : إسحق ، علي شواخ . معجم مصنفات القرآن الكريم ، دار الرفاعي ، ط : 1 ، السعودية ، 1403 هـ . 1983 م .

سورة البقرة أطول سورة في القرآن الكريم ، عدد آياتها : 286 آية ، وهو الرقم المثبت في المصاحف المطبوعة¹ ، ونقل أبو عمرو الخلف في عد آياتها ، إذ هي بالعد المدني والمكي والشامي 285 آية ، وبالكوفي 286 آية ، وبالبصري 287 آية² ، حيث تمثل ما نسبته (1 / 12) تقريبا من مجموع القرآن الكريم ، يقول الصابوني : « سورة البقرة جميعها مدنية بلا خلاف »³ ، وروى الواحدي في أسباب النزول عن عكرمة قال : « أول سورة أنزلت بالمدينة سورة البقرة »⁴ . وهي تعنى بجانب التشريع شأنها كشأن سائر السور المدنية ، التي تعالج النظم والقوانين التشريعية التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم الاجتماعية⁵ . وقد « سميت السورة الكريمة « سورة البقرة » إحياء لذكرى تلك المعجزة الباهرة ، التي ظهرت في زمن موسى الكليم ، حيث قتل شخص من بني إسرائيل ولم يعرفوا قاتله ، فعرضوا الأمر على موسى لعله يعرف القاتل ، فأوحى الله تعالى إليه أن يأمرهم بذبح بقرة ، وأن يضربوا الميت بجزء منها فيحيا بإذن الله ويخبرهم عن القاتل ، وتكون برهانا على قدرة الله جل وعلا

¹ . ينظر : المصحف الشريف ، برواية ورش عن نافع ، دار القرآن الكريم ، ط : 1 ، لبنان ، 1432 هـ . 1433 هـ .

2011 م ، وقد كتب في الصفحة 2 : وآياتها خمس وثمانون ومئتان ، بينما في آخرها نجد الرقم : 286 .

² . ينظر : الداني ، أبو عمرو . البيان في عدّ آي القرآن ، تح : غانم قدوري الحمد ، مركز المخطوطات والتراث والوثائق ،

ط : 1 ، الكويت ، 1414 هـ . 1994 م ، ص : 140 .

³ . الصابوني ، محمد علي . صفوة التفاسير ، دار الضياء وقصر الكتاب ، ط : 5 ، الجزائر ، 1411 هـ . 1990 م ،

ج : 1 ، ص : 29 .

⁴ . الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد . أسباب نزول القرآن ، تح : كمال بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ،

لبنان ، 1411 هـ . 1991 م ، ص : 24 .

⁵ . ينظر : الصابوني ، محمد علي . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

في إحياء الخلق بعد الموت «¹.

أما عن فضلها ، فقد وردت أحاديث عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ومنها² :

1 . عن أبي هريرة . رضي الله عنه . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : (لا

تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة) رواه مسلم برقم (1821 . نووي).

2 . عن أبي أمامة الباهلي . رضي الله عنه . قال : سمعت رسول الله . صلى الله عليه وسلم .

يقول : (اقرءوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة) رواه مسلم برقم (1871 . نووي).

3 . عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (إن لكل شيء

سناما ، وسنام القرآن سورة البقرة ، وإن الشيطان إذا سمع سورة البقرة تقرأ خرج من

البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة) حسن : أخرجه الحاكم (1 / 561) ، والبيهقي في «الشعب» (2160) .

وتسمى « فسطاط القرآن » وذلك لعظمتها وبهائها وما تضمنت من الأحكام والمواعظ³.

¹ . الصابوني ، محمد علي . صفوة التفاسير ، ج : 1 ، ص : 30 .

² . ينظر : البيضاوي ، محمد بن علي الصومعي . التبيان في ما صح من فضائل سور القرآن ، دار الاستقامة ، ط : 1 ، مصر ، 1430 هـ . 2010 م ، ص : 15 وما بعدها .

³ . ينظر : ابن عطية ، عبد الحق بن غالب . المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز ، تح : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، لبنان ، 1422 هـ . 2001 م ، ج : 1 ، ص : 81 .

1. 2. مقاصد القرآن الكريم في سورة البقرة :

نستطيع أن نجمل هذه المقاصد في خمسة مقاصد كلية¹ ، وهي : مقصد العقيدة ، ومقصد العبادات ، ومقصد المعاملات ، ومقصد الأخلاق ، ومقصد القصص.

1. 2. 1. مقصد العقيدة :

موضوع العقيدة لا تكاد تخلو منه سورة من سور القرآن الكريم ، يقول الأستاذ محمد قطب : « إن العقيدة هي الموضوع الرئيسي في القرآن كله ، مكّيه ومدنيّه على السواء »² ، ذلك لأن العقيدة هي الأساس ، والبناء السليم لا يقوم إلا على أساس مستقيم ، لذلك كان تركيز القرآن على هذا الأمر شديدا خصوصا في قسمه المكي ، أما قسمه المدني . وسورة البقرة منه . فكان التركيز فيه على جانب العبادات والمعاملات وتنظيم الدولة والعلاقات الخارجية ، ولكن هذا لا يعني إهمال العقيدة ، فحتى في القرآن المدني هناك معالجات كثيرة لمباحثها ، ففي سورة البقرة نجد الحديث عن الإيمان في أولها ووسطها وآخرها ، كما يتخلل الحديث عن الإيمان السورة كلها ، وقد جاء التركيز على الإيمان ، في سورة تعالج أمور

¹ . تعرض الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه « النبأ العظيم » إلى مقاصد السورة الكريمة وذلك تحت عنوان : نظم عقد المعاني في سورة البقرة، حيث قسم السورة إلى مقدمة وخاتمة وأربعة مقاصد . ينظر: دراز ، محمد عبد الله . النبأ العظيم ، دار القلم ، ط : 2 ، الكويت ، 1390 هـ . 1970 م ، ص : 163 ؛ كما تناول التفسير الوسيط موضوع مقاصد السورة في مقدمة تفسيرها حيث أوصلها إلى سبعة وعشرين مقصدا ، ينظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، تأليف لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، مطبعة المصحف الشريف ، ط : 3 ، مصر ، 1413 هـ . 1992 م ، ص : 24 وما بعدها .

² قطب ، محمد . دراسات قرآنية ، دار الشروق ، ط : 3 ، لبنان ، 1402 هـ . 1982 م ، ص : 21.

التشريع لأن « قاعدة حياة المؤمن الرئيسية هي إيمانه بالغيب ، الذي يتم عن طريقه إيمانه بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین والقدر خيره وشره ، ويتقرر عن طريقه خط سلوكه كله في الحياة الدنيا »¹ ، فالإيمان « هو الركن الأساسي الذي بدأ الإسلام به في تكوين شخصية المسلم ، لأنه هو الجذر الأول في بناء شخصيته ، وهو العنصر الأساسي المحرك لعواطفه والموجه لإرادته »².

1 . 2 . 2 . مقصد العبادات :

تناولت السورة موضوع العبادات ، الصلاة والزكاة ، والطهارة ، والقبلة ، وتحدثت عن الصيام ، وتكلمت عن الدعاء والذكر ، وتحدثت عن الاعتكاف ، كما تكلمت عن الحج والعمرة ، ومثلما تحدثت عن الزكاة تحدثت عن الإنفاق بشكله العام.

1 . 2 . 3 . مقصد المعاملات :

لقد كان المسلمون عند نزول هذه السورة المباركة في بدء تكوين الدولة ، وكان المجتمع في أمس الحاجة إلي النظم والقوانين لتنظيم حياة المسلمين وضبط علاقاتهم بغيرهم ، ونستطيع أن نقسم هذا المقصد إلي عدة مقاصد ثانوية هي :

1 . 3 . 2 . 1 . الأسرة :

شغل الحديث عن الأسرة حيزا كبيرا من السورة ، فجاء الحديث عن النكاح والطلاق

¹ . قطب ، محمد . دراسات قرآنية ، ص : 280 .

² . الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة . العقيدة الإسلامية وأسسها ، دار القلم ، ط : 2 ، سورية ، 1399 هـ . 1979 م ،

ص : 31 .

والرضاع والإيلاء وهو أن يقسم الرجل أن لا يقرب زوجته ، فأمله الله أربعة أشهر فإما أن يعود إليها وإما أن يطلقها ، ولإيلاء أحكام ذكرها الفقهاء في كتبهم¹ ، وجاء الحديث عن عدة الطلاق وعدة الوفاة ، والحديث عن متعة المطلقة ، وعن الوصية.

1 . 2 . 3 . 2 . المحرمات :

حيث تناولت السورة بيان بعض الأمور التي حرمت على المسلمين ، ومنها بعض الأطعمة كالميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله تعالى ، وجاء التمهيد لتحريم الخمر ، وتحريم إتيان النساء في مدة الحيض ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وتحريم الربا ، وتحريم المطلقة ثلاثا حتى تتكح زوجا غير الأول ، وتحريم السحر ، وتحريم سفك الدماء.

1 . 3 . 3 . 2 . القضاء والأموال والعلاقات الخارجية :

لقد تحدثت السورة الكريمة عن القضاء في الحديث عن القصاص ، وتناولت موضوع تنظيم المال في آية الدين ، كما تناولت موضوع الأموال في آيات الإنفاق ، أما موضوع العلاقات الخارجية فيتمثل في الحديث عن الجهاد ، وقد شغل حيزا كبيرا من السورة الكريمة.

1 . 4 . 2 . 1 . مقصد الأخلاق:

للأخلاق أهمية كبيرة في الإسلام ، وقد امتدح الله تعالى نبيه الكريم فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ

¹. ينظر : الزحيلي ، وهبة . الفقه الإسلامي وأدلته ، دار الفكر ، ط : 2 ، سورية ، 1405 هـ . 1985 م ، ج : 7 ، ص :

535 وما بعدها ، وينظر أيضا : البركتي ، محمد عميم الإحسان المجددي . التعريفات الفقهية ، دار الكتب العلمية ، ط :

1 ، لبنان ، 1424 هـ . 2003 م ، ص : 40 وعبد المنعم ، محمود عبد الرحمن . معجم المصطلحات والتعريفات

الفقهية ، دار الفضيحة ، (دط) ، (دت) ، ج : 1 ، ص : 343.

حُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿ [القلم : 4] ، يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : « لقد حدد رسول الإسلام الغاية الأولى من بعثته ، والمنهاج المبين في دعوته بقوله : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » فكان الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحياة ، وبذل صاحبها جهدا كبيرا في مد شعاعها وجمع الناس حولها ، لا تنتشد أكثر من تدعيم فضائلهم...»¹.

وسورة البقرة كأكثر سور القرآن ، قد شغلت الأخلاق حيزا كبيرا منها ، ففيها حديث متكرر عن التقوى ، وجاء ذكر الصبر في أكثر من موضع ، كما تناولت السورة موضوع الأمانة والتوبة والشكر والخشية والإخلاص والرغبة والإحسان ، وكما ورد الأمر بالأخلاق الكريمة كذلك جاء النهي عن الأخلاق السيئة ، ومن ذلك النهي عن الفساد ونقض الميثاق وقطيعة الأرحام ، والنهي عن الاعتداء ، والنهي عن المنّ والأذى ، وهكذا نرى مدى اهتمام الإسلام بالأخلاق ، حتى في السور التي تعنى بالتشريع ، لأن مدار الأمر على الأخلاق.

1. 2. 1 . مقصد القصص :

للقصص في القرآن الكريم أهداف عظيمة ، وحكم بالغة ، وقد حدد القرآن الكريم بعض تلك الحكم في قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ نَحْنُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود : 120] ، وفي قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف : 111] ، فقد قص الله في القرآن قصصا للسابقين ، ووصفه بأنه الحق الذي لا يتطرق إليه شك ، وأخبرنا بأنه يقصه علينا لعلنا نتفكر ، وأنه

¹ . الغزالي ، محمد . خلق المسلم ، دار رحاب ، ط : 4 ، الجزائر ، 2001م ، ص : 7.

يقصه علينا للمواساة والتثبيت والصبر وقرر سبحانه أن في قصصهم عبرة لأولي الألباب¹ ، وكذلك الشأن فيما ورد من قصص في سورة البقرة ، وأطولها قصة بني إسرائيل ، وهي سرد طويل يتخلله بيان لكثير من ضلالات اليهود وعنادهم ، وفساد أخلاقهم ، واجترأهم على الله ورسله ، ومعاداتهم للحق ، وموالاتهم للباطل ، وتبتدئ من قوله تعالى : ﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [البقرة : 40] ، وتنتهي بقصة طالوت وجالوت ، التي انتصرت فيها القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، وقد تم سردها على مسامع المؤمنين ، لتكون لهم دروسا في تعاملهم مع رسول الله والوحي الذي أنزله الله إليه ، ويكون شعارهم دوما : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [البقرة : 285] ، ولا يكونوا كبني إسرائيل الذين قالوا : ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [البقرة : 93] . ومن قصص السورة أيضا قصة إبراهيم التي تهدف إلى بيان ديانته وديانة من بعده من الأنبياء وهي الإسلام ، وقد ذكر فيها الحوار الذي دار بين إبراهيم والنمرود² ، وطلب إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى . ومن قصص السورة أيضا قصة الرجل الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه ، وجعله للناس آية . ومنها قصة آدم وحواء مع عدوهما وعدو ذريتهما إبليس ، وهي : « قصة البشرية بأسرها ، قصة الحياة كاملة من بدايتها إلى نهايتها ، قصة الصراع بين الحق والباطل ، بين الهدى والضلال ،

¹ . ينظر : الخالدي ، صلاح عبد الفتاح . مع قصص السابقين في القرآن ، دار القلم ، ط : 5 ، سورية ، 1428 هـ .

2007 م ، ص : 11 .

² . سيتناول البحث هذا الحوار في مبحث لاحق .

ممثلة في آدم وذريته مع عدوهم اللدود إبليس اللعين»¹.

2 - القرآن الكريم رسالة لغوية :

القرآن الكريم كتاب دين ما في ذلك شك ، غير أنه كتاب لغة أيضا ، يقول الدكتور محمد خان : « والقرآن الكريم رسالة دينية ، وفي الوقت نفسه رسالة لغوية ،.. وصلته باللغة العربية صلة وثيقة لا تكاد تنفصم ، وقد قدر لها أن ترتبط به حضارتها وتاريخها »² ، ويقول الدكتور دراز : « فالقرآن كتاب أدبي وعقدي في نفس الوقت وبنفس الدرجة »³ ، ويقول صاحب كتاب المعجزة الخالدة : « والقرآن إلى جانب صفته الدينية فهو النموذج الأدبي الأمثل الذي عمل بفاعلية رائعة في نفوس الصحابة وتابعيهم في القرنين الأولين ... لقد قام القرآن بدور بليغ عميق في اللغة العربية وأدبها وبلاغتها وفي النقد الأدبي عند العرب »⁴. ويعد القرآن الكريم مفجر العلوم اللغوية في التراث العربي ، يقول الدكتور البدرابي زهران : « وقد كان القرآن الكريم صاحب الفضل في نشأة الدراسات اللغوية في

¹ . الصابوني ، محمد علي . قبس من نور القرآن الكريم . سورة البقرة وآل عمران ، مكتبة رحاب ، ط : 2 ، الجزائر ،

1407 هـ . 1987 م ، ص : 17 .

² . خان ، محمد . لغة القرآن الكريم ، دراسة تطبيقية للجملة في سورة البقرة ، دار الهدى ، ط : 1 ، الجزائر ، 2004 م ، ص : 8 .

³ . دراز ، محمد عبد الله . مدخل إلى القرآن الكريم ، تر: محمد عبد العظيم علي ، دار القلم ، (د ط) ، الكويت ، 1404 هـ . 1984 م ، ص : 15 .

⁴ . عتر ، حسن ضياء الدين . المعجزة الخالدة ، دار البشائر الإسلامية ، ط : 3 ، لبنان ، 1415 هـ . 1994 م ، ص :

التراث الإسلامي»¹ ، لقد كان الدافع الأول لظهور هذه العلوم اللغوية التي نعرفها اليوم ، هو العناية بالقرآن الكريم وخدمته والمحافظة عليه « ومعروف أن اللغة هي وعاء الوحي فلا بد من معرفتها لمعرفة لغة القرآن وفهم طرائقه التعبيرية التي توصل إلى المعاني المرادة منه ومعرفة خصائصه في استنباط الأحكام التي جاء بها عن المولى عز وجل»².

وهكذا كان القرآن الكريم سببا لظهور علوم اللغة العربية ، لأن هذه اللغة هي وعاء القرآن ، ولا يمكن بحال أن نفهم القرآن الكريم بعيدا عن معرفة اللغة العربية : أصواتها ، وصرفها ، ونحوها ، وبلاغتها ، وأساليبها . ولأجل فهم القرآن والمحافظة على سلامة لغته نشأت علوم لغوية كثيرة ، وألفت فيها مصنفات كثيرة ، يقول الدكتور محمد خان عن القرآن الكريم : « منه استمدت العلوم العربية أصولها ، ومن أجله وضعت قوانينها ... فقد كان القرآن ميدانا لمختلف العلوم والبحوث»³.

ومن أجل الوقوف على هذه الصلة الوثيقة بين القرآن واللغة العربية سنأتي على ذكر ثلاث نقاط نراها هامة لتوضيح هذا الأمر وهذه النقاط هي :

1 . لغة القرآن الكريم ومميزاتها.

2 . العلوم اللغوية التي نشأت بسبب القرآن الكريم.

¹ . زهران ، البدرابي . مقدمة في علوم اللغة ، دار العربي ، ط : 1 ، مصر ، 2008 م ، ص : 25.

² . هلال ، عبد الغفار حامد . القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث ، دار الفكر العربي ، ط : 2 ،

مصر ، 1425 هـ . 2004 م ، ص : 4.

³ . خان ، محمد . لغة القرآن الكريم ، ص : 8.

3. أثر القرآن في اللغة العربية.

2. 1. لغة القرآن الكريم ومميزاتها :

تحتل لغة القرآن الكريم مكانة سامقة ضمن منظومة النصوص الأدبية في اللغة العربية ،
لما حوته من سمو وعظمة ، سواء من ناحية أصواتها أو كلماتها أو تركيبها أو بيانها ،
تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن في وصف القرآن الكريم : « لا جدال في أنه كتاب العربية
الأكبر ، ومعجزتها البيانية الخالدة ، ومثلها العالي الذي يجب أن يتصل به كل عربي أراد
أن يكسب ذوقها ويدرك حسها ومزاجها ، ويستشف أسرارها في البيان وخصائصها في
التعبير والأداء »¹.

وتمتاز لغة القرآن الكريم عن سائر الكلام بجرس أصواتها ، وتخير ألفاظها ، وبديع
أسلوبها وعلو بلاغتها. فأما أصواتها ، فالقرآن الكريم يتفرد بنظامه الصوتي عن سائر كلام
العرب ، والسامع للقرآن الكريم يقر بهيبته وجلاله ، كما يقر بحلاوته وعذوبته ، ولقد قال
عنه الوليد بن المغيرة من قبل : « إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن
أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو وما يعلى عليه »² ، وهذه شهادة من عدو كافر ، يقر فيها بحلاوة
القرآن ، وأنه لا يكاد يلامس السمع حتى يخالط الأفتدة ، ويمزج دخيلة النفوس. يقول

¹ . بنت الشاطي ، عائشة عبد الرحمن . التفسير البياني للقرآن الكريم ، دار المعارف ، ط : 5 ، مصر ، (د ت) ، ج :

1 ، ص : 13 .

² . القرطبي ، محمد بن أحمد الأنصاري . الجامع لأحكام القرآن ، دار الشروق ، (د ط) ، لبنان ، (د ت) ، ج : 10 ،

ص : 6866 .

الزرقاني في كتابه (مناهل العرفان) : « ونريد بنظام القرآن الصوتي ، اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته ، ومداته وغماته ، واتصالاته وسكناته ، اتساقا عجيبا ، وائتلافا رائعا ، يسترعي الأسماع ، ويستهوئ النفوس ، بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور »¹.

إن كل من يستمع منصتا إلى القرآن الكريم يشعر « بأنه أمام لحن غريب وتوقيع عجيب ، يفوق في حسنه وجماله كل ما عرف عن توقيع الموسيقى وترنيم الشعر»² ، وقد كان هذا الجمال الصوتي والجرس الأسر أول ما صدم الأذن العربية أيام نزول القرآن ، فأحست فيه شيئا لم تألف مثله من قبل ، لقد كانت الأذن العربية تفرق في كلامها الفني الجميل بين لغتين لا تتأitian في قول مبدع معا ، فجاء القرآن فمزج بين تينك اللغتين دونما شذوذ أو تنافر يقول الدكتور دراز : « فلغة القرآن مادة صوتية تبعد عن طراوة لغة أهل الحضر ، وخشونة لغة أهل البادية ، وتجمع . في تناسق حكيم . بين رقة الأولى وجزالة الثانية ، وتحقق السحر المنشود ، بفضل هذا التوفيق الموسيقي البديع بينهما »³.

إن أصوات الكلمات في القرآن قد اختيرت بعناية فائقة ، وكل كلمة تتميز بجرسها الصوتي الخاص ، وإن اتفقت مع غيرها في تأدية المعنى ، فالقرآن يختار من الكلمات ما

¹ . الزرقاني ، محمد عبد العظيم . مناهل العرفان في علوم القرآن ، تح : هاني الحاج ، المكتبة التوفيقية ، (د ط) ،

مصر ، (د ت) ، ج : 2 ، ص : 304 .

² . المرجع نفسه ، ص : 305 .

³ . دراز ، محمد عبد الله . مدخل إلى القرآن الكريم ، ص : 115 .

كان منها أوقع جرسا في الأذن ، وأعمق أثرا في النفس ، فمن أسرار التعبير القرآني « ذلك الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص »¹ ، فكل كلمة في القرآن اختيرت لتؤدي وظيفة لا يمكن لغيرها أن تؤديها ، فلو عمدنا إلى تغيير كلمة بوضع أختها مكانها مما يناسبها في المعنى ، لنبت هذه الأخيرة عن السمع ، ولما أمكن أن توضع في المكان نفسه إلا الكلمة التي أختارها القرآن لذلك الموضع ، فكل كلمة لها جرس خاص لا يوجد في غيرها ، وهذا الجرس له إحياء بمعنى معين بحيث ندركه ونشعر بالفرق بينه وبين غيره ، وكمثال على ذلك ، صوت النار تسميه العرب (جلبة) وتسميه قريش (حسيباً) ويدرك السامع أن الجرس المنبثق من تكرار حرف السين ، وهو من حروف الصفير ، يشبه إلى حد كبير صفير النار ، ولهذا استعمل القرآن لفظة (حسيب) في قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيبًا ﴾ [الأنبياء : 102]².

إن هذا الجرس الصوتي في القرآن لا يقتصر على الكلمة المفردة بل يتعداها إلى نظم القرآن كله ، فالانساق والانسجام والتناسب ، ينسحب على النص الكريم كله ، فلا يوجد فيه حرف ، ولا كلمة ، ولا جملة نائية عن موضعها أو مضطربة فيه ، فبناء القرآن محكم في كل جانب من جوانبه ، يقول الدكتور صبحي الصالح : « وننتهي إلى إعجاز القرآن ، فإذا نحن نرد سحره إلى نسقه الذي يجمع بين مزايا النثر والشعر جميعا ، بموسيقاه الداخلية ،

¹ .قطب ، سيد . التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، ط : 3 ، لبنان ، 1403هـ . 1983م ، ص : 87.

² . ينظر : قلعة جي ، محمد رؤاس . لغة القرآن لغة العرب المختارة ، دار النفائس ، ط : 1 ، لبنان ، 1408هـ .

1988م ، ص : 70.

وفواصله المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل ، وتقفيته التي تغني عن القوافي «¹ ،
ونجد الجرس الصوتي في القرآن لا في البناء الكلي والفواصل والجمل والكلمات فحسب ، بل
نجده أيضا في هذه الحروف المقطعة التي بدئت بها بعض سور القرآن مثل قوله تعالى :
﴿ صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ [ص : 1] ، فالعرب لم يكن لهم عهد باستعمال هذه الحروف مثل
هذا الاستعمال ، حتى جاءهم القرآن بهذه الطريقة العجيبة ، فوقفوا منها موقف المتحير وهي
تقرع أسماعهم ، منبهة إلى أن هذا القرآن هو من جنس هذه الحروف ، ومركب مما ألفوا من
الأصوات ، ولكن هيهات أن يأتوا بمثله ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : 88] .

ومن مزايا هذه الحروف التي في أوائل السور أنها تشد الأسماع إلى القرآن حين يتلى ،
يقول صبحي الصالح : « وما تنفك هذه الحروف من عوامل الاستغراب ، ولا يخلق
الاستغراب إلا الاهتمام ، ولا يثير الاهتمام إلا التنبيه ، ولن ينبه الناس ويقرع أسماعهم
صوت أحلى وقعا من هذه الحروف المقطعة الأزلية التي همستها السماء في أذن
الأرض »² .

ومما تميزت به لغة القرآن الكريم ، مفرداته وألفاظه ، ذلك لأن هذه المفردات هي
مفردات اللغة العربية ، والناس وقت نزول القرآن كانوا يتكلمون بها ويتكلمون بأمثالها ، ومع

¹ . الصالح ، صبحي . مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ، ط : 6 ، لبنان ، 1972 ، ص : 345 .

² . المرجع نفسه ، ص : 246 .

هذا فاختيار القرآن لها أكسبها ميزة خاصة ، جعلت من وضعها داخل التركيب القرآني مختلفا عن وضعها في الاستعمال اللغوي خارجه ، وبذلك صارت هذه الألفاظ القرآنية من وجوه الإعجاز القرآني. إن « القرآن الكريم ينتقي ألفاظه ، ويختار كلماته ، لما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها ، فيستخدم كل كلمة بدقة ، بحيث تؤدي معناها المراد في إحكام شديد »¹. لقد « صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فوق اللغة »². ولقد كان القرآن دقيقا في اختيار ألفاظه وكلماته ينتقيها انتقاء بديعا محكما ، فهذب بذلك اللغة وارتفع بها إلى أسمى المراتب ، فقد « صفى القرآن الكريم هذه اللغة ، فأشاع في الاستعمال أصفى ألفاظها جرسا ، وأدقها تعبيراً ، وأحلاها نغما ، وأورد كل لفظة في مكانها المناسب ببراعة فائقة ، والتزم الدقة في مراعاة دلالة الألفاظ »³ ؛ كيف لا وهو الكتاب المحكم الذي قال فيه منزله تبارك وتعالى : ﴿الرَّكِنُ أَبْجَدُ الْحِكْمِ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود : 1] ، يقول سيد قطب : « أحكمت آياته فجاءت قوية البناء ، دقيقة الدلالة ، كل كلمة فيها وكل عبارة مقصودة ، وكل معنى فيها وكل توجيه مطلوب ، وكل إيحاء وكل إشارة ذات هدف معلوم »⁴.

¹. لاشين ، عبد الفتاح . صفاء الكلمة ، دار المريخ ، (د ط) ، السعودية ، 1403 هـ . 1983 م ، ص : 62.

². الرافي ، مصطفى صادق . تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي ، ط : 2 ، لبنان ، 1394 هـ . 1974 م ، ج :

2 ، ص : 226.

³. لاشين ، عبد الفتاح . المرجع نفسه ، ص : 61.

⁴. قطب ، سيد . في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، ط : 5 ، لبنان ، 1286 هـ . 1967 م ، م : 4 ، ج :

12 ، ص : 23.

لقد جاء اختيار القرآن للألفاظ على نمط فريد ، فكان لألفاظه دور كبير في سموه فوق سائر أنماط التعبير الأخرى ، فالقرآن الكريم يتأنق في اختيار الألفاظ ، ويستخدم كلا حيث يؤدي معناه في دقة فائقة¹ ، إننا نرى الدقة الواضحة في التعبير القرآني ، والتحديد الكامل لمعنى اللفظ ، والإتيان به في خاص معناه ، ولو كان أحد اللفظين في مكان الآخر ، لأوقع السامع في حيرة وارتباك ، وأدخل عليه اللبس والخلط² ، والقرآن الكريم منزّه عن اللبس والخلط ، لا يتحير فيه قارئه ولا سامعه ، وليس فيه قلق في مكان ما ، ولا عيب في مفردة ما ، بل كله متماسك ومتناسق ، ويتحدث الدكتور صبحي الصالح عن الموسيقى الداخلية التي يتميز بها النص القرآني بحيث تتناغم آياته وكلماته وسوره في نغم واحد ، ويقرر أن « هذه الموسيقى الداخلية لتتبعث في القرآن الكريم حتى من اللفظة الواحدة في كل آية من آياته ، فتكاد تستقل . بجرسها ونغمها . بتصوير لوحة كاملة فيها اللون زاهيا أو شاحبا ، وفيها الظل شفيفا أو كثيفا »³.

وتمتاز المفردة القرآنية . كما ذكر بكري شيخ أمين . بميزات ثلاث رئيسة وهي :

. جمال وقعها في السمع .

. اتساقها الكامل في المعنى .

¹ . ينظر: المطعني ، عبد العظيم . خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، مكتبة وهبة ، ط : 1 ، مصر ، 1413هـ . 1992م ، ج : 1 ، ص : 245 .

² - لاشين ، عبد الفتاح . صفاء الكلمة ، ص : 120 .

³ - الصالح ، صبحي . مباحث في علوم القرآن ، ص : 334 .

. اتساع دلالاتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى¹.

ومرد ذلك إلى الجو الخاص الذي توضع فيه المفردة القرآنية ، وربما لا يعرف القارئ المعنى الدقيق الخاص للكلمة ، ولكن وجودها في سياقها يشعر بمعناها ، لأن القرآن حين يضع لفظة في موضع ، فذلك هو الموضع الصحيح الذي لا يمكن إبعادها عنه تقدما ولا تأخيرا ولا حذفها ، ولا يمكن أن توضع لفظة أخرى بدلا عنها « فالكلمة التي نزل بها القرآن في جملتها القرآنية وفي تعبيرها الرباني مستقرة في مواضعها ، ولا يمكن أن يحل غيرها محلها ، أو يستغنى عنها بمرادفها »².

ومن مميزات الألفاظ القرآنية ما بينها من انسجام ، فكل لفظة لها موقعها في السياق ، والسياق القرآني يخدم بعضه بعضا ، فالكلمات السابقة واللاحقة كلها تتساقق في نغم خاص يثير إعجابنا وإن لم ندرك كنهه ، وفي هذا يقول الراجعي : « ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها ، لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها في ما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض ، وبساند بعضها بعضا ، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف ، مساوقة لها في النظم الموسيقي »³. وقد تكون اللفظة مستقلة في نفسها ، ولكن التركيب القرآني يهيئ لها الموضع المناسب الذي لا تبدو فيه ثقيلة ولا مكروهة ، و« ربما تكون الحركة في الكلمة ثقيلة في نفسها لسبب ما ، فإذا

¹. أمين ، بكري شيخ . التعبير الفني في القرآن ، دار الشروق ، ط : 4 ، لبنان ، 1400 هـ . 1980 م ، ص : 181.

². لاشين ، عبد الفتاح ، صفاء الكلمة ، ص : 120.

³. الراجعي ، مصطفى صادق . تاريخ آداب العرب ، ج : 2 ، ص : 227.

استعملت في القرآن الكريم كان لها شأن عجيب حيث يمهّد لها ما قبلها من الأحرف والحركات طريقاً في اللسان ويكتنفها بضروب من النغم الموسيقي ، حتى تخرج عذبة رقيقة ، وتأتي متمكنة في موضعها ولا يشعر القارئ بثقلها ¹ .

ومن القضايا الهامة في مجال اللفظة القرآنية ، أنه لا يوجد ترادف في القرآن الكريم ، بل كل لفظة فيه موضوعة في معناها الخاص ، وقد دل القرآن بنصه على ملاحظة الفروق بين لفظة وأخرى ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌّ لَّمَ تُوْمِنُوْا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات : 14] ، ففرق بين لفظة الإيمان التي تعني الإيمان القلبي الذي يصدقه العمل ، وبين لفظة الإسلام التي تعني التصديق الظاهري بالجوارح واللسان . والشأن نفسه مع جميع الألفاظ التي تبدو في ظاهرها مترادفة ، إلا أن الاستعمال القرآني يضع كل واحدة في معناها الخاص الدقيق ، مثل : (الحمد والشكر) ، و(يشعرون ويعلمون) ، وغيرها . إن اختيار اللفظة القرآنية يتم بعناية فائقة بحيث لا يمكن لأي لفظة أخرى أن تحل محلها ، وهذا من تمام إحكام بناء هذا النص الكريم .

أما أسلوب القرآن وهو « طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه » ² ، فهو أسلوب مغاير لكل ما عرف الناس من أساليب ، بل هو فوق الأساليب ، إنه « كان وسيظل النموذج الذي لا يبارى في الأدب العربي ، فجمال أسلوبه محل إعجاب الجميع في كل العصور ، وإذا نظرنا نظرة مجردة إلى الصفات الأدبية التي ينطوي عليها نستطيع أن

¹ . الرافي ، مصطفى صادق . تاريخ آداب العرب ، ج : 2 ، ص : 227 .

² . الزرقاني ، محمد عبد العظيم . مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج : 2 ، ص : 299 .

نقول إنه يعتبر المثل الأعلى لما يمكن أن يسمى أدبا بوجه عام ¹ ، وبعد الأسلوب القرآني مظهرا من مظاهر الإعجاز ، وجانبا من جوانب التأثير ، فتأليفه وتركيبه بهر الفصحاء والبلغاء ، وشد إليه الأسماع ، وأصغى إليه الأفتدة « وفي القرآن مظهر غريب لإعجازه المستمر ... ذلك هو وجه تركيبه أو هو أسلوبه ، فإنه مبين بنفسه لكل ما عرف من أساليب البلغاء في ترتيب خطابهم وتنزيل كلامهم » ² ، إن القرآن بهذا الأسلوب العجيب أفحم الخصوم الألداء الذين كان همهم أن يجدوا فيه ثغرة أو مثلبا « ولولا هذا الأسلوب ما أفحم العرب ، لأنهم رأوا جنسا من الكلام غير ما تؤديه طباعهم » ³ ، هذا الأسلوب العجيب هو الذي شد إليه العرب ، وأعجزهم في أعظم ما يفخرون به ، ألا وهو صنعة البيان ، فقد جاءهم بلغة يعرفونها ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء : 195] ، ولم يخرج عما ألفوه في لغتهم ، فهو مركب من حروفها ومفرداتها وجملها وقواعدها ، ومع ذلك فهو معجز بأسلوبه الفذ ⁴ . إن القرآن الكريم « إنما ينفرد بأسلوبه لأنه ليس وضعا إنسانيا ألبتة ، ولو كان من وضع إنسان لجاء على طريقة تشبه أسلوبا من أساليب العرب أو من جاء بعدهم إلى هذا العهد » ⁵ ، ولكن القرآن منزل من عند الله ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

1 . دراز ، محمد عبد الله . مدخل إلى القرآن الكريم ، ص : 115 .

2 . الرافي ، مصطفى صادق . تاريخ آداب العرب ، ج : 2 ، ص : 201 .

3 . طبارة ، عفيف عبد الفتاح . روح الدين الإسلامي ، دار العلم للملايين ، ط : 25 ، لبنان ، 1985م ، ص : 31 .

4 . ينظر : أمين ، بكري شيخ . التعبير الفني في القرآن ، ص : 179 .

5 . الرافي ، مصطفى صادق . المرجع نفسه ، ص : 203 .

[النساء : 82] ، ولم يجد الخصوم في القرآن أي اختلاف ولو وجدوا لسارعوا إلى إظهاره لأنه كسب كبير لهم في هذه المعركة ؛ ولكنهم لم يجدوا فسكتوا خانعين صاغرين ، فقد بان لهم « أنه بديع النظم عجيب التأليف متناه البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه »¹. ومما يميز أسلوب القرآن اختلافه عما عرفه العرب في الشعر والنثر معا ، يقول الدكتور طه حسين : « إن القرآن ليس نثرا كما أنه ليس بشعر إنما هو قرآن ، ولا يمكن أن يسمى بغير هذا الاسم ، ليس شعرا وهذا واضح فهو لم يقيد بقيود الشعر ، وليس نثرا لأنه مقيد بقيود خاصة لا توجد في غيره »².

وكما يختلف عن الشعر والنثر ، فإنه كذلك يمتاز بالتنوع من غير أن يرى الناس فيه عيبا أو خلا ، فهو « يلين أو يشتد ، يهدأ أو يهيج ، ينساب انسيابا كالماء إذ يسقي الغراس ، أو يعصف عصفا كأنه صرصر عاتية تبهر الأنفاس »³. ، وكما يمتاز أسلوبه عن النثر والشعر ، فإنه يمتاز عن الكتب السماوية الأخرى ، يقول محمد عزة دروزة : « وقد جاء في نظمه وسوره وآياته ... أسلوبا رائعا متميزا في ذلك بخصوصيات جعلته فذا بالنسبة لأسلوب الكتب السماوية السابقة »⁴ ، بل جاء متميزا عن حديث رسول الله . صلى الله عليه

¹ . الباقلائي ، أبو بكر بن الطيب . إعجاز القرآن ، تح : أبو عبد الرحمن صلاح بن عويضة ، دار الكتب العلمية ، ط :

2 ، لبنان ، 1429 هـ . 2008 م ، ص :30.

² . حسين ، طه . حديث الشعر والنثر ، المجموعة الكاملة ، دار الكتاب اللبناني ، (د ط) ، لبنان ، 1983 م ، م :5 ، ص : 577.

³ . الصالح ، صبحي . مباحث في علوم القرآن ، ص : 340.

⁴ . دروزة ، محمد عزة . القرآن المجيد ، المكتبة العصرية ، (د ط) ، لبنان ، (د ت) ، ص : 13.

وسلم . رغم ما أوتي . عليه الصلاة والسلام . من الفصاحة والبلاغة وجوامع الكلم « فجميع عبارات الرسول وجمله يتميز عنها النص القرآني تميزا صارخا »¹.

ويذكر الشيخ الزرقاني جملة من الخصائص تميز بها أسلوب القرآن الكريم ومنها² :

1 . اتساق القرآن وانتلافه في حركاته وسكناته ، ومداته وغناته ، وسكناته ، اتساقا عجيبا .

2 . رصف حروفه وترتيب كلماته ترتيبا دونه كل ترتيب تعاطاه الناس في كلامهم .

3 . إرضاءه العامة والخاصة : فالعامة إذا قرأته أو قرئ عليهم أحسوا جلاله وذاقوا منه على

قدر استعدادهم ما يرضي عقولهم وعواطفهم ، وكذلك الخاصة .

4 . إرضاءه العقل والعاطفة ، فأسلوب القرآن يخاطب العقل والعاطفة معا .

5 . جودة سبكه وإحكام سرده ، فقد بلغ من ترابط أجزائه مبلغا لا يدانيه فيه كلام آخر ، مع

طول نفسه وتنوع مقاصده .

6 . براعته في تصريف القول وثروته في أفانين الكلام ، فهو يورد المعنى الواحد بألفاظ

وطرق مختلفة بمقدرة فائقة وخارقة .

هذا والقرآن الكريم لا يزال غضا طريا كما أنزل ، ولا يزال تأثيره مستمرا وإعجازه

متواصلا ، ولا يزال أسلوب القرآن يأخذ بالألباب ، ويستحوذ على الأفتدة ، ولم يظفر الوجود

بأسلوب بلغ الإعجاز إلا في القرآن الكريم³ .

¹ . دراز ، محمد عبد الله . مدخل إلى القرآن الكريم ، ص : 118 .

² . ينظر : الزرقاني ، محمد عبد العظيم . مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج : 2 ، ص : 304 وما بعدها .

³ . ينظر : أمين ، بكرى شيخ . التعبير الفني في القرآن ، ص : 180 .

أما بلاغة القرآن الكريم فقد حاز الذروة من البلاغة والفصاحة ، قال ابن القيم : « فقد أتى فيه بالعجب العجاب والقول الفصل اللباب والبلاغة التي تحير الأبواب وتغلق دونها الأبواب »¹. إن المتأمل في القرآن الكريم ، وهو عالم بلغة العرب وتصرفها في الكلام وتشويقها للمعاني ، يعلم علم اليقين أنه إزاء كلام عظيم مهيب ، قد جمع البلاغة بحذافيرها ، وبهذه البلاغة العالية ذلت له الرقاب ، وسجدت لهيبته الفصحاء ، وخضعت لسلطانه البلغاء ، فكل يقبس من ضيائه جذوة ، أو ينهل من مورده العذب ، ما يقيم به أود كلامه. وكل النفوس . مؤمنها وجاحدها . لا تستطيع أن تمتنع من التأثير بالقرآن الكريم وبلاغته الآسرة. لقد كانت بلاغة القرآن الكريم بلاغة معجزة ، تحدى العرب بها ، فما استطاعوا لها قياما ، ورضوا لأنفسهم بالعجز والاستكانة ، ولم يؤثر عن واحد من الناس يحترم نفسه أنه أقحمها في معارضة القرآن الذي « سجدت لهيبته الفصحاء ، وخضعت لسلطانه الخطباء ، ففقا عين الحاسد ، وأرغم أنف الشانئ ، ولم يدع للعرب معلقة إلا حطّها ، ولا شاردة إلا عقرها ، بأسلوبه العجيب ، ونظامه الغريب »² ، يقول ابن القيم : « وإنما يعرف فضل

القرآن من عرف كلام العرب ، فعرف علم اللغة ، وعلم البيان ، ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقاولاتها في مواطن افتخارها وأراجيزها وأسجاعها فعلم منها تلوين الخطاب ومدلوله وفنون البلاغة وضروب الفصاحة وأجناس التجنيس وبدائع البديع ومحاسن الحكم

¹ . ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الزرعي . الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، دار الكتب العلمية ، (د ط) ،

لبنان ، (د ت) ، ص : 7.

² . ياسين ، خليل . أضواء على متشابهات القرآن ، دار مكتبة الهلال ، (د ط) ، لبنان ، (د ت) ، ج : 1 ، ص : 5.

والأمثال¹»، فمن عرف هذا أدرك أن القرآن الكريم هو « أكبر مصدر عربي تنوعت فيه طرائق التعبير البلاغية² ، وما حواه القرآن الكريم من وجوه البلاغة وأنواعها لا يوجد في شعر العرب كله ولا خطبهم ، ولا في حكمهم ولا أمثالهم ، ولقد أحسوا منذ البدء أنهم أمام كلام عظيم محكم في نظمه وبلاغته وأنهم عاجزون عن معارضته » مع العلم بأنهم أفصح الفصحاء ، وأبلغ البلغاء ، وأشعر الشعراء ، وأخطب من كل متكلم بلسانهم بعدهم³ .

ومما يميز بلاغة القرآن الكريم أن الفصاحة والبلاغة استمرت في جميعه استمرارا لا توجد له فترة ولا انقطاع ، وذلك لا يقدر عليه أحد ، وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم ، لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحاءها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود ، ثم يعرض له الفترات الإنسانية فينقطع أطيّب الكلام ورونقه⁴ .

ومما يميز بلاغة القرآن الكريم أيضا أن أجناس الكلام مختلفة ومراتبها من حيث البيان متفاوتة ، فمن الكلام ما هو بليغ ورصين وجزل ، ومنه ما هو فصيح وواضح وسهل ، ومنه ما يتسم بالإطلاق والإرسال ، وغير ذلك من أوجه البلاغة في إطارها الشامل ، وشأن القرآن

¹ . ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الزرعي . الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ص : 5.

² . عتيق ، عبد العزيز . في تاريخ البلاغة العربية ، دار النهضة العربية ، (د ط) ، لبنان ، (د ت) ، ص : 14.

³ الباقلاني ، أبو بكر بن الطيب . التمهيد ، تح : الأب رتسو يوسف مكارثي ، المكتبة الشرقية ، (د ط) ، لبنان ، 1957م ، ص : 157.

⁴ . ينظر : الزركشي ، بدر الدين . البرهان في علوم القرآن ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، ط : 3 ، (د ب) ،

1400هـ . 1980م ، ج : 2 ، ص : 101 ، والسيوطي ، عبد الرحمن . الإتقان في علوم القرآن ، تح : محمد أبو الفضل

إبراهيم ، المكتبة العصرية ، (د ط) ، لبنان ، 1408هـ . 1988م ، ج : 4 ، ص : 9.

الكريم في هذه البلاغات أنه يجمع بين ضرورها وأقسامها جمعا يؤلف أوجها شتى من البلاغة والجزالة ثم الفصاحة المستبينة التي يتجلى فيها اليسر والوضوح ، ثم الإطلاق الذي يجاوز التقيد ، ثم الإيجاز الذي يضم فيوضا من المعاني عبر كلمات رصينة يشد بعضها بعضا ، وكل هذا قد اجتمع في القرآن الكريم ، ومثل هذا لا يجتمع في أي كلام غيره ، ولا يتيسر في أي بيان سواه¹.

قال الزركشي : « جمع القرآن بين صفتي الجزالة والعذوبة وهما كالمضادين لا يجتمعان غالبا في كلام البشر ، لأن الجزالة من الألفاظ لا توجد إلا بما يشوبها من القوة وبعض الوعورة ، والعذوبة منها ما يضادها من السلاسة والسهولة »². إن البشر مهما أوتوا من الفصاحة والبراعة ، فلا بد أن ينحازوا إلى إحدى الطبقتين ، فمن نحا المنحى الأول فهو يروم الألفاظ الفخمة التي تحدث الروعة في الأسماع ؛ ومن نحا المنحى الثاني فإنه يطلب من الكلام ما كان عذبا شهيا ، أما أن يوجد كلا المنحيين في كلام شاعر أو كاتب أو خطيب وفي مستوى واحد فهذا ما لا يستطيعه بشر.

هذه هي بلاغة القرآن في جلالها ورفعته ، وقد كانت سببا في تأثر العرب بالقرآن الكريم حتى صار الأدباء والكتاب والشعراء يحذون حذوها وينسجون على منوالها ، وهذا الذي جعل الشعراء والأدباء الذين أدركوا الإسلام ، وسمعوا الطبقة العالية من الكلام . كما قال ابن

¹ . ينظر : عبد العزيز ، أمير . دراسات في علوم القرآن ، دار الشهاب ، ط : 2 ، الجزائر ، 1408 هـ . 1988م ، ص :

² . الزركشي ، بدر الدين . البرهان في علوم القرآن ، ج : 2 ، ص : 107 .

خلدون . أرفع طبقة في البلاغة من شعراء الجاهلية¹ .

2 . 2 . العلوم اللغوية التي نشأت بسبب القرآن :

لقد قامت العلوم اللغوية في التراث العربي « في بدء أمرها في كنف القرآن الكريم ، ومقصدها الأول النص القرآني ، ثم عرجت على كلام العرب شعرا ونثرا للاستعانة به في فهم النص القرآني »² . ويمكن القول بأن العلوم اللغوية التي عرفها العرب من تفسير ونحو وصرف وبلاغة وصوتيات وغيرها ، إنما كان القرآن هو الدافع الأول إلى ظهورها ونشأتها ، وإلى هذا ذهب الدكتور عبده الراجحي في قوله : « ومن ثم نستطيع تفسير نشأة الحركة العقلية العربية كلها بأنها كانت نتيجة نزول القرآن الكريم ، فهي كلها من نحو وصرف وبلاغة وتفسير ... تسعى إلى هدف واحد هو فهم النص القرآني الكريم »³ .

فأما التفسير فاعتماده على اللغة لا يخفى على ذي بصيرة ، وترجع نشأته إلى عهد الرسول . صلى الله عليه وسلم . فقد كان الصحابة يرجعون إليه في تفسير ما غمض وتوضيح ما صعب عليهم فهمه وإدراكه⁴ ، وبعد النبي . صلى الله عليه وسلم . كان الناس يرجعون إلى أصحابه كابن عباس وابن مسعود وغيرهما . يقول آل ياسين : « ومنذ نزول

¹ . ينظر : ابن خلدون ، عبد الرحمن . المقدمة ، دار الفكر ، (د ط) ، لبنان ، 2007 م ، ص : 632 .

² . عكاشة ، محمود . علم اللغة مدخل نظري في اللغة العربية ، دار النشر للجامعات ، ط : 1 ، مصر ، 2006 م ،

ص : 111 .

³ . الراجحي ، عبده . دروس في المذاهب النحوية ، دار النهضة العلمية ، ط : 2 ، لبنان ، 1988 م ، ص : 10 .

⁴ . ينظر : العك ، خالد عبد الرحمن . أصول التفسير وقواعده ، دار النفائس ، ط : 2 ، لبنان ، 1406 هـ . 1986 م ،

ص : 32 .

القرآن بدأت عناية المسلمين به تفسيراً وجمعاً وضبطاً ودراسةً ، وإذا تجاوزنا ما كان يقوم به الرسول . صلى الله عليه وسلم . وصحابته من تفسير الآيات وتوضيح مراميها وتيسير معانيها للمسلمين ، يكون العمل المنسوب لابن عباس بجمع غريب القرآن وشرحه في كتاب (غريب القرآن) أول ما وضع في هذا المجال¹.

وإذا كان التفسير يعتمد على أسباب النزول وما روي عن النبي . صلى الله عليه وسلم . فهو يعتمد أيضاً على اللغة ، وقد شارك فيه اللغويون من خلال علمين هما : غريب القرآن ومعاني القرآن ، ومما ألف فيهما :

- 1 . غريب القرآن ، لأبان بن تغلب الجريري ، القارئ النحوي اللغوي (ت : 141 هـ) .
- 2 . غريب القرآن ، لمؤرج بن عمرو السدوسي ، البصري النحوي اللغوي (ت : 195 هـ) .
- 3 . معاني القرآن ، لمحمد بن الحسن الرؤاسي الكوفي المقرئ النحوي اللغوي (ت : 170 هـ) .
- 4 . معاني القرآن ، ليونس بن حبيب ، البصري النحوي (ت : 182 هـ)².

وأما النحو فيرى الدكتور شوقي ضيف أن بواعث وضعه مختلفة « منها الديني ومنها غير الديني ، أما البواعث الدينية فترجع إلى الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداءً فصيحاً سليماً إلى أبعد حدود السلامة والفصاحة ، وخاصة بعد أن أخذ اللحن

¹ . آل ياسين ، محمد حسين . الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، دار مكتبة الحياة ، ط : 1 ، لبنان ، 1400 هـ . 1980 م ، ص : 53 .

² . ينظر : الطيار ، مساعد بن سليمان بن ناصر . التفسير اللغوي للقرآن الكريم ، دار ابن الجوزي ، ط : 1 ، السعودية ، 1422 هـ . ص : 123 . 124 .

يشيع على الألسنة «¹. وخوف اللحن هذا يراه الكثير من الدارسين سببا لوضع النحو² ، ولكن الدكتور عبده الراجحي يرجع نشأة النحو إلى الخوف على النص الكريم من هذا اللحن من جهة ، وإلى الحرص على فهمه من جهة أخرى فيقول : « ولم يكن هذا العمل . يعني عمل أبي الأسود في ضبط القرآن بالنقط . يهدف إلى حفظ النص من اللحن فقط كما وقر في الأذهان ، وإنما كان يهدف إلى غاية أبعد في أصول الحياة الإسلامية. ذلك أن المسلمين عرفوا . بداية . أن عليهم أن يقرؤوا القرآن وأن « يفهموه » لأنه هو الذي ينظم حياتهم »³. وسواء كان القصد حفظ القرآن من اللحن ، أو الحرص على فهم نصوصه ، فإن القرآن في كلتا الحالتين هو الدافع إلى ظهور الدرس النحوي العربي.

وأما البلاغة العربية ، فقد كان أهم دافع لنشأتها البحث في إعجاز القرآن الكريم ، فقد أنزله الله تعالى بلسان العرب ، وتحداهم في أكثر من آية أن يأتوا بمثله فعجزوا ، فما هو سر إعجاز القرآن الكريم ؟ لقد ذهب المعتزلة ، وعلى رأسهم النظام ، إلى القول بالصرفة ، أي إن القرآن ليس معجزا بنفسه ، ولكن الله صرف العرب عن معارضته ، مع قدرتهم على ذلك ، وهذا المذهب باطل من وجوه كثيرة ليس هذا موضع ذكرها⁴ ، « أما اللغويون فقد اغترفوا من منبع النص القرآني ذاته ، فجعلوا يلفتون الأنظار إلى ظواهر أسلوبية فيه

¹. ضيف ، شوقي . المدارس النحوية ، دار المعارف ، ط : 8 ، مصر ، (د ت) ، ص : 11.

². ينظر : مكرم ، عبد العال سالم . القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، المكتبة الأزهرية للتراث ، (د ط) ، مصر ،

2006 م ، ص : 45.

³. الراجحي ، عبده . دروس في المذاهب النحوية ، ص : 10.

⁴. ينظر : بدوي ، أحمد أحمد . من بلاغة القرآن ، دار نهضة مصر ، (د ط) ، مصر ، 2005 م ، ص : 45.

يتخذونها مراقي إلى إثبات إعجازه»¹ ، ومن أوائل الذين ألفوا في البلاغة أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت : 209 هـ) ، فقد ألف كتابا سماه (مجاز القرآن) ، وهو لا يعني بالمجاز ما عرف بعد ذلك في الاصطلاح البلاغي ، ولكنه أطلق اللفظ وأراد به المعنى الواسع الذي عرف بالوضع اللغوي ، فكان معنى مجاز القرآن طريق الوصول إلى فهم المعاني القرآنية ، وقد اتسع معنى المجاز عنده فأصبح يشمل كل وسيلة معينة على فهم آي القرآن بدليل عده الكناية من هذا المجاز² . ثم ألف أبو محمد عبد الله بن قتيبة (ت : 276 هـ) كتابه (تأويل مشكل القرآن) ، وقد « درس ما في القرآن من مجاز واستعارة ، وقلب وحذف ، واختصار وتكرار كلام ، والزيادة فيه ، والكناية والتعريض ، ومخالفة ظاهر اللفظ معناه ... وعلى هذا النحو نجد ابن قتيبة قد طوف في هذا الكتاب بأفاق كثيرة من مباحث البيان ؛ وكانت أمثال هذه الكلمات رعوس موضوعات كبرى وضعها علماء البيان والبلاغة بين أيديهم حين اشتغلوا في هذا اللون من ألوان المعرفة»³ ، وهكذا نرى أن البدايات الأولى لعلم البلاغة كانت البحث في أسرار البيان المعجز لهذا الكتاب الكريم ، وقد استمر التأليف في هذا العلم حتى جاء عبد القاهر الجرجاني (ت : 471 هـ) بكتابه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) ، فأرسى دعائم هذا العلم ، وقد كان في بحثه البلاغي يسعى لإثبات إعجاز القرآن الكريم من

1 . حسان ، تمام . الأصول ، عالم الكتب ، (د ط) ، مصر ، 1420 هـ . 2000 م ، ص : 274 .

2 . ينظر : طبانه ، بدوي . البيان العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط : 2 ، مصر ، 1377 هـ . 1958 م ، ص : 17 .

.18 .

3 . المرجع نفسه ، ص : 27 .

خلال نظمه ، يقول الدكتور شوقي ضيف : « وواضح من ذلك كله أن عبد القاهر يرد إعجاز القرآن إلى خصائص في أسلوبه وراء جمال اللفظ وجمال المعنى ، أو بعبارة أخرى إلى خصائص في نظمه تترد في جميع آياته »¹ ؛ وهكذا نرى فضل القرآن الكريم في نشأة علوم البلاغة من بيان ومعان وبديع.

وأما علم الأصوات فيرتبط بالقرآن الكريم ، ذلك أن علماء العربية لم يعالجوا علم الأصوات بادئ الأمر كعلم قائم بذاته ، لكنهم . كما يرى الدكتور أحمد مختار عمر² . قد عالجوه في دراستهم لعلوم أخرى كالنحو والمعاجم والبلاغة والتجويد وكل هذه العلوم كانت نشأتها بسبب القرآن الكريم ، أما عن النحاة فيقول : « بالنسبة للنحاة ، خصصوا أبوابا في كتبهم النحوية لهذه الدراسة ... حيث اعتبروها تمهيدا أو مدخلا لدراسة ظاهرة الإدغام ، والحديث عن قواعد الإعلال والإبدال »³ . ولم يؤلف النحويون كتابا مستقلا في علم الأصوات حتى جاء أبو الفتح عثمان بن جني (ت : 392هـ) فألف كتابه « سر صناعة الإعراب » في موضوع الأصوات العربية خاصة⁴ . أما عن علماء المعاجم فيقول أحمد مختار عمر : « تناول أصحاب المعاجم بعض المشكلات الصوتية ، إما في مقدمات

¹ . ضيف ، شوقي . البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، ط : 9 ، مصر ، (د ت) ، ص : 166 . 167 .

² . ينظر : عمر ، أحمد مختار . البحث اللغوي عند العرب ، عالم الكتب ، ط : 6 ، مصر ، 1988 م ، ص : 93 وما

بعدها .

³ . المرجع نفسه ، ص : 93 .

⁴ . ينظر : الحمد ، غانم قدوري . أبحاث في علم التجويد ، دار عمار ، ط : 1 ، الأردن ، 1422 هـ . 2002 م ، ص :

معاجمهم ، أو في ثنايا المادة اللغوية المجموعة. ويبدو هذا الاهتمام بهذا النوع من الدراسة في المعاجم التي رتبت صوتيا واتبعت نظام التقلبات « كالعين » للخليل ، أو اتبعت نظام التقلبات فقط « كالجهرة » لابن دريد ¹. ويعرج على علماء البلاغة فيبرز دورهم في هذا العلم فيقول : « وأدلى المؤلفون في إعجاز القرآن وعلوم البلاغة بدلوهم مع الدلاء وزودونا بمعلومات صوتية ذات قيمة. ومعظم ما شغلهم من مباحث الأصوات يتعلق بتناثر الأصوات وتآلفها ². ولعل علماء التجويد أقرب الفئات إلى هذا العلم ، لأن علم التجويد علم صوتي يعنى بكيفية الأداء السليم لقراءة القرآن الكريم ، وقد نقل مشافهة عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وهكذا نقله من بعده إلى من بعدهم ، وظل ينقل مشافهة من قارئ إلى تلاميذه ، ولم يستقل بمصنفات خاصة عدا ما يذكر من مسائل في كتب القراءات « حتى جاء أبو مزاحم الخاقاني المتوفى سنة 325 هـ ، فوضع اللبنة الأولى في هذا الاتجاه ، حين نظم قصيدته في حسن أداء القرآن ³.

2 . 3 . أثر القرآن الكريم في اللغة العربية :

مما لا شك فيه ولا ارتياب أن نزول القرآن الكريم بلغة العرب قد أحدث أثرا هائلا في هذه اللغة كما كان له الأثر البالغ في نشأة علومها المختلفة ، ونستطيع أن نوجز أثر القرآن الكريم في اللغة العربية في هذه النقاط :

¹ . عمر ، أحمد مختار . البحث اللغوي عند العرب ، ص : 93 . 94.

² . المرجع نفسه ، ص : 96.

³ . الحمد ، غانم قدوري . أبحاث في علم التجويد ، ص : 12.

1 . تقوية اللغة العربية والرقى بها نحو الكمال : فالقرآن الكريم منح اللغة العربية قوة ورقيا ما كانت لتصل إليه لولاه ، وذلك بما وهبها من المعاني الفياضة ، والألفاظ المتطورة ، والتراكيب الجديدة ، والأساليب العالية الرفيعة ، وبما أحدثه من أغراض الكلام المتنوعة ، وتخليصه للغة من الشوائب ، وإبعاده كل ما لا يصلح للبقاء ، وما جدده فيها من صور بلاغية تفيض بالحيوية ، وتلويحه للخطاب بما لم يكن معهودا قبل نزوله ، وهو ما جعل لغته محط الأنظار ، وأصبح الاقتباس منها مناط العز والفخار .

2 . توحيد لهجات العرب في لغة أدبية : فقد كان القرآن الكريم هو العامل الكبير والأساس في توحيد لهجات العرب في لغة أدبية ، أصبحت هي اللغة الرسمية للناطقين بها ، رغم تباين لهجاتهم ، وتناهي ديارهم ، بل أضحت تلك اللغة لغة أساسية لكل المسلمين ، بها يتلون كتاب الله ويتفقهون في دينه .

3 . حفظ اللغة العربية من الضياع والاندثار : إن نزول القرآن باللغة العربية أخرجها من كونها مجرد وسيلة تخاطب بين مجموعة بشرية معينة ، إلى كونها لغة ضرورية لفهم أحكام القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وهذا ما حدا بالمسلمين إلى المحافظة على هذه اللغة ، وجعل غير العرب من المسلمين يتعلمونها ، ولأن الله قد تعهد بحفظ القرآن الكريم من عوادي الزمان وأيدي المتلاعبين ، فإن هذا الحفظ قد امتد ليشمل العربية التي حفظت بحفظ القرآن الكريم ، كما كان القرآن الكريم سببا في حفظ تراث العرب من شعر ونثر ، لأن الناس كانوا في حاجة إلى هذا التراث لفهم كتاب الله ، يقول أبو حاتم الرازي في كتابه « الزينة في الكلمات الإسلامية » : « ولولا ما بالناس من حاجة إلى معرفة لغة العرب والاستعانة

بالشعر على العلم بغريب القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين والأئمة الماضين لبطل الشعر وانقرض ذكر الشعراء ولغى الدهر على آثارهم ونسي الناس أيامهم»¹.

4. تحويل اللغة العربية إلى لغة عالمية : كانت اللغة العربية قبل نزول القرآن لغة قومية خاصة بقوم معينين ، وهم العرب الناطقين بها ، فلم تكن تبرح جزيرتهم إلا لتعود إليها ، فلما نزل بها القرآن وانتشر الإسلام بين أمم أخرى ، احتاجت هذه الأمم إلى معرفة اللغة التي تفهم بها القرآن وتعبد بها الله ، فكان حتما عليها أن تتعلم العربية ، وهذا ما حول العربية إلى لغة عالمية ، فتغلغت في الهند والصين وأفغانستان وغيرها ، وبكفي شاهدا على ذلك بروز كثير من العلماء في مختلف فنون المعرفة الإسلامية وهم من عجم تلك البلدان.

5. تهذيب الأدب والنقد : للقرآن الكريم أثر واضح في الحياة الأدبية عند العرب ، فقد أثر في الشعر والخطابة والقصص الديني ، من حيث الأغراض والمعاني والألفاظ والأساليب ، وكثر الاقتباس من القرآن الكريم في كل هاته الفنون ، كما أثر في المعايير النقدية التي اختلفت كثيرا عما كانت عليه في العصر الجاهلي².

¹ . الرازي ، أبو حاتم أحمد بن حمدان . الزينة في الكلمات الإسلامية ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ط : 1 ، اليمن ،

1415هـ . 1994م ، ص : 123.

² . ينظر: عبد الرحيم ، عبد الجليل . لغة القرآن الكريم ، مكتبة الرسالة الحديثة ، ط : 1 ، الأردن ، 1401هـ . 1981م ،

ص : 581 وما بعدها ، وينظر أيضا : الشريجي ، محمد يوسف . أثر العربية في ثقافة المسلمين ، مجلة مجمع اللغة

العربية بدمشق ، م : 86 ، ج : 3 ، ص : 614.

وهكذا نرى أثر القرآن الكريم على لغة العرب التي لولاه لاندثرت أو حل محلها اللهجات المختلفة كما حدث لغيرها ، ولكن القرآن الكريم حافظ عليها وأبقاها حية ونماها وطورها وجعلها لغة عالمية بعد ما كانت لغة قومية ، وأحدث فيها من العلوم ما لم تكن لتظفر به لولا القرآن الكريم ، وفضائل القرآن ومزاياه على العربية كثيرة ولا تقع تحت عد ولا حصر .

إن القرآن الكريم رسالة دينية ولغوية ، فهو رسالة دينية أنزل الله تعالى فيه دينه وشريعته وأحكامه وحدوده وحلاله وحرامه ؛ وقد بينا في هذا الجانب مقاصد القرآن الكريم في سورة البقرة وإنما كان التخصيص لهذه السورة لأنها موضوع بحثنا ليكون هذا الفصل تمهيدا موضوعيا لدراستنا اللسانية ؛ ثم عرجنا على الجانب اللغوي حيث تكلمنا عن مميزات اللغة القرآنية التي هي وجه من وجوه الإعجاز القرآني ، ثم كان الحديث عن العلوم اللغوية التي كان القرآن الكريم سببا في ظهورها ، ثم بينا في الأخير كيف كان أثر القرآن الكريم على لغة العرب .

الفصل الأول:

إبلاغية الخطاب القرآني

ولسانيات النص

تمهيد :

اللغة البشرية بناء واستعمال ، فهي بناء من حيث شكلها ، وهي استعمال من حيث وظيفتها في المجتمع ، ولهذا كان ابن جني دقيقا حين وصف اللغة بأنها « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »¹. فاللغة من حيث الشكل أصوات تتركب منها الكلمات والجمل والنصوص ، وهي من حيث الاستعمال والوظيفة وسيلة يتواصل بها الناس ، ويعبرون بها عن أغراضهم ، ويتوصلون بها إلى حاجاتهم ، إن اللغة « في الأساس نشاط تواصلية »² ، فالمنطوقات اللغوية كما يقول فان ديك : « تهدف في العادة إلى الإسهام في الاتصال والتفاعل الاجتماعي »³. ولهذا كانت دراسة اللغة سواء عند العرب القدامى أو عند الغربيين تسير في اتجاهين :

1 . الاتجاه الشكلي : وهو الاتجاه السوري الذي يعنى بدراسة اللغة من حيث أصواتها وصرفها ونحوها ، دراسة معزولة عن سياقها الاجتماعي.

¹ . ابن جني ، أبو الفتح عثمان . الخصائص ، تح : محمد على النجار ، عالم الكتب ، ط : 1 ، لبنان ، 1427 هـ . 2006م ، ص : 67.

² . واورزنيك ، زتسيسلاف . مدخل إلى علم النص ، تر : سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار ، ط : 1 ، مصر ، 1424 هـ . 2003م ، ص : 21.

³ . فان دايك ، تون أ . علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، تر : سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة للكتاب ، ط : 1 ، مصر ، 1421 هـ . 2001م ، ص : 114.

2. الاتجاه التواصلي : وهو الاتجاه الوظيفي الذي يعنى بدراسة اللغة في سياقها الاجتماعي مرتبطة بظروف إنتاجها.

ولعل الاتجاه الأول يتجسد عند العرب في الدراسات النحوية والصرفية والصوتية التي قام بها النحاة أمثال سيبويه ومن جاء بعده ، أما في الدراسات الغربية الحديثة فيتمثل هذا الاتجاه في الدراسات البنيوية والتوليدية ، وما قدمه اللغويون أمثال سوسير وتشومسكي وأمثالهما.

أما الاتجاه الثاني فإنه يندرج عند العرب ضمن الدراسات البلاغية التي تؤكد على ارتباط اللغة باستعمالها السياقي ، ومن أهم تلك الدراسات ما قدمه كل من الخفاجي والجرجاني والسكاكي وغيرهم. أما عند الغرب فقد تمثل هذا الاتجاه التواصلي في مناهج من الدراسات منها التداولية والوظيفية واللسانيات الاجتماعية وتحليل الخطاب¹.

وفي هذا الفصل سندرس لغة الخطاب القرآني في جانبها الاستعمالي ، ونبحث في الوظائف اللغوية ، والنص والخطاب والمعايير النصية ، ثم نتحدث عن التواصل اللغوي.

1. الوظائف اللغوية في القرآن الكريم :

1.1. الوظائف اللغوية :

1.1.1. تعريف الوظيفة لغة :

¹ . ينظر : الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط : 1 ، ليبيا ،

2004م ، ص : 5 ، وما بعدها.

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس : (وظف) الواو والطاء والفاء : كلمة تدل على تقدير شيء ، يقال : وظفت له ، إذا قدرت له كل حين شيئاً من رزق أو طعام¹. وفي اللسان : الوظيفة من كل شيء : ما يقدر له في كل يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب وجمعها الوظائف والوظف ، ووظف الشيء على نفسه ووظفه توظيفاً ، ألزمها إياه ، وقد وظفت له توظيفاً على الصبي كل يوم حفظ آيات من كتاب الله عز وجل² . وجاء في المنجد : وظف الشيء على نفسه ألزمها إياه ، وظفه ، عين له في كل يوم وظيفة ، ووظف عليه علا قدره ، واطفه ، وافقه ولازمه ، استوظف الشيء استوعبه ، الوظيفة ج وظائف ووظف ، ما يعين من عمل وطعام ورزق وغير ذلك أو العهد والشرط ، وربما استعملت بمعنى المنصب ، والخدمة ، يقال الدنيا وظائف أي نوب ودول³. والملاحظ من هذه التعريفات اللغوية أن كلمة وظيفة جاءت بعدة معاني هي : التقدير للشيء ، الالتزام والترتيب ، التعيين ، الموافقة والملازمة ، الاستيعاب ، العهد والشرط ، المنصب والخدمة. ومما تقدم يمكننا أن نفهم معنى الوظيفة ، بأنه العمل المقدر الذي يلتزمه صاحبه أو يلزمه به غيره بحيث يترتب عليه متابعته والالتزام به بشكل مستمر.

¹ . ابن فارس ، أبو الحسين أحمد . معجم مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، (دط) ، (دب) ،

1933 هـ . 1973 م ، ج : 6 ، ص : 122.

² . ابن منظور ، محمد بن مكرم . لسان العرب ، دار المعارف ، (دط) ، مصر ، (دت) ، ص : 4869.

³ . معلوف ، لويس . المنجد في اللغة ، المطبعة الكاثوليكية ، ط : 19 ، لبنان ، (دت) ، ص : 907.

1.1.2. تعريف الوظيفة في اصطلاح اللسانيين :

جاء في قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص : وظيفة الكلام هي دور الكلام بالنسبة لما هو خارج عن إطاره : العالم الخارجي ، الفكر ، المتكلمون ... فالوظيفة كنظرية ألسنية توجه مفاهيمها العملية نحو الوظيفة الأساسية للتواصل¹.

وإذا أردنا أن نربط بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي نقول : إن الوظيفة تعني أن كل عنصر في التركيب اللغوي يقوم بدور مرتب عليه ، أو عمل مستمر في هذا التركيب. ولهذا فعند حديثنا عن وظيفة اللغة ، فإننا نقصد بذلك ما تؤديه اللغة من دور في الحياة الاجتماعية ، وهذا يعني الاستعمال اللغوي الذي أشار إليه (هاليداي) بقوله : « لعل المقصود من كلمة وظيفة في أبسط معانيها أن تكون مرادفة لكلمة (استعمال) لذلك حين نتحدث عن وظائف اللغة فنحن لا نعني إلا الطريقة التي يستعمل بها الناس لغتهم أو لغاتهم إذا كان لهم أكثر من لغة »². فالباحث في وظيفة اللغة إنما يبحث في الجانب الاستعمالي للغة وما تؤديه من عمل داخل الحياة الاجتماعية ؛ وقد تتبه علماءنا القدامى إلى هذه المسألة وربطوا بين اللغة ووظيفتها في المجتمع ، وقد مر بنا تعريف ابن جني للغة على أنها

¹ . ينظر : بن مالك ، رشيد . قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص ، دار الحكمة ، (دط) ، الجزائر ،

2000م ، ص : 76.

² . نحلة ، محمود أحمد . آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، (دط) ، مصر ، 2002م ،

ص : 267.

« أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » ، وهذا ابن سنان الخفاجي يقول : « الكلام غير مقصود في نفسه وإنما احتيج إليه ليعبر الناس عن أغراضهم ويفهموا المعاني التي في نفوسهم »¹.

وقد تناول اللسانيون المعاصرون الحديث عن وظائف اللغة ، فهذا أحمد المتوكل يقول : عند الحديث عن وظيفة اللغة « يسخر مستعملو اللغة هذه الأداة لتحقيق أغراضهم كالتعبير عن الفكر والأحاسيس والمعتقدات والتأثير في الغير بإقناعه أو ترغيبه أو ترهيبه أو مجرد إخباره بواقعة ما ، إلا أن هذه الأغراض وإن تعددت واختلفت من حيث طبيعتها آوية إلى وظيفة واحدة هي تحقيق التواصل بين أفراد مجتمع ما »².

ويحدد هاليداي بداية الحديث عن وظائف اللغة مع (مالينوفسكي 1925) الذي قسم وظائف اللغة إلى فئتين واسعتين : مقامية pragmatic ، وسحرية magical ، ثم قسمها بعد ذلك إلى فرعين : فاعلة active ، وروائية narrative ، ثم يأتي على ذكر عالم النفس النمساوي (كارل بوهلر 1934) الذي استخدم الإطار التصوري الموروث عن أفلاطون الذي يميز بين المتكلم والمخاطب والغائب ولذا فقد حدد (بوهلر) وظائف اللغة بحسب هذا الاعتبار بثلاثة وظائف هي :

¹ . الخفاجي ، ابن سنان . سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، لبنان ، 1402 هـ . 1982م ، ص : 221.

² . المتوكل ، أحمد . المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ، دار الإيمان ، ط : 1 ، المغرب ، 1427 هـ . 2006م ، ص : 20 . 21.

الوظيفة التعبيرية expressive . الوظيفة النزوعية conative . الوظيفة التمثيلية
représentationnel . وقد تبنت مدرسة (براغ) خطته ، ووسعها من بعد (رومان جاكوبسون
1960) فأضاف ثلاث وظائف أخرى هي :

. الوظيفة الشعرية poetic . الوظيفة التعاملية transational . الوظيفة الماورائية أو
الواصفة meta linguistic¹.

وفي كتابه « سيكولوجية اللغة والمرض العقلي » ، تناول الدكتور جمعة سيد يوسف
الحديث عن وظائف اللغة فبدأ بنموذج (بوهلر) ثم عرج على نموذج (هاليداي) فقال : « وقد
حاول هاليداي "halliday" تقديم حصر بأهم وظائف اللغة فتمخضت محاولته عن الوظائف
الآتية »².

ثم يمضي بعد ذلك في بيان الوظائف التي حصرها فيما يأتي :

الوظيفة النفعة (instrumental function).

الوظيفة التنظيمية (regulatory function).

الوظيفة التفاعلية (interpersonal function).

الوظيفة الشخصية (personal function).

¹ . ينظر نحلة ، محمود أحمد . آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر ، ص : 268.

² . يوسف ، جمعة سيد . سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، ع : 145 ،

الكويت ، يناير 1990 ، ص : 20.

الوظيفة الاستكشافية (heuristic function).

الوظيفة التخيلية (imaginative function) ،

الوظيفة الإخبارية الإعلامية (informative function).

الوظيفة الرمزية (symbolic function)¹.

كما تناول الشهري في كتابه « استراتيجيات الخطاب » حديثا مسهبا عن وظائف اللغة بدءا بوظائف (جاكوبسون) ، ثم تحدث عن (روبل) الذي تناول هذه الوظائف بالتحليل وأبدى وجهة نظره في بعضها ، ثم استعرض وجهة نظر (ليتس) الذي تناول وظائف اللغة من وجهة نظر وظيفية ، ثم تحدث عن وظائف اللغة عند (بوبر) الذي حددها بالآتي : الوظيفة التعبيرية ، الوظيفة الإشارية ، الوظيفة الوصفية ، الوظيفة الحجاجية . ثم ذكر الوظائف عند (هاليداي) الذي يرى من وجهة نظره الوظيفية أن هناك ثلاث وظائف كبرى هي : الوظيفة التصورية ، الوظيفة التعاملية ، الوظيفة النصية².

ثم يعرج أخيرا على (بروان ويول) فيقول: « وقد لمس (بروان ويول) هذا التعدد في معالجة الوظائف اللغوية والغموض المصاحب في المصطلح ، لذا اختارا مصطلحين عامين لتحديدها بوظيفتين هما : (الوظيفة التعاملية ، والوظيفة التفاعلية) ، وقد ارتضيا هذين المصطلحين لأنهما يهتمان أساسا باللغة في سياق استعمالها ، ولذلك فإن هاتين الوظيفتين

¹. ينظر : يوسف ، جمعة سيد . سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، ص : 20 . 22.

². ينظر : الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، ص : 14.

هما الوظيفتان الرئيستان للغة من وجهة نظريهما ، رغم أنهما لا ينكران الوظائف السابقة»¹.
أما (كلاوس برينكر) في كتابه الذي ترجمه سعيد حسن بحيري ، فقد تناول الوظائف
بالتحليل ثم انتهى إلى مجموعة من الوظائف سماها أساسية وهي : وظيفة الإبلاغ ، وظيفة
الاستشارة ، وظيفة الالتزام ، وظيفة الاتصال ، وظيفة الإعلان².
وبعد استعراضنا لهذه الوظائف اللغوية نحاول فيما يأتي التعرف على هذه الوظائف في
النص القرآني الكريم.

1 . 2 . الوظائف اللغوية في الخطاب القرآني :

إن الحديث عن الوظائف اللغوية في الخطاب القرآني أمر يتطلب الحيطة والحذر الشديد
ذلك لأن النص القرآني هو كتاب لغة بامتياز ، كما يقول الأستاذ الدكتور محمد خان³ ،
ولكن مع ذلك فإن القرآن الكريم كتاب مقدس ، ولغة القرآن لا تعامل كما تعامل أية لغة
أخرى ، ولذلك فإن خصوصية النص تفرض نوعا من الحذر أثناء التعامل مع لغته ، إن
اللغة الطبيعية التي يستعملها البشر في مخاطبتهم يمكن أن تخضع ، دون أي حرج ،
لآليات الدراسة اللسانية ، وليس كذلك لغة القرآن الكريم ، فهي من جهة المصدر تختلف عن

¹ . الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، ص : 18.

² . ينظر : برينكر ، كلاوس . التحليل اللغوي للنصوص ، تر : سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار ، ط : 1 ، مصر ،
1425 هـ . 2005 م ، ص : 137.

³ . ينظر : خان ، محمد . لغة القرآن الكريم ، ص : 154.

اللغة البشرية ، لأنها ذات مصدر إلهي ، وهذا المصدر منزه عن مشابهة البشر في نفسياتهم وحاجياتهم وتعبيرهم عن أغراضهم وأحاسيسهم وعواطفهم . كما أن هذا المصدر نفسه . أعني المصدر الإلهي . يمثل السلطان الأعلى في الوجود ، المتصف بصفات الكمال سبحانه وتعالى ، ولهذا فإن قداسة المصدر تلقي بظلالها على أي دراسة يمكن أن تقارب النص القرآني بأي وسيلة من وسائل المقارنة.

وأما عن الوظائف اللغوية فإنها ليست كلها محل اتفاق بين الدارسين ، كما أنما حصيلة فكر بشري ، وهذا الفكر متغير ، فما أقره اليوم من أفكار قد يتراجع عنه غدا ، فالجزم بكون هذه الوظائف اللغوية أمرا قطعيا فيه شيء من المجازفة ، وإن كان بعض هذه الوظائف يقترب من المسلمات أحيانا ، ويكاد ينطبق على أية لغة ، بما في ذلك لغة القرآن الكريم ، ولهذا فإن الحديث عن وظائف اللغة في الخطاب القرآني يستدعي شيئا من التثبت ، حتى لا يقع الدارس في خطأ ، فينسب إلى القرآن شيئا لا تصح نسبته إليه ، ولكن المؤكد أن القرآن الكريم كتاب محكم ، أنزله الله تعالى لغاية وحكمة عظيمة ، وسماه الحكيم في قوله تعالى :

﴿ يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴾ [يس : 1 . 2] وقال عنه : ﴿ الرَّكْنُ الْأَعْلَى أَعَمَّتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ

لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : 1] ، فللدارس إذن أن يتلمس الوظائف اللغوية في الخطاب

القرآني ، ولذا فسيركز هذا البحث على مدى ثلاثم هذه الوظائف مع لغة القرآن الكريم.

وسوف نبدأ مع وظائف جاكبسون ثم نخرج على الوظائف الأخرى.

1 . وظائف جاكبسون :

1. 1 . الوظيفة الشعرية (poetique) : « وترکز الرسائل التي تهيمن فيها هذه الوظيفة على الرسالة ذاتها ، وينبه (رومان جاكوبسون) إلى أن هذه الوظيفة لا تقتصر على الشعر وإنما ينبغي دارستها في أشكال الرسائل اللفظية الأخرى وكذلك غير اللفظية وتعمل هذه الوظيفة على إبراز قيمة الكلمات والأصوات والتراكيب ... في ذاتها ، مكسبة إياها قيمة مستقلة »¹. هذه الوظيفة سماها (جاكوبسون) « شعرية » وهو لا يعني بها النسبة إلى الشعر ذلك الفن المعروف ، بل يعني بها « جمالية » اللغة فهو يرى بأنها « إحدى الوظائف الموجودة في كل أنواع الكلام ، فبدون الوظيفة الشعرية تصبح اللغة ميتة وسكونية تماما. فالوظيفة الشعرية تدخل دينامية في حياة اللغة »². إن « الوظيفة الشعرية لا تميز الشعر فقط بل وكل الفنون التي تهيمن فيها الوظيفة الجمالية »³. إنها ليست مقصورة على الشعر كما توحى به التسمية ولكنها شاملة لكل فنون القول ، وبهذا يمكننا القول إن هذه الوظيفة موجودة في القرآن الكريم ، ولكن لحساسية التسمية (الشعرية) وارتباطها لفظيا بالشعر ، والقرآن الكريم نفي أي صلة له بالشعر فقال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ [الحاقة : 41] ، وقال أيضا : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ [يس : 69] ، لذلك يجمل بنا أن

¹ . الغزالي ، عبد القادر . اللسانيات ونظرية التواصل ، دار الحوار ، ط : 1 ، سوريا ، 2003م ، ص : 50.

² . الطبال ، فاطمة بركة . النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط : 1 ،

لبنان ، 1413هـ . 1993م ، ص : 74.

³ . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

نسمي هذه الوظيفة ، الوظيفة الجمالية ، تأدبا مع القرآن الكريم ، وهذه الوظيفة موجودة في النص الكريم على المستوى الصوتي والصرفي والتركيبى والدلالي والبلاغي ، وقد تناولت جماليات النص القرآني دراسات كثيرة قديما وحديثا¹. لذلك لا يمكننا نفي هذه الوظيفة عن النص القرآني وإن كانت تتسم بالعفوية والبعد عن التكلف والتصنع.

1 . 2 . الوظيفة المرجعية (rèfèrentielle) : وتسمى أيضا الوظيفة المعرفية وهذه الوظيفة تتفرع « عن الشكل التواصلى المتمثل في (السياق) ويمكن أن تتحقق في اللغة اليومية واللغة العلمية² ، وبمقتضى هذه الوظيفة فإن اللغة « تحيلنا على أشياء وموجودات نتحدث عنها وتقوم اللغة فيها بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات والأحداث المبلغة³ . وجاء في معجم تحليل الخطاب : « الوظيفة المرجعية تركز على المقام وتهدف إلى تمثيل العالم (سرد ، عرض ...)⁴ . وتقول فاطمة طبال عن الوظيفة المرجعية (rèfèrentielle) بأنها

¹ . ينظر : الخالدي ، صلاح عبد الفتاح . إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ، دار عمار ، ط : 1 ، الأردن ، 1421هـ . 2000م ، المبحث السادس : مع « إعجاز القرآن » في مسيرته التاريخية ، ص : 81 وما بعدها.

² . الغزالي ، عبد القادر . اللسانيات ونظرية التواصل ، ص : 47 . 48.

³ . المسدي ، عبد السلام . الأسلوبية والأسلوب ، دار سعاد الصباح ، ط : 4 ، الكويت ، 1993م ، ص : 159 . ويومزير ، الطاهر . التواصل اللساني والشعرية ، الدار العربية للعلوم . ناشرون ، ط : 1 ، لبنان ، 1428هـ . 2007م ، ص : 45.

⁴ . شارودو ، باتريك ، ودومينيك منغو . معجم تحليل الخطاب ، تر : عبد القادر المهيري وحَمّادي صَمّود ، دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، (دط) ، تونس ، 2008م ، ص : 257 . 258.

تحدد العلاقات بين المرسله والشئ أو الغرض الذي ترجع إليه ، وهي أكثر وظائف اللغة أهمية في عملية التواصل ذاتها ، فهذه الوظيفة المسماة « (تعينية) أو (تعريفية) أو (مرجعية) ، هي العمل الرئيسي للعديد من المرسلات »¹.

إن هذه الوظيفة المرجعية هي التي تقوم بالربط بين الأشياء ومسمياتها ، أو بين الرسالة (المرسله) وما تحيل إليه من الأشياء ، وهذه الوظيفة لا يخلو منها نص لغوي ، فكل نص بما في ذلك النص القرآني الكريم ، يحيل إلى مرجع يكون مفهوما لدى الملتقي لتتم عملية التواصل ، وعليه فلا يمكن نفي هذه الوظيفة عن القرآن الكريم فهي موجودة فيه بلا ريب.

1 . 3 . وظيفة ما وراء اللغة (meta linguistique) : ويسمى الشهرى وظيفة ما فوق

اللغة ويعرفها بأنها « تتمحور حول لغة الخطاب ذاتها ، مثل السؤال عن كلمة وردت في الخطاب أو تحديد مرجع أو اسم قد ورد فيه أيضا »². ويمكن أن تصنف الخطابات التي تتضمن هذه الوظيفة ضمن الكلام عن الكلام نفسه أو القول عن القول³. وهذا الوظيفة « تظهر في المرسلات التي تكون اللغة نفسها مادة دراستها ، أي التي تقوم على وصف اللغة وذكر عناصرها وتعريف مفرداتها »⁴. و« يمكن أن نميز في هذه الوظيفة بين مجالين :

¹ . الطبال ، فاطمة بركة . النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون ، ص : 67.

² . الشهرى ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، ص : 13.

³ . ينظر : بومزير ، الطاهر . التواصل اللساني والشعرية ، ص : 47.

⁴ . الطبال ، فاطمة بركة . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

. المجال الأول : وتمثله اللغة الواصفة المعتمدة في الدراسة العلمية التي تتخذ من اللغة موضوعا لها.

. المجال الثاني : ويرتبط بعمليات الشرح التي تتخلل التواصل في الكلام اليومي وهي ترمي إلى تحقيق درجة قصوى من التمثل لدى المستمع «¹. وجاء في كتاب (التواصل نظريات ومقاربات) : إن « هناك تمييز حاصل في مجال المنطق الحديث بين مستويين للغة وهما : اللغة . الموضوع . (langage . objet) التي تتحدث عن الموضوعات والأشياء ، والميتا . لغة (meta langage) التي تتحدث عن اللغة ذاتها «².

من خلال هذه النقول والتعريفات ، ندرك أن وظيفة ما وراء اللغة تكون في الخطابات التي تتضمن شروحا للغة ، حيث تكون مادة حديثها عن اللغة وصفا وشرحا ، كما تكون في الخطاب المتداول يوميا ، عندما ينغلق معنى الكلام عن السامع ، فيطلب توضيحا من المتكلم ، وإذا بحثنا في لغة القرآن الكريم عن وصف للغة في مستوى من مستويات التحليل والوصف ، فإننا لا نعثر على ذلك ، فليس في القرآن الكريم شرح لمفردات ، أو تحديد لوظيفة مورفيم ما ، أو الكلام عن وظيفة جملة من الجمل ، كما أننا لا نجد في حوارات القرآن ، والمخاطبات التي تدور في قصصه استيضاح من طرف من الأطراف عن مدلول

¹ . الغزالي ، عبد القادر . اللسانيات ونظرية التواصل ، ص : 50.

² . جاكوبسون ، رومان ، وآخرون . التواصل نظريات ومقاربات ، تر : عز الدين الخطابي وزهور الحوتي ، منشورات

عالم التربية ، ط : 1 ، المغرب ، 1428 هـ . 2007م ، ص : 69.

كلمة وردت في ثنايا الحوار. وهذا يعني أن النص الكريم لا يتضمن وظيفة ما وراء اللغة التي تتضمن حديثا عن اللغة أو شرحا لمفرداتها. ولكننا نجد هذه الوظيفة اللغوية في الكتب التي تتناول لغة القرآن ككتب التفسير ، وكتب إعراب القرآن ، والكتب التي تتناول بلاغة القرآن وإعجازه ، وهي تختلف عن النص الكريم ، وليست من صلبه وإن كانت تعالج نصوصه وتشرحها.

1 . 4 . وظيفة إقامة الاتصال (fonction phatique) : وتسمى الوظيفة الانتباهية أو

الاتصالية ، على تعبير (مالينوفسكي)¹ ، وتتمركز حول القناة أو وسيلة الاتصال مثل : مرحبا ، هل تسمعي ؟ للتأكد من عمل الهاتف ، أو للتأكد من وضوح الصوت أو من أن التواصل لم يضعف بعد². وتقول عنها فاطمة الطبال : « وذلك حين يقيم المرسل اتصالا مع المرسل إليه ويحاول الإبقاء على هذا الاتصال ، وهنا تظهر ألفاظ مثل «ألو» ، «ها» وغيرها من الألفاظ التي لا تملك أي معنى أو هدف سوى إبقاء الاتصال »³.

وبناء على هذه التعريفات نلاحظ أن هذه الوظيفة تتحقق في الخطاب المباشر بين شخصين على طرفي قناة الاتصال ، فيحاول المرسل شد انتباه المرسل إليه بعبارات تنبيهيه حتى يظل متابعا للاتصال ، وحتى يتأكد المرسل أن الاتصال لم يضعف ، وعلى هذا

¹. ينظر : جاكوبسون ، رومان ، وآخرون . التواصل نظريات ومقاربات ، ص : 69.

². ينظر : الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، ص : 13.

³. الطبال ، فاطمة بركة . النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون ، ص : 66.

الأساس لا نستطيع القول بمطابقة هذه المواصفات للنص القرآني الكريم ، فرغم وجود قناة هي اللغة المستعملة بين المرسل والملتقى إلا أننا لا نستطيع نعت الرسالة القرآنية بصفة المباشرة التي نعت بها رسائل تمر عبر قنوات اتصال كالهاتف مثلا : ورغم أن النص القرآني مباشر فعلا ، لأن قائله سبحانه حي يخاطب به البشرية جمعاء في كل عصر ومصر ، إلا أنه ليس مباشرا من جهة الملتقى الذي لا يمكنه مخاطبة المرسل مباشرة قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى : 51] . كما أننا لا نجد في عبارات النص الكريم أمثال ما ذكر من النماذج لتحقيق هذه الوظيفة مثل : « ألو ، مرحبا ، هل تسمعني ؟ » ... إلخ ، وهذا أيضا يمنع من إطلاق القول بوجود مثل هذه الوظيفة في النص الكريم.

1 . 5 . الوظيفة الندائية (fonction conative) : وتسمى الإيعازية¹ والإفهامية² ويطلق عليها بعض اللسانيين مصطلح وظيفة تأثيرية ، وتجد هذه الوظيفة تعبيرها الأكثر خلوصا في النداء والأمر؛ فهي توجد كما يستدل من اسمها في الجمل التي ينادي بها المرسل المرسل إليه لإثارة انتباهه أو ليطلب منه القيام بعمل من الأعمال. وعلى هذا الأساس يمكننا القول إن هذه الوظيفة موجودة بكثرة في القرآن الكريم ، إذ لا تكاد تخلو سورة من السور ، التي ذكر فيها التكليف والتشريع ، من النداء والأمر ، ولكن الأمر يختلف حين يحدد بعض

¹ . الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، ص : 12.

² . الغزالي ، عبد القادر . اللسانيات ونظرية التواصل ، ص : 48.

الدارسين لهذه الوظيفة جملة من المميزات الأسلوبية ويحصرها في أربعة مميزات وهي :
التأثير ، والإقناع ، والإمتاع ، والإثارة¹ . وهنا لابد من التفصيل ؛ فإن الناظر المتفحص يدرك بدهشة أن النص القرآني المحكم يخلو من ميزتي الإمتاع والإثارة ، فهاتان تختصان بغيره من النصوص الأدبية ، أما التأثير فإنه مقصود في النص الكريم ، وكذلك الإقناع ، وذلك نجده فيما يقدمه القرآن الكريم من حجج وبراهين قصد إقناع المتلقي ، وكذلك ما نجده فيه من ترغيب وترهيب قصد التأثير على المتلقي أيضا ، وعليه فإن الوظيفة الندائية أو الإفهامية موجودة في القرآن الكريم ، ولكن لا بقصد الإثارة والإمتاع ، ولكن بقصد التأثير والإقناع².

1 . 6 . الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية (fonction émotives) : « وهي تحدد العلاقة بين المرسل والمرسلة (الرسالة)³ وموقفه منها ، فالمرسلة في صدورها تدل على طابع مرسلها وتكشف عن حالته⁴ ؛ إن هذه الوظيفة « تتمثل في الرسائل التي تركز على الحمولة الانفعالية والوجدانية ، ومن ثم فإنها ترتبط بالمرسل ، أي تقدم انطباعه وانفعاله تجاه شيء ما⁵ . وهذه الوظيفة بتركيزها على المرسل فإنها تنزع إلى التعبير عن عواطفه ومواقفه تجاه

¹ . بومزير ، الطاهر . التواصل اللساني والشعرية ، ص : 39.

² . سيتناول البحث موضوع الإقناع والتأثير في مبحث لاحق.

³ . ما بين قوسين إضافة للتوضيح وليست من المرجع.

⁴ . الطبال ، فاطمة بركة . النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون ، ص : 66.

⁵ . الغزالي ، عبد القادر . اللسانيات ونظرية التواصل ، ص : 48.

الموضوع الذي يعبر عنه ، ويتجلى ذلك في طريقة النطق ، أو في أدوات تعبيرية تفيد الانفعال كالتأوه والتعجب ... إلخ¹.

وحسب ما ذكر فهذه الوظيفة تركز على الجانب النفسي للمرسل ، وتتطلق من انفعالاته النفسية ومدى انطباعها على رسالته ، ونحن حين نتحدث عن النص القرآني لا يمكننا الكلام عن نفسية المرسل ، لأنها ليست نفسا بشرية ، بل هي تختلف كل الاختلاف عن نفوس البشر ، كما تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : 11] ، وإذا كنا نرصد انطباعات غيرنا بمقياس ما نعرف عن نفوسنا ، فإننا لا نستطيع أن نرصد نفس الخالق سبحانه وتعالى ، كما قال على لسان رسوله عيسى بن مريم : ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة : 116] ؛ ولهذا ارتأى بعض الباحثين أن نسمي التعجب الوارد في القرآن الكريم تعجيبا ، يقول الدكتور عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : « قال المحققون : إذا ورد التعجب في كلام الله صرف إلى المخاطبين ، ولهذا يعبر بعض العلماء بالتعجيب بدل التعجب ، أي هو تعجيب من الله للمخاطبين »² ، لأن الله تعالى لا يتعجب من شيء ، ولأن التعجب حالة نفسية تنتج عن المفاجأة بشيء غير معهود ، جاء في المعجم الوسيط : « التعجب : استعظام أمر ظاهر المزية خافي

¹ . بومزير ، الطاهر . التواصل اللساني والشعرية ، ص : 36.

² . الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة . البلاغة العربية ، دار القلم ، سورية ، 1416 هـ . 1996م ، ج : 1 ، ص :

السبب «¹ ، وهل هناك شيء ليس معلوما عند الله ليفاجأ به فيتعجب منه ، فالتعجب في القرآن منصرف إلى تعجب الخلق كقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ [البقرة : 175] ، والمعنى : ينبغي أن تتعجبوا من شدة صبرهم على عذاب النار.²

ومن ثم فهذه الوظيفة ليست مرتبطة بالخطاب بقدر ارتباطها بنفسية المرسل ، ولهذا لا يمكننا نسبتها إلى نص القرآن الكريم ، أما عن تسميتها تعبيرية ، فالمقصود ليس التعبير عن الأشياء بمعنى الحديث عنها أو تسميتها ، وإنما المقصود التعبير عن انطباع المرسل وهو أمر نفسي كما سلف ولا يمكننا وصف القرآن به.

والخلاصة هي أن وظائف (جاكوبسون) لا تنطبق كلها على النص القرآني الكريم ، فالوظيفة التعبيرية ، والوظيفة الانتباهية ، ووظيفة ما وراء اللغة ، يمكننا نفيها عنه. أما الوظيفة المرجعية ، فهي موجودة فيه. أما الوظيفة الندائية والوظيفة الشعرية فيمكن أن ننسبها إليه مع ما ذكر من التحفظات المتعلقة بالتسمية في الوظيفة الشعرية ، والمتعلقة بالإمتاع والإثارة في الوظيفة الندائية.

2. وظائف بوهرلر :

¹ . ينظر : مجمع اللغة العربية بمصر . المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، ط : 4 ، مصر ، 1425 هـ . 2004م ، ص : 584.

² . ينظر : الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة . البلاغة العربية ، ج : 1 ، ص : 170.

أما عن وظائف (بوهلر) وهي أربعة وظائف : فالأولى وهي التعبيرية لتعبير الشخص عن حالاته الداخلية ، والثانية وهي الإشارية لتبليغ الشخص المعلومات المتعلقة بحالاته الداخلية إلى الآخرين ، أما الثالثة فهي الوصفية وهي لوصف الأشياء في المحيط الخارجي ، وأما الرابعة فهي الحجاجية لتقييم الحجج وتبريرها¹.

وبالنظر إلى هذه الوظائف الأربعة فإنه يمكننا إبعاد الوظيفتين الأوليين (التعبيرية والإشارية) لتعلقهما بنفسية المرسل ، وقد تم تبرير ذلك ضمن الحديث عن وظائف (جاكسون).

أما بالنسبة للوظيفتين الأخريين (الوصفية والحجاجية) ، فلا ارتياب في وجود هاتين في القرآن الكريم ، وإن كان الوصف في القرآن الكريم يختلف عن الوصف في الآثار الأدبية الأخرى شعرا ونثرا² ؛ ففي تلك الآثار يصف الأديب شيئا أعجبه وانبهر به لينقل تجربته الشعرية للمتلقين ، أما الوصف القرآني فهو للتنبية على عظمة الله تعالى ، كما أنه دعوة للتعاطف وأخذ العبرة في حال وصف ما حل بالأقوام المكذبين. أما الوظيفة الحجاجية ، فإن القرآن الكريم قد قدم الحجج الباهرة على ما يدعو إليه كما أنه قد تناول حجج المكذبين

¹ . ينظر : الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، ص : 14 .

² . جاء في المعجم الأدبي : « وصف description : أحد العناصر الحيوية المهمة في الشعر ، وفي الأجناس الأدبية الأخرى بشكل أقل ، ويقوم على استعمال الألفاظ والاستعارات والتشبيهات لتقديم وتصوير الأشياء والناس والسلوك والمشاهد ، ويعتمد نجاح الأديب في الوصف على مدى قدرته على إحضار الشيء في ذهن السامع كأنه يراه أو يشعر به»
ينظر : نصار ، نواف . المعجم الأدبي ، دار ورد ، ط : 1 ، الأردن ، 2007م ، ص : 229 .

وفندها ودحضها بالحجج والبراهين التي تنقضها وهذا يدل بوضوح على وجود الوظيفة الحجاجية في القرآن الكريم¹.

3. وظائف هاليداي :

أما وظائف (هاليداي) التي ذكرها صاحب كتاب « سيكولوجية اللغة والمرض العقلي » فإننا نجد فيها الوظيفة النفعية ومؤداها أن اللغة تستخدم عند الإنسان كوسيلة لإشباع الحاجات والتعبير عن الرغبات ، ويطلق على هذه الوظيفة وظيفة « أنا أريد »² ، وهذه الوظيفة بطبيعة الحال لا تتماشى مع النص القرآني الكريم ، الذي تعالى منزله المتكلم به سبحانه عن هذه الرغبات والحاجيات الخاصة. لكننا قد نحول هذه الوظيفة باتجاه المتلقي فتكون الرسالة القرآنية موجهة لتحقيق منفعة المتلقي ومصالحته في دنياه وأخراه ، وعليه تكون الوظيفة النفعية بهذا المعنى الثاني موجودة في النص القرآني الكريم. أما ما سمي الوظيفة التنظيمية ، وتعني أن الفرد يستطيع من خلال اللغة أن يتحكم في سلوك الآخرين ، وهي تعرف بوظيفة « افعل كذا .. ولا تفعل كذا »³ ؛ فنستطيع القول إن هذه الوظيفة موجودة في النص القرآني حيث إنه يحتوي على أوامر ونواه ، مع ملاحظة أن عبارة « يتحكم » قد يكون من الأفضل استبدالها بعبارة « يوجه » لأنها أقرب إلى الدقة ، فعبارة « يتحكم » فيها

¹ . سيتناول البحث موضوع الحجاج في مبحث الإقناع والتأثير.

² . ينظر : يوسف ، جمعة سيد . سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، ص : 20.

³ . ينظر : المرجع نفسه ، ص : 21.

سلب لإرادة الآخر (المتلقي) بحيث يصير خاضعا لتوجيه المرسل ، أما عبارة « يوجه » ففيها نية صرف (المتلقي) إلى الوجهة المطلوبة إيجابا أو سلبا مع عدم السيطرة عليه ، قال

الله تعالى : ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾ [العاشية : 22] .

أما ما سمي بالوظيفة التفاعلية ، حيث تستخدم اللغة للتفاعل مع الآخرين¹ ، فهذه تتطلب اتصالا مباشرا بين المرسل والمتلقي مثلها مثل وظيفة إقامة الاتصال عند (جاكوبسون) ، ولكن هذه الوظيفة تختلف قليلا من حيث وجودها في اللغة التي نستخدمها في المناسبات الاجتماعية ، وإظهار الاحترام والتأدب مع الآخرين² ؛ وعلى هذا يمكن القول بوجود هذه الوظيفة التفاعلية بشكل نسبي فيما يدور من حوار بين الشخصيات في القصص القرآني ، مثل قول الملائكة لإبراهيم . عليه السلام . لما جاءوه في شكل ضيوف ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ ، فرد إبراهيم : ﴿ قَالَ سَلَامٌ ﴾ [هود : 69] ، ومثل عبارات الود التي كان الأنبياء يخاطبون بها أقوامهم لتقريبهم وتأليف قلوبهم مثل « يقوم » وكخطاب إبراهيم مع أبيه « يا أبت » وهكذا. أما ماعدا ما جاء في الحوارات القصصية فلا يمكن الجزم بوجود هذه الوظيفة في النص الكريم ، بل الأقرب نفيها لعدم وجود اتصال مباشر . كما سلف . بين المرسل والمتلقي من جهة المتلقي لا المرسل أما الوظيفة الشخصية عند (هاليداي) فتعرف

¹ . ينظر : يوسف ، جمعة سيد . سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، ص : 21 .

² . ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

بكون اللغة وسيلة يستطيع الفرد من خلالها طفلا أو راشدا أن يعبر عن رؤاه الفردية ومشاعره واتجاهاته نحو موضوعات كثيرة¹. وهذه الوظيفة تتطابق مع الوظيفة التي سماها (جاكوبسون) تعبيرية أو انفعالية وقد أثبتنا عند الحديث عن تلك الوظيفة أنها لا تنطبق على النص الكريم ، وبالتالي فإنها لا توجد فيه.

أما الوظيفة الاستكشافية أو الاستفهامية ومعناها أن الفرد بعدما يبدأ في تمييز ذاته عن البيئة المحيطة به يستخدم اللغة لاستكشاف وفهم هذه البيئة².

وهذه الوظيفة تختص بالإنسان وليس بخالق الإنسان ، والقرآن الكريم كلام الله وليس كلام إنسان. إن الإنسان يخلق جاهلا ثم يتعلم ، قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : 78] ، وبالتالي فالإنسان بحكم حاجته للغة ليعرف يوظف اللغة لاكتشاف ما يحيط به . أما القرآن فهو كلام الحكيم الخبير الذي ﴿ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الحجرات : 18] ؛ وعلى هذا يمكننا القول بعدم وجود هذه الوظيفة في النص القرآني.

أما فيما يتعلق بالوظيفة التخيلية فقد جاء في تعريفها : أن اللغة تسمح « للفرد بالهروب من الواقع عن طريق وسيلة من صنعه هو ، وتتمثل بما ينتجه من أشعار في قوالب لغوية

¹ . ينظر : يوسف ، جمعة سيد . سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، ص : 21.

² . ينظر : المرجع نفسه ، ص : 22.

تعكس انفعالاته وتجاريه وأحاسيسه «¹.

وهذه الوظيفة لا توجد في القرآن الكريم لسببين :

الأول : أنها تتمثل في أشعار في قوالب لغوية ، والقرآن الكريم مخالف للشعر .

الثاني : أن هذه الأشعار تعكس انفعالات الإنسان وأحاسيسه .

وبالتالي فهذه الوظيفة تنطبق فقط على اللغة البشرية ولا تنطبق على لغة القرآن الكريم.

أما عن الوظيفة الإخبارية أو الإعلامية فهي تتجلى في اللغة التي من خلالها يستطيع الفرد أن ينقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه ، بل ينقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتعاقبة ، وإلى أجزاء متفرقة من الكرة الأرضية ... ويمكن لهذه الوظيفة أن تمتد لتصبح وظيفة تأثيرية إقناعية².

ومما لا شك فيه أن اللغة القرآنية تتضمن الوظيفة الإخبارية ، من حيث نقل معلومات إلى المتلقين ، ومن حيث التأثير والإقناع ، ولفت الأنظار إلى مخلوقات الله الدالة على عظمته ، والتنبية على مصير الغابرين ، ليكون عظة للحاضرين ، وما إلى ذلك من صنوف الأخبار والأساليب التي تؤدي وظيفة إخبارية ، وهذا الأمر سنتعرف عليه أكثر عند حديثنا عن الوظيفة الإبلابية في القرآن الكريم.

أما عن الوظيفة الرمزية ، فالبعض يرى أن ألفاظ اللغة تمثل رموزا تشير إلى الموجودات

¹ . ينظر : يوسف ، جمعة سيد . سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، ص : 22.

² . ينظر : المرجع نفسه ، ص : 21.

في العالم الخارجي ، فهي تستخدم كوظيفة رمزية¹. وهذه الوظيفة تتطابق مع الوظيفة المرجعية عند (جاكسون) ، وبالتالي فالحديث عنهما واحد ، وكما أن الوظيفة المرجعية موجودة في النص القرآني فهذه كذلك.

4 . وظائف براون ويول :

أما ما اختاره كل من (براون ويول) أعني الوظيفتين (التعاملية والتفاعلية) ، فإن الأولى جاء في تعريفها ما يأتي : « الوظيفة التعاملية هي ما تقوم به اللغة من نقل ناجح للمعلومات ... وتعد هذه الوظيفة إحدى مزايا اللغة الطبيعية التي تمكن الناس من تطوير ثقافتهم ... ومن تحقيق التواصل فيما بينهم سواء كان ذلك بغرض التوجيه أو التعليم أو غيره »².

وإذا أمعنا النظر جيدا في لغة القرآن الكريم ، وجدنا أن فيها نقلا ناجحا للمعلومات سواء المتعلقة بالغيب أو بالشهادة ، وما يتعلق منها بالإنسان في حياته الدنيا من شرائع وشعائر وأخلاق ومعاملات ، وما إلى ذلك ، كما أن لغة القرآن وسيلة هامة في تطوير ثقافة الإنسان لغويا وبلاغيا وتاريخيا وتشريعيا وأخلاقيا واقتصاديا واجتماعيا وتربويا ...إلخ ، وفي القرآن الكريم خطاب تواصل يهدف إلى التوجيه والتعليم والإرشاد ؛ ولهذا يمكن القول بوجود هذه الوظيفة في القرآن الكريم ، وهذه الوظيفة تقترب كثيرا وربما تتطابق مع وظيفة (هاليداي)

¹ . ينظر : يوسف ، جمعة سيد . سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، ص : 22.

² . الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، المقدمة ، ص : IV .

أما الوظيفة التفاعلية فهي « التي يقيم بها الناس علاقتهم الاجتماعية ويحققون لأنفسهم غاياتها ، وتتمثل في قدر كبير من المعاملات اليومية التي تحدث بينهم »¹. وتتضح هذه في الأحاديث اليومية التي تحدث حتى عند انعدام المعرفة المسبقة بين أطراف الخطاب والتي تعبر عن لطف وكياسة ، وقد تنتهي بتبادل العناوين وتأسيس علاقة ذات أرضية مشتركة².

وإذا تأملنا في هذه الوظيفة وجدنا أنها توجد في الخطاب المباشر ، فهي تشبه في بعض الجوانب وظيفة إقامة الاتصال عند (جاكوبسون) ، وقد سبق البحث في موضعه وثبت عدم وجود مثل هذه الوظائف في القرآن الكريم.

5 . وظائف برينكر :

أما وظائف (برينكر) التي جاءت في كتابه « التحليل اللغوي للنصوص » ، التي سماها أساسية فبدأ بوظيفة الإبلاغ ، وقد جاء في تعريفه لها « يفهم الباث المتلقي أنه يوفر له معرفة وأنه يريد أن يبلغه شيئاً ما »³. وهذه الوظيفة يمكن أن يؤشر إليها من خلال صياغات مثل : أبلغ ، أخبر ، بلغ ، افصح ، كتب تقريراً ، أعلم ، أطلع ، أحاط (علماً)

¹ . ينظر : الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، المقدمة ، ص : IV.

² . المرجع نفسه ، ص : 19.

³ . برينكر ، كلاوس . التحليل اللغوي للنصوص ، ص : 138.

ب ... الخ¹. وقد ألمح المترجم في تعليقه في الهامش إلى إمكانية تسمية هذه الوظيفة ، بوظيفة الإخبار ، أو الإعلام ، أو الإنباء وغيرها. وبما أن هذه الوظيفة ترتبط مباشرة بموضوع بحثنا فسوف نرجئ التفصيل فيها إلى المبحث المخصص لذلك إن شاء الله تعالى. ثم تأتي وظيفة الاستشارة وعرفها بما يأتي « يفهم الباحث المتلقي أنه يحثه على أن يتخذ موقفا محددًا تجاه شيء ما (التأثير في الرأي) و / أو أن ينجز فعلا معينًا (التأثير في السلوك) »². والمتأمل في محتوى الرسالة القرآنية يلمس هذه الوظيفة واضحة ، بل هي لب هذه الرسالة التي نزلت من أجل تغيير معتقدات باطلة وإبدالها بأخرى صحيحة ، ومن ثم تغيير سلوك الأفراد بما يتماشى مع المعتقد الجديد.

أما ما سماه (برينكر) وظيفة الالتزام وعرفها بالآتي « يفهم الباحث المتلقي أنه ملزم بإنجاز فعل معين ، أما الأنواع النصية التي بها وظيفة الالتزام فهي العقد ، والاتفاقية (المكتوبة) ، وشهادة الضمان ، والنذر ، والعهد ، والعرض إلخ »³.

من خلال تعريف (برينكر) لهذه الوظيفة يتضح لنا أن النص القرآني لا يتلاءم مع أي من هذه الأمور المذكورة ، فلا هو عقد بالمعنى العرفي لهذه الكلمة كعقد بيع ، أو شراء ، أو هبة ، أو وصية ، ولا هو اتفاقية مكتوبة بين طرفين بالمعنى المعروف لهذا المصطلح ، ولا

¹ . برينكر ، كلاوس . التحليل اللغوي للنصوص ، ص : 138.

² . المرجع نفسه ، ص : 143.

³ . المرجع نفسه ، ص : 153.

هو شهادة ضمان ، أو شهادة نذر ، ولا عهد ، أو عرض. نعم توجد هذه الأشكال النصية في القرآن الكريم ، فإن فيه التزام من الله تعالى لمن أطاعوه من عباده أن يدخلهم جنته ، ولمن عصاه منهم أن يدخله النار ، أو يعفو عن من يشاء ، وفيه أنواع من الوصايا ، كالوصايا العشر في آخر سورة الأنعام ، وكالوصية في حقوق الورثة وغير ذلك ، ولكن وجود هذه الأشكال النصية في القرآن الكريم لا يثبت تضمن النص الكريم لهذه الوظيفة ، لأن النصوص التي تحدثنا عنها ليست الصبغة الغالبة على القرآن الكريم ، فلا نستطيع أن نقول إن القرآن الكريم شهادة عقد بيع أو إيجار ، أو غير ذلك ، فالأمثلة التي ذكرت كنماذج لهذه الوظيفة لا تنطبق على القرآن الكريم ، وبالتالي فهذه الوظيفة لا توجد فيه.

أما بخصوص وظيفة الاتصال المتعلقة « بإقامة اتصال مع شخص والحفاظ عليه »¹، فإن هذه الوظيفة قد سبق الكلام عنها ضمن الحديث عن وظائف (جاكوبسون).

وأخيرا نأتي إلى وظيفة الإعلان ، ويذكر (برينكر) أن من أنواع النصوص التي لها وظيفة إعلان أساسية على سبيل المثال : مستند التعيين ، والوصية ، والحكم بالإدانة ، والتوكيل ، والشهادة ، ويتعلق الأمر عموما بأنواع نصوص مرتبطة بمؤسسات اجتماعية معينة. وهذه الأنواع من النصوص يصفها (برينكر) بأنها مما يوجد واقعا جديدا².

¹ . برينكر ، كلاوس . التحليل اللغوي للنصوص ، ص : 155.

² . المرجع نفسه ، ص : 157.

من خلال هذه التعريفات والأمثلة المضروبة يتبين لنا أن هذه الوظيفة لا تتطابق مع النص القرآني الكريم ، وعليه يمكننا أن نقول إن وظائف (برينكر) ، التي اقترحها كوظائف لغوية أساسية للنص منها ما يتلاءم مع النص القرآني ومنها ما لا يتلاءم معه ، فالكلام عن هذه الوظائف مثل الكلام عن سابقاتها.

والذي نخلص إليه من بحثنا في الوظائف اللغوية ما يأتي:

1. إن هذه الوظائف هي اجتهادات ولذا فيمكن حذف بعضها ، أو إضافة جديد إليها ، كما يمكن ضم بعضها إلى بعض في إطار وظائف أخرى.
2. إن النصوص اللغوية قد توجد فيها بعض هذه الوظائف دون البعض الآخر ، كما قد تغلب وظيفة معينة في نص ما على سائر الوظائف الأخرى.
3. إن النص القرآن الكريم يحمل وظائف لغوية . وهذا لا شك فيه ولكن ليس كل الوظائف اللغوية التي اقترحها اللسانيون توجد حتما في القرآن الكريم.
4. قد توجد في القرآن الكريم وظائف ترتبط به خاصة لم يتعرض لها الدارسون ومنها:
 - أ. وظيفة التشريع ، وهذه الوظيفة خاصة بنص الوحي الإلهي ، لأنه هو مصدر التشريع.
 - ب. وظيفة تثبيت المعتقد ، فالنص الكريم يدافع عن المعتقد الصحيح ويثبت عقيدة التوحيد.
 - ج. وظيفة التصنيف ، وبها يصنف الناس إلى مؤمنين وكافرين ومشركين ومنافقين ، وبالتالي يخاطب كل صنف بما يناسبه من الخطاب.
 - د. وظيفة تحديد الثواب والعقاب على الأعمال وتحديد المصير لكل فريق (الجنة أو النار).

هـ . وظيفة التزكية والإصلاح من خلال تقويم الأخلاق وتربية النفوس على الاستقامة ويتخذ لها القرآن أسلوب الترغيب والترهيب.

1.3. الوظيفية الإبلاغية في القرآن الكريم :

1.3.1. مفهوم الإبلاغ في اللغة :

جاء في معاجم اللغة العربية¹ : بلغ يبلغ بلوغا وبلاغا : وصل وانتهى ، البلاغ ما يتبلغ به ويوصل إلى الشيء المطلوب ، والبلاغ : ما بلغك ، والبلاغ : الإبلاغ ، وفي التنزيل : ﴿إِلَّا بَلَّغْنَا مِنْ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ﴾ [الجن : 23] ، أي لا أجد منجى إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به ، والإبلاغ الإيصال وكذلك التبليغ والاسم منه البلاغ ... أبلغته وبلغته بمعنى واحد ... وبلغت المكان بلوغا وصلت إليه ، وكذلك إذا شارفت عليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ﴾ [الطلاق : 2] أي قاربته ... والمبالغة أن تبلغ في الأمر جهدك ، والبلاغ أيضا الكفاية ، وشيء بالغ أي جيد ، وبالغ في الأمر إذا لم يقصر فيه ، وأمر بالغ وبلغ ، نافذ

¹ . ينظر : الزبيدي ، محمد مرتضى . تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : مصطفى حجازي ، مطبعة حكومة الكويت ، (دط) ، الكويت ، 1405 هـ . 1985 م ، ج : 22 ، ص : 444 . وابن سيده ، علي ابن إسماعيل . المحكم والمحيط الأعظم ، تح : إبراهيم الأبياري ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، ط : 1 ، (دب) ، 1391 هـ . 1971 م ، ج : 5 ، ص : 314 . وابن منظور ، محمد بن مكرم . لسان العرب ، ص : 345 . وابن فارس ، أبو الحسين أحمد . معجم مقاييس اللغة ، ج : 1 ، ص : 301 . والرازي ، محمد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، تح : محمود خاطر ، دار الفكر ، ط : 1 ، لبنان ، 1421 هـ . 2001 م ، ص : 36 .

يبلغ أنى أريد به ... والبلاغة الفصاحة ورجل بليغ ، حسن الكلام فصيح يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه.

مما سبق نخلص إلى أن مادة (ب ل غ) في اللغة العربية تنتهي إلى عدة معان هي : الوصول ، والانتها ، والإيصال ، والكفاية ، والاكتفاء ، والمشاركة ، والمقاربة ، والجودة ، والفصاحة ، والنفاد ، وبلوغ الجهد. وكل هذه المعاني تدور على معنى واحد هو الوصول إلى غاية.

وعلى هذا نستطيع القول إن الإبلاغ معناه إيصال أمر فيه كفاية وجودة مع بذل الجهد في إيصاله ونفاده إلى المراد إيصاله إليه. وحسب ما سبق يكون الإبلاغ فيه جهد من المبلغ (المرسل)، وبلوغ إلى (المتلقي) ، فلا يكفي فيه بلاغ المرسل حتى يكون فيه بلوغ إلى المتلقي ومحاولة للتأثير فيه. إن هذه المعاني تلتقي في ثلاث نقاط من المنظومة التواصلية : حيث يكون من المرسل الإيصال وبذل الجهد والمقاربة والفصاحة. ويكون الوصول والانتها والنفاد إلى المتلقي. ويكون في الرسالة الجودة والكفاية. وبهذا تكون عملية الإبلاغ هي إيصال رسالة جيدة وكافية ، تصل وتنفذ وتنتهي إلى ملتحق ، مع جهد مبذول وفصاحة من المرسل.

1. 3. 2 . مفهوم الإبلاغ في القرآن الكريم :

وردت مادة (بلغ) في القرآن الكريم بصيغ متعددة هي : « بلغ . بلغا . بلغت . بلغت . بلغت . بلغت . بلغوا . أبلغ . تبلغ . لتبلغوا . يبلغ . يبلغا . يبلغن . يبلغوا . بلغت .

أبلغكم . يبلغون . بَلَّغ . أبلغتكم . يبلغون . أبلغوا . أبلغه . بالغ . ببالغه . بالغوه . بالغيه . بالغة .
بليغا . بلاغ . بلاغا . مبلغهم ¹ .

وهذه الألفاظ الكريمة ، منها ما يفيد التبليغ ، ومنها ما يفيد معان أخرى ، والذي يبدو أن
الألفاظ المتعلقة بموضوع الإبلاغ هي : « بلغ . بلغت . أبلغكم . يبلغون . بلغ . أبلغتكم . أبلغوا
. بلاغ » ، وقد وردت هذه الألفاظ في القرآن كما يأتي :

1 . « بَلَّغ » في قوله تعالى : ﴿ لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : 19] .

2 . « بَلَّغ » و « بَلَّغْتَ » في قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلَّغَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا
بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة : 67] .

3 . « أَبَلَّغُكُمْ » وهذه وردت في ثلاث مواضع اثنان سورة الأعراف في قوله تعالى :

﴿ أَبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : 62] ، وفي قوله

تعالى : ﴿ أَبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف : 68] ، والثالث في سورة

الأحقاف في قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ، وَلَكِنِّي أَرَى كُفْرًا قَوْمًا جَاهِلُونَ ﴾

[الأحقاف : 23] .

¹ . ينظر : عبد الباقي ، محمد فؤاد . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، (د ط) ، مصر ، 1364 هـ ،

4 . « يُبَلِّغُونَ » ووردت في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ

وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب : 39].

5 . « أَبْلَغْتُكُمْ » وقد وردت في ثلاث مواضع اثنان في سورة الأعراف في قوله تعالى :

﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴾

[الأعراف : 79] وفي قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي

وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَأَسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ [الأعراف : 93] ، والثالث في سورة هود في

قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ

رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [هود : 57].

6 . « أَبْلَغُوا » ووردت في سورة الجن في قوله تعالى : ﴿ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ

بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخَصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن : 28].

7 . « بَلَغَ » وقد وردت في خمسة عشر موضعا منها اثنان بالنصب « بَلَغًا » والباقي

بالرفع « بَلَغٌ . البَلَغُ » ومن السور التي وردت فيها هذه اللفظة نذكر على سبيل المثال لا

الحصر : سورة آل عمران في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ

أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَكَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ

بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : 20] ، وسورة المائدة في قوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿ [المائدة : 92] ، وفي سورة الرعد في

قوله تعالى : ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتَوْفِقْنَاكَ فإِنَّمَا عَلَيْنَا الْبَلَّغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾

[الرعد : 40] ، وفي سورة إبراهيم في قوله تعالى : ﴿ هَذَا بَلَّغُ لِلنَّاسِ لِئَسْأَدُوا بِهِمْ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا

هُوَ إِلَهٌُ وَحِدٌ وَلِيَذْكُرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم : 52] ، وفي سورة الأنبياء في قوله تعالى :

﴿ إِن فِي هَذَا بَلَّغًا لِّقَوْمٍ عَكِيدِيتِ ﴾ [الأنبياء : 106] ... إلخ. أما مجموع ما ورد من

المادة ، فقد جاء في أكثر من سبعين آية من القرآن الكريم. وسنعرض فيما يأتي لبعض

الآيات القرآنية التي تناولت موضوع الإبلاغ لنتبين من خلالها مفهوم الإبلاغ القرآني :

1 . قال الله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ

يَعِصْمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : 67] ، تنص هذه الآية كما ذكر

المفسرون¹ على وجوب الإبلاغ ، فتأمر الرسول . صلى الله عليه وسلم . بصفته المبلغ عن

الله تعالى أن يبلغ كل ما أنزل إليه من ربه فلا يخفي شيئا ولا يستثني ، فإذا قصر في هذا

فلا يكون قد أدى رسالته ، ويعده تعالى بأنه يحفظه من الناس فلا يصلون إليه. وبهذا تكون

¹ . ينظر : ابن كثر ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآني العظيم ، تح : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ،

ط : 1 ، لبنان ، 1419 هـ . 1998 م ، ج : 3 ، ص : 136 وما بعدها . والألوسي ، شهاب الدين محمود . روح المعاني

في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث ، (د ط) ، لبنان ، (د ت) ، ج : 6 ، ص : 188 وما

بعدها . وابن عاشور ، محمد الطاهر . التحرير والتوير ، دار التونسية للنشر ، (د ط) ، تونس ، 1984 . ج : 6 ، ص

: 255 وما بعدها .

المادة الإبلابية هي كل النص القرآني ، ويكون الرسول مأمورا بإبلاغه كله إلى الناس كافة.

2 . قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : 19] ، قال القاسمي

في محاسن التأويل : « لأنذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الناس كافة ، فهو نذير

لكل من بلغه »¹ . وجاء في تفسير المنار : « وأنذر من بلغه هذا القرآن ، إذ كل من بلغه

فهو مدعو إلى اتباعه حتى تقوم الساعة »² .

وقال الزحيلي في التفسير المنير : « ثم أوضح الله مهمة النبي صلى الله عليه وسلم

وهي تلقي الوحي وتبليغه للناس جميعا ، فقال : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا ﴾ أي أنزل الله عليّ هذا القرآن

لأنذركم به يا أهل مكة ... وكذا لأنذر وأبشر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم ، فهو

نذير لكل من بلغه »³ .

ومما سبق يتضح أن الآية الكريمة تحمل إبلاغا بأن الله عز وجل يأمر رسوله أن يبلغ

القرآن الكريم ، وينذر به أولئك الذين كانوا معاصرين له ، وليكون هذا القرآن نذيرا بعد ذلك

لكل من يصله من الناس إلى آخر الزمان ، فإبلاغية الخطاب القرآني لا تقتصر على فئة

¹ . القاسمي ، محمد جمال الدين . محاسن التأويل ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط : 1 ،

مصر ، 1376هـ . 1957م ، ج : 6 ، ص : 2264 . 2265 .

² . رضا ، محمد رشيد . تفسير المنار ، دار المنار ، ط : 3 ، مصر ، 1367هـ ، ج : 7 ، ص : 339 .

³ . الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير ، دار الفكر ، ط : 10 ، سورية ، 1430هـ . 2009م ، م : 4 ، ج : 7 . 8 ، ص

: 164 .

من الناس ولا على زمان معين ، ولكن القرآن الكريم يخاطب الناس جميعا في كل زمان
ومكان ، فكل من بلغه القرآن فهو مخاطب به ؛ والضمير « هذا » في قوله تعالى :
﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ ﴾ وكذا الضمير « الهاء » في قوله ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِ ﴾ ، فيه إشارة إلى أن
القرآن الكريم كله قد أمر النبي . صلى الله عليه وسلم . بتبليغه ، ف كلا الضميرين يعود على
القرآن كله ، فالوظيفة الإبلاغية تشمل كل ما في القرآن الكريم.

1 . 3 . 3 . الوظيفة الإبلاغية في الدراسات اللسانية الحديثة :

الإبلاغ والتبليغ وظيفة رئيسة للسان البشري ، تقول خولة طالب الإبراهيمي : « اللسان
وسيلة أي أداة يستعملها الإنسان لتؤدي وظيفة معينة هي وظيفة التبليغ والاتصال والإخبار.
والتبليغ والتواصل هو التخاطب المتبادل بين أفراد جماعة ما ... تلك هي إذن الوظيفة
الرئيسة التي تؤديها الألسنة البشرية »¹.

كما تقول الباحثة في موضع آخر : « الوظيفة التبليغية التي تشمل الدورة التخاطبية
بجميع عناصرها وهي وظيفة الإخبار والتواصل والإفادة وهي في الحقيقة أساس الوظائف
الأخرى »².

وتعد الإبلاغية وظيفة في النص وخاصة من خصائصه ، حيث إن كل نص منجز إنما
أنجز لقصد إبلاغه ؛ تقول الأستاذة عايدة حوشي: « الإبلاغية بوصفها خاصية في النص ،

¹ . الإبراهيمي ، خولة طالب . مبادئ في اللسانيات ، دار القصبية للنشر ، ط : 2 ، الجزائر ، 2006 ، ص : 25.

² . المرجع نفسه ، ص : 30.

لا تجعله مستخدما وسيلة دون غاية بل تلحقه بعناصر القصد»¹.

ولكون الإبلاغية من خواص النص فقد تناولها الباحثون المعاصرون ، وإن يكن ما تم تناوله قليلا جدا مقارنة بالحجم الهائل للدراسات اللغوية المعاصرة ، ونحن نتحدث طبعا عن الدراسات اللغوية العربية ، ومن هذه التأليف ما كتبه (سمير أبو حمدان) بعنوان : «الإبلاغية في البلاغة العربية»².

وأیضا هناك رسالة دكتوراه أعدها الطالب نادر عبد الرحمن محمد الوقفي ، بعنوان «الإبلاغية في الشاهد البلاغي»³.

كما نجد طالبا آخر تناول « الجمل التي لا محل لها من الإعراب ووظائفها الإبلاغية » في مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علوم اللسان العربي⁴.

ومن الباحثين الذين تناولوا موضوع الإبلاغية (عفيف دمشقية) الذي ألف كتابا بعنوان

¹ . حوشي ، عائدة . الإبلاغية بين اللسانيات والسيما ، مجلة التبيين ، الجاحظية ، ع : 24 ، الجزائر ، 2005 ، ص : 64.

² . أبو حمدان ، سмир . الإبلاغية في البلاغة العربية ، منشورات عويدات الدولية ، ط : 1 ، لبنان ، 1991.

³ . الوقفي ، نادر عبد الرحمن . الإبلاغية في الشاهد البلاغي ، رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة

الدكتوراه في الأدب العربي ، إشراف الدكتور : زهير منصور ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة مؤتة ، 2007.

⁴ . بلعش ، اليزيد . الجمل التي لا محل لها من الإعراب ووظائفها الإبلاغية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، إشراف

الدكتور: لخضر بلخير ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحاج لخضر . باتنة ،

الجزائر ، السنة الجامعية 2006 . 2007 م . 1427 . 1428 هـ .

«الانفعالية والإبلاغية في بعض أقاصيص ميخائيل نعيمة» ، كما نشر مقالا بعنوان «الإبلاغية فرع من الألسنية»¹.

كما كتب الأستاذان : عبد المهدي الجراح وخالد الهزايمة مقالا بعنوان : «عوامل تشكيل الأبعاد الإبلاغية النصية في قصيدة "يا شعر" للشابي»².

وها نحن نقف على تعريف الوظيفة الإبلاغية في اصطلاح اللسانيين المعاصرين ، ولتكن البداية مع سمير أبي حمدان الذي طرح السؤال الآتي : ماذا تعني الإبلاغية ؟ ثم راح يحدد مجالها بالأسلوبية والبلاغة ، فعنده أن الأسلوبية تحفر طريقا لها باتجاه منطقة محددة في الأثر الإبداعي أطلق عليها المنطقة الإبلاغية ، وفي موضع آخر عدها جوهر البلاغة ولبها ، وأن اللغة الأدبية هي مسرحها ومربط خيلها. والإبلاغية التي يقصد إليها سمير أبو حمدان تقفز فوق الجانبين الموضوعي والفكري للكلام ، وتقفز فوق عملية توصيل الأفكار.

إن الإبلاغية كما يرى أبو حمدان ، هي القيم الانفعالية في اللغة ، وتناغم الأصوات ، والإيقاع وإبراز عناصر معينة في العبارة ... إلخ³.

¹ . ينظر : أبو حمدان ، سمير . الإبلاغية في البلاغة العربية ، ص : 37 . 38.

² . ينظر : الجراح ، عبد المهدي وخالد الهزايمة . عوامل تشكيل الأبعاد الإبلاغية النصية في قصيدة «يا شعر» للشابي ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب ، م : 4 ، ع : 1 ، 1428 هـ . 2007 م ، جمعية كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية ، كلية الآداب ، جامعة اليرموك ، اريد ، الأردن .

³ . ينظر : أبو حمدان ، سمير . المرجع نفسه ، ص : 37.

وهذا النطاق الذي حدده سمير أبو حمدان لا يتعدى المباحث الأسلوبية ، وبالتالي نستطيع القول إن الإبلاغية في مفهوم سمير أبي حمدان هي من مباحث علم الأسلوب ، لأنه العلم الذي يبحث في الشحنات النفسية التعبيرية ، وما يريد الكاتب إبرازه من القيم الصوتية والتعبيرية التي يشحن بها نصه. الإبلاغية عند سمير أبي حمدان ترتبط بالحالة النفسية عند المبدع وما يريد أن يوجهه إلى المتلقي.

ويتفق الهزايمة والجراح في تعريف الإبلاغية مع ما ذهب إليه أبو حمدان فهما يريان أن الإبلاغية تشمل كل ما يجاوز الجانبين العاطفي والفكري من الكلام وكل ما يجاوز كذلك إيصال الوقائع والآراء إلى الآخرين وموطنها الأسلوب. كما يربطانها بالانفعالية فالإبلاغية هي الأثر الانفعالي والتعبيري الأساسي للرسالة ، وتقوم على استخدام المرسل لتقنيات لغوية وأسلوبية وبيانية تجعل المستقبل يتأثر بما يقرأ ويتفاعل مع النص المقروء. وكما أن الإبلاغية موجودة في السياق اللغوي فإن الكاتبين لا يريان استبعاد السياق غير اللغوي ، فليس من المعقول إذن . كما يريان . استبعاد السياق غير اللغوي من دائرة العملية الإبلاغية وحصر ذلك كله بالسياق اللغوي بحسب. كما يشيران إلى مسألة هامة في الإبلاغية ، وهي مسألة التأثير في المتلقي فالإبلاغية تشمل جميع الإمكانيات اللغوية والأدبية والدلالية والأسلوبية التي ينتجها المبدع سعياً إلى التأثير في نفسية المستقبل¹.

¹. ينظر : الجراح ، عبد المهدي وخالد الهزايمة . عوامل تشكيل الأبعاد الإبلاغية النصية في قصيدة «يا شعر» للشابي ،

أما الأساتذة حوشي فقد ربطت الإبلاغية بعناصر القصد إذ تقول : « الإبلاغية بوصفها خاصة في النص ، لا تجعله مستخدماً وسيلة دون غاية بل تلحقه بعناصر القصد »¹.

وأما كلاوس برينكر فإنه يعرف الوظيفة الإبلاغية بقوله : « يفهم الباحث المتلقي أنه يوفر له معرفة ، وأنه يريد أن يبلغه شيئاً ، ويمكن أن توضح وظيفة الإبلاغ بالعبارة المفسرة الآتية : أنا (الباحث) أبلغك (المتلقي) الحالة / الواقعة س (مضمون النص) »².

وهذا التعريف يفسر الإبلاغية بأنها علاقة بين ثلاثة عناصر هي : الباحث أو المرسل وهو منشئ النص ومبلغه إلى الآخر ، والمستقبل أو المتلقي وهو الذي يتلقى النص الذي أنشئ من أجل تبليغه إليه ، والنص وهو مضمون رسالة الإبلاغ ، وهذا الأخير يحتوي على عناصر لغوية وسياقية ، وقد أعده الباحث ليكون وسيلته في التأثير على المتلقي وإقناعه ، وبهذا تكون جميع النصوص المنجزة فعلاً شعراً كانت أو نثراً ، هي نصوص إبلاغية لأن منشئها أعدها بقصد الوصول إلى قارئ ما ، وهذا القصد يجعل أي نص منجز يحمل وظيفة إبلاغية. والقرآن الكريم بوصفه نصاً فإن له وظيفة إبلاغية ، وعناصر الإبلاغ موجودة فيه.

مما سبق ، نلاحظ أن تعريف (كلاوس برينكر) هو التعريف الذي يتوافق مع بحثنا ، لأنه داخل في صميم لسانيات النص التي نتناول بحثنا من منظورها ؛ أما التعريفات الأخرى فقد ركز أصحابها على الجوانب الأسلوبية معتبرين الإبلاغية جزءاً من علم الأسلوب ، ولهذا

¹ . حوشي ، عابدة . الإبلاغية بين اللسانيات والسيما ، ص : 64.

² . برينكر ، كلاوس . التحليل اللغوي للنصوص ، ص : 154.

فستتبنى في بحثنا تعريف (برينكر) ليكون منطلقنا في بحث إبلاغية الخطاب القرآني وما يحمله نصه الكريم من قيم إبلاغية¹.

وقبل أن نتناول دراسة الوظيفة الإبلاغية في الخطاب القرآني سنبدأ في المباحث النظرية لنبحث في التحليل النصي والتواصل اللغوي وعلاقته بالإبلاغية.

2 . التحليل النصي للخطاب :

1 . 2 . مفهوم النص والخطاب :

1 . 1 . 2 . مفهوم النص :

1 . 1 . 1 . 2 . مفهوم النص لغة :

جاء في لسان العرب : نصص : النص رفعك الشيء ... وكل ما أظهر فقد نص ...
ووضع في المنصة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور ... ونص المتاع نصا : جعل بعضه على بعض... وأصل النص أقصى الشيء وغايته ... والنص : التوقيف والنص التعيين على شيء ما ونص كل شيء منتهاه².

مما سبق يتضح أن النص له مجموعة من المعاني هي : الظهور والرفع والشهرة

¹ . القيمة الإبلاغية للقول هي ما يخبر به هذا القول عن العالم ، ينظر : موشر ، جاك ، وأن ريبول . القاموس الموسوعي للتداولية ، تر : مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب ومراجعة خالد الميلاد ، دار سيناترا ، ط : 2 ، تونس ، 2010م ، ص : 322.

² . ابن منظور ، محمد بن مكرم . لسان العرب ، ص : 4441 . 4442.

والفضيحة وأقصى الشيء وغايته ومنتهاه والتوقيف والتعيين.

وهذه الدلالات تقترب من الدلالة الاصطلاحية يقول الأزهر الزناد : « وهذه المعاني كلها تعود إلى جامع واحد هو «الارتفاع» أو هو «أظهر مكونات الشيء» أو «أقصاه» ويمكن أن تتوسل بما سبق في فهم إجراء «النص» في الاصطلاح على كائن لغوي ، فهو يطلق على ما به يظهر المعنى ، أي التشكل الصوتي المسموع من الكلام أو التشكل المرئي منه عندما يترجم إلى المكتوب »¹.

2.1.1.2 . مفهوم النص في الاصطلاح :

رغم أن الدراسات اللسانية النصية . نظرية وتطبيقية . أصبحت اليوم كثيرة كثرة ظاهرة ، إلا أن الباحث حينما يحاول تحديد مفهوم مصطلح النص فإنه يصطدم بكم هائل من التعريفات التي لا تكاد تقترب من بعضها أحياناً.

وفي هذا يقول الدكتور سعيد حسن بحيري : « يجب أن يوضع في الاعتبار أن مسألة وجود تعريف جامع مانع للنص مسألة غير منطقية من جهة التصور اللغوي »².

¹ . الزناد ، الأزهر . نسيج النص . بحث فيما يكون به الملفوظ نصا ، المركز الثقافي العربي ، ط : 1 ، المغرب ، 1993م ، ص : 12.

² . بحيري ، سعيد حسن . علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، مؤسسة المختار ، ط : 1 ، مصر ، 1424 هـ . 2004م ، ص : 99.

ومرد ذلك في نظر الكاتب إلى اختلاف الانتماءات بين العلماء الذين تصدوا لتحديد النص وتعريفه ، فهم ينتمون إلى مدارس مختلفة ، وهذا لا يمنع في نظره من محاولة إيجاد تعريف يجمع تلك الملامح التي تفرقت في التعريفات المتعددة ، فيقول : « ومع ذلك تظل محاولة الوصول إلى تعريف يضم أكبر عدد من الملامح الفارقة للنص محاولة طموحة »¹. ولتعدد هذه التعريفات وكثرتها فمن غير الممكن الوقوف عليها كلها ، كما أنه ليس من اهتمام بحثنا الإطالة في هذا الجانب النظري ، لذلك سنقتصر على بعض هذه التعريفات ، ومنها تعريف (هاليداي ورقية حسن) الذين عرفا النص في كتابهما «الانسجام في الإنجليزية» بقولهما : « إن كلمة نص Text تستخدم في علم اللغويات لتشير إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة ، مهما كان طولها شريطة أن تكون وحدة متكاملة »².

وجاء في كتاب « المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب » تعريف النص بأنه « وحدة كبرى شاملة تتكون من أجزاء مختلفة تقع على مستوى أفقي من الناحية النحوية ، وعلى مستوى عمودي من الناحية الدلالية »³.

أما (جوليا كريستيفا) ، فيما ترجمه صلاح فضل ، فقد عرفت النص بأنه « جهاز عبر

¹. بحيري ، سعيد حسن . علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص : 99.

². الصيحي ، محمد الأخضر . مدخل إلى علم النص ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، (دط) ، لبنان ، (دت) ، ص :

.21

³. بوقرة ، النعمان . المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب

العالمي ، ط : 1 ، الأردن ، 1429 هـ . 2009م ، ص : 141.

لغوي ، يعيد توزيع نظام اللغة ، وذلك بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية ، مشيراً إلى بيانات مباشرة تربطها أنماط مختلفة من الأقوال السابقة عليها والمتزامنة معها¹.

أما القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان فإنه يعرف النص بوصفه « سلسلة لسانية محكية أو مكتوبة وتشكل وحدة تواصلية »².

وهذا التعريف يكاد يكون شاملاً إذ يجمع بين الشكل والمضمون والمقصد ، فالنص بكونه سلسلة يكون مترابطة متلاحماً ، وليس أجزاء مفرقة ، وكون النص سلسلة لسانية فهو أصوات تتشكل منها ملفوظات ذوات دلالات ومضامين ، وتتجمع في جمل لتشكل نصاً ذا دلالة كبرى. وكون هذه السلسلة اللسانية محكية أو مكتوبة يجعل النص غير مقصور على المكتوب بل يشمل المحكي الشفاهي أيضاً ويسمى كل ذلك نصاً. وكون هذه السلسلة تتشكل وحدة تواصلية معناه أن النص وحدة ذات مقصديه تواصلية ، أي لا بد من وجود مرسل ومتلق ورسالة بينهما ، والتركيز على الجانب التواصلية للنصوص مهم جداً لأن هذه النصوص منجزة لقصد إبلاغي مراد منه التأثير والإقناع ، ولا يوجد نص أنجز فقط لغرض إنجازه وإلا كان عبثاً لا فائدة منه.

2. 1. 2 . مفهوم الخطاب :

¹ . فضل ، صلاح . مناهج النقد المعاصر ، أفريقيا الشرق ، (دط) ، لبنان ، 2002 ، ص: 127.

² . ديكرو ، أوزوالد وجان ماري سشايغر . القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، تر : منذر عياشي ، المركز الثقافي

العربي ، ط : 3 ، المغرب ، 2007 ، ص : 533.

1.2.1.2 . مفهوم الخطاب لغة :

جاء في لسان العرب : الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا ، وهما يتخاطبان¹.

وجاء في المعجم الوسيط : خاطبه مخاطبة وخطابا ، كالمه وحادثه وخاطبه وجه إليه كلاما ويقال : خاطبه في الأمر : حدثه بشأنه ، تخاطبا : تكالما وتحدثا... (الخطاب) : الكلام وفي التنزيل العزيز : ﴿ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ [ص : 23] ، والخطاب الرسالة².

1.2.1.2 . مفهوم الخطاب في الاصطلاح :

جاء في معجم تحليل الخطاب عدة تعريفات منها : الخطاب يمثل وحدة لسانية متكونة من جمل متعاقبة ، وفي تعريف آخر الخطاب هو الاستعمال بين الناس لعلامات صوتية مركبة لتبليغ رغباتهم أو آرائهم في الأشياء ، والخطاب أيضا يتصور باعتباره إقحاما لنص في مقامه « ظروف إنتاجه وتقبله »³.

هذه بعض تعريفات الخطاب التي ساقها المعجم المذكور حيث نلاحظ أن هذه التعريفات تركزت على الجانب الشكلي لأن الخطاب متكون من علامات صوتية أو من

¹ . ينظر : ابن منظور ، محمد بن مكرم . لسان العرب ، ص : 1194.

² . ينظر : مجمع اللغة العربية بمصر . المعجم الوسيط ، ص : 243.

³ . ينظر : شارودو ، باتريك ودومينيك منغنو . معجم تحليل للخطاب ، ص : 180 وما بعدها.

جمل متعاقبة ، كما ركزت على المقام وهو ظروف إنتاج الخطاب وتقبله ، كما ركزت أيضا على القصد من استعمال الخطاب ، وهذا القصد هو الإبلاغ أو التبليغ ، وهو ينصرف إلى محاولة كل مرسل إبلاغ ما يريد إبلاغه إلى متلق معين ، بغرض التأثير والإقناع.

2.2 . علاقة النص بالخطاب :

النص والخطاب من المصطلحات الرائجة في الدراسات النصية وتحليل الخطاب ، وبين هذين المصطلحين تداخل يجعل التمييز بينهما صعبا ، ويوجد في معالجة هذا الأمر ثلاثة اتجاهات¹ :

الأول : يجعل هذين المصطلحين مترادفين فلا فرق عنده بين النص والخطاب.

الثاني : يفرق بين النص والخطاب ، فالنص ما كان مكتوبا والخطاب ما كان شفويا.

الثالث : يجعل العلاقة بينهما كعلاقة الجزء بالكل أي إن الخطاب يشمل النص.

وترى الباحثة ليندة قياس أن هذه التفرقة « لم تعد قائمة بين النص والخطاب في مجال

التحليل اللساني النصي ، وبات ينظر إلى النص على أنه الخطاب فهو متصل به ومتلاحم

معه ذلك أن النص لا يستطيع أن يتواجد إلا عبر الخطاب² .

¹ . ينظر : عامر ، مجيد مطشر . نظرية النص في البحث اللساني الحديث ، مجلة آداب ذي قار ، ع : 1 ، م : 5 ،

العراق ، حزيران 2009 ، ص : 24.

² . قياس ، ليندة . لسانيات للنص النظرية والتطبيق ، مكتبة الآداب ، ط : 1 ، مصر ، 1430 هـ . 2009 م ، ص :

ومن الباحثين الذين لم يفرقوا بين النص والخطاب ، الباحث محمد خطابي¹ ، حيث يذكر المصطلحين حيثما وردا في كتابه «لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب» بينهما خط مائل (النص / الخطاب) ، للدلالة على أنهما شيء واحد.

هذا وإن إسقاط الفوارق بين النص والخطاب أمر بالغ الأهمية إذ يخرج الباحث من دوامة لا نهاية لها ، ويحيله على التطبيق بدل التهويم وراء المصطلحات ، فالأجدر التوفيق بين هذين المصطلحين ، فكل نص خطاب وكل خطاب نص ، فكلاهما لا بد فيه من مرسل باث ، وملتق مستقبل ، وكلاهما لا بد فيه من مراعاة ظروف إنتاجه وتلقيه ، وكلاهما لا بد فيه من اتساق وانسجام ، وكلاهما بنية كبرى قياسا إلى الجملة التي هي بنية صغرى ، إلى غير ذلك من النقاط التي تجعل من هذين المصطلحين شيئا واحدا ، وهذا ما سنعمل به في هذا البحث الذي نحن بصددده.

2. 3 . المعايير النصية للخطاب القرآني :

المعايير النصية هي معايير اقترحها (دي بوغراندي ودرسلير) ، فالنص عندهما « حدث اتصالي تتحقق نصيته إذا اجتمعت له سبعة معايير هي : السبك / التضام ، والالتحام / التقارن ، والقصد / القصدية ، والقبول / التقبيلية ، والإعلامية ، ورعاية الموقف / الموقفية ،

¹ . ينظر: خطابي ، محمد . لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، ط : 2 ، المغرب ،

2006م ، ص : 5 وما بعدها.

إن هذه المعايير المذكورة تكاد تكون معايير جامعة بحيث تستوعب أغلب المعايير

النصية ، إلا أنه لا بد من الإشارة إلى جملة من الأمور :

1 . إن هذه المعايير المذكورة ، لا يتحتم توفرها جميعا ليكون الملفوظ نصا ، بل يمكن أن يوجد في النص أقل قدر من هذه المعايير .

2 . إن هذه المعايير هي اقتراح واجتهاد بشري ، وحتى وإن قوبلت بالاستحسان والقبول من قبل الدارسين ، إلا أنه لا يمنع من ظهور معايير أخرى غير هذه ، لهذا نقول : إن هذه المعايير جامعة لأغلب ما يتحقق به نصية النص ، غير أنها غير مانعة من وجود معايير أخرى قد يضيفها هذا الباحث أو ذلك فالأمر مجال اجتهاد .

3 . إن التعامل مع نص القرآن الكريم يختلف عن التعامل مع أي نص آخر ، فالقرآن الكريم نص له قدسيته رغم أنه نص لغوي ، وعلى هذا فليس من المحتم أن تكون كل هذه المعايير موجودة في النص القرآني الكريم ، رغم أنه نص بلا ارتياب ؛ وليس من المحتم أيضا أن نكره النصوص العربية على ما وضع لدى الغرب من القواعد النظرية ، لأن لكل لغة

¹ . دي بوغراند ، روبيرت وفلفغانغ دريسلر . بالاشتراك مع : إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد ، مدخل إلى علم لغة النص ، مطبعة دار الكاتب ، ط : 1 ، (دب) ، 1413 هـ . 1993م ، ص : 12 . وينظر أيضا : دي بوغراند ، روبيوت . النص والخطاب والإجراء ، تر : حسان ، تمام . عالم الكتب ، ط : 1 ، مصر ، 1418 هـ . 1998م ، ص 103 وما بعدها .

خصوصياتها ، وقد ذكر الدكتور سعيد حسن بحيري في مقدمة كتابه « علم اللغة النصي المفاهيم والاتجاهات »¹ أن هناك قواعد تنتم بالعموم ، ويمكن تطبيقها على نصوص من لغتنا أو أي لغة أخرى ، وهناك قواعد تختص فقط بتلك اللغات التي نشأت أو ظهرت فيها ، فمن غير المنطقي أن يكره النص العربي عموما ، والقرآن الكريم خصوصا على قبول تلك القواعد والمعايير ، فإن إكراه النصوص العربية على قبول تلك النظريات والمقولات يعد إجحافا ، فكيف إذا تعلق الأمر بنص ذي قدسية كالقرآن الكريم ، وقد بحثنا في وظائف اللغة وتوصلنا إلى أن بعض هذه الوظائف يتوافق مع نص القرآن الكريم وبعضها لا يتوافق ، وسوف نبحث هنا في المعايير النصية ، لنرى ما يتوافق مع نص القرآن وما لا يتوافق.

1 . المعيار الأول الاتساق :

ويسمى الربط والسبك ، والاتساق أو الربط النحوي هو مظهر عام يتحقق في كل نص كيفما كان جنسه أو نوعه ، لأنه قوام النص أو على الأقل شرط أول لكي يكون الكلام نصا ، ويقصد بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما ، ويهتم بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من النص أو للنص برمته ، فيتبع الواصف طريقة خطية تتدرج من البداية إلى النهاية ، راصدا الضمائر والإشارات المحلية ، مهتما بوسائل متنوعة كالعطف والاستبدال والحذف والمقارنة والاستدراك من أجل البرهنة

¹ . بحيري ، سعيد حسن . علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص : 12.

على أن النص يشكل كلا واحدا¹. وهذا المعيار موجود في القرآن الكريم بشكل واضح فكل عناصر الاتساق كالضمائر وأسماء الإشارة ، والإحالة بأنواعها كلها مقاميه أو نصية ، قبلية أو بعدية وكذا العطف والتكرار والاستبدال والحذف وغير ذلك ، وكله موجود متحقق في النص للكريم .

2 . المعيار الثاني الانسجام :

ويسمى التماسك الدلالي أو الترابط المفهومي وهو كما يقول سعيد حسن بحيري : « يتعلق بمكونات عالم النص ، إذ تتألف مجموعة من المفاهيم والعلاقات التي تشكل داخل النص شكلا آخر من أشكال الترابط والانسجام ، إلا أنه ترابط مفهومي ، دلالي بين أبنية النص »².

وهذا المعيار لا يتعلق بوسائل نحوية بل بعلاقات دلالية ، إنه يتعلق بالانسجام الداخلي بين الدلالات أو المضامين ، فمضمون النص هو أساس التماسك³.

وحسب ما ذكر فإن معيار الانسجام متعلق بالمفاهيم والدلالات داخل النص ، وإذا نظرنا إلى نص القرآن الكريم وجدنا ترابطا دلاليا ومضمونيا واضحا ، حيث نجد للقرآن الكريم

¹ . ينظر : البستاني ، بشرى حمدي ووسن عبد الغني المختار . في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم دراسة نظرية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، العراق ، م : 11 ، ع : 1 ، 2011 ، ص : 182.

² . ينظر : بحيري ، سعيد حسن . اتجاهات لغوية معاصرة ، مجلة علامات للنقد ، ج : 38 ، م : 10 ، السعودية ، رمضان 1421هـ . ديسمبر 2000م ، ص : 132.

³ . ينظر : المرجع نفسه ، ص : 174 . 175.

مقاصد كبرى تتطوي تحتها مقاصد جزئية ، فالموضوع الرئيس في القرآن الكريم هو الإيمان بالله تعالى وعبادته وحده ونبذ ما سواه من المعبودات ، وضمنه نجد مقاصد كلية ، من عقيدة ، وعبادة ، وشرائع ، وأخلاق ، وكل مقصد من هذه المقاصد تندرج تحته مضامين أخرى ، فمثلا في مجال العبادات نجد الفرائض كالصلاة والصيام وغيرها ، وفي مجال الشرائع نجد أحكام الأسرة والبيوع والمعاملات والحدود والقصاص وغيرها ، وفي مجال الأخلاق نجد مواضيع كالصدق والأمانة وأضدادها كالكذب والخيانة وغير ذلك... إلخ. وخلاصة القول : إن معيار الانسجام كمعيار الاتساق ، كلاهما متحقق في نص القرآن الكريم ، وسوف نفرد لهذين المعيارين فصلا مستقلا في آخر البحث.

3 . المعيار الثالث القصديّة :

تعتبر القصديّة الشرط الثالث من الشروط الأربعة الجوهرية اللازمة لوصف نص ما بالنصية ، وهي تتعلق بموقف صاحب النص ، الذي يريد تحقيق قصد من هذا النص ، يقدم معرفة أو يحقق هدفا¹ .

و« تشير القصديّة إلى جميع الطرق التي يتخذها منتج النص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها»².

¹. ينظر : بحيري ، سعيد حسن . اتجاهات لغوية معاصرة ، ص : 176.

². محمد ، عزة شبل . علم لغة النص . النظرية والتطبيق ، مطبعة الآداب ، ط : 2 ، مصر ، 1430هـ . 2009م ، ص

والقصدية ترتبط ارتباطا وثيقا بالوظيفة الإبلاغية في النص ، لأن المرسل يرسل نصه إلى متلق ، وفي نية المرسل إبلاغ المتلقي بمحتوى ما يريد إرساله إليه ، وكذلك التأثير عليه وإقناعه بمضمون الرسالة.

ومعيار القصدية متحقق في نص القرآن الكريم فهو منزل بقصد إلى كل المتلقين وهم الناس جميعا قال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : 158] ، ويندرج ضمن هذا المقصد تعليم الناس الشرائع والأحكام : ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 151] ، وإقامة الحجة على المعاندين : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام : 149] ، وهداية من شاء الله ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : 16] ، وهكذا نرى أن معيار المقصدية موجود في النص الكريم.

4 . المعيار الرابع الموقفية أو المقامية :

ويتعلق بمناسبة النص للموقف ، ويعد هذا المعيار من المعايير الجوهرية لتحقيق نصية نص ما ، إذ إن معنى النص لا يتحدد إلا من خلال استخدامه في موقف ما ، أي المحيط الثقافي والاجتماعي والحضاري ، فضلا عن المحيط اللغوي للعلامات المحددة

بالسياق¹. والنص القرآني نزل منجما تبعا لتتوع الأحداث والظروف ، ولم ينزل في مكان ولا زمان ولا حدث واحد ، وهذا أمر معلوم لدى الباحثين فمنه ما نزل بمكة ، ومنه ما نزل بالمدينة ، ومنه ما نزل بما سواهما² ، وقد بين العلماء الفروق بين القرآن المكي والقرآن المدني ، ولذا فلا بد من معرفة أسباب النزول لفهم القرآن الكريم ، وذلك متعلق بالموقف أو السياق الخارجي المحيط بالنص ، أما ما يتعلق بالسياق الداخلي فقد درسه العلماء في علم المناسبة³ ، فكل آية وكل سورة مناسبة لما قبلها وما بعدها ، وبذلك يكون النص القرآني من حيث السياق الداخلي والخارجي نصا مترابطا.

5 . المعيار الخامس المقبولية :

إذا كانت القصيدة تتعلق بصاحب النص ومرسله ، فإن المقبولية تتعلق بمن يتلقى هذا النص ، وهذان المعياران يختصان بمن يستخدم اللغة ، أي المرسل والمتلقي ، ويعد معيار المقبولية نسبيا ، فكل متلق يختلف في تقدير النص عن غيره من المتلقين ، كما تتعلق

¹ . ينظر : البستاني ، بشرى حمدي ووسن عبد الغني المختار . في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم دراسة نظرية، ص : 190.

² . ينظر : عتر ، نور الدين . علوم القرآن الكريم ، مطبعة الصباح ، ط : 1 ، سورية ، 1414 هـ . 1993 م ، الفصل الثالث : نزول القرآن منجما وأسراره ، ص : 25 . 34 ، والفصل السادس : أسباب نزول القرآن ، ص : 46 . 54 ، والفصل السابع : المكي والمدني ، ص : 55 . 63.

³ . ينظر : السيوطي ، عبد الرحمن . علم المناسبات في السور والآيات ، تح : محمد بن عمر بن سالم بازمول ، المكتبة المكية ، ط : 1 ، السعودية ، 1423 هـ . 2002 م.

المقبولة أيضا بنوع الأسلوب ووسائل تزيينه وأشكال التنوع اللغوي¹.

والأمر الذي لا خلاف فيه أن القرآن الكريم تلقى بالقبول ، وذلت له الرقاب ، وخضع له أساطين البلغاء ، ولا يوجد أحد . ممن يعتقد بقوله . طعن على القرآن الكريم ، بل على العكس من ذلك ، لقد كان غير المسلمين من العرب يقرؤون القرآن الكريم ، لا ليؤمنوا به بل ليتعلموا منه الأدب واللغة والبلاغة ، وكل من زعم في القرآن تناقضا ، وجد من رد عليه زعمه ، ولا يعني ذلك أن القرآن الكريم مقبول من كل الناس ، فلكل نص مخالفوه ، ولكن كل من يحترم نفسه ، ويعرف قدره ، فإنه وإن لم يؤمن بما في القرآن الكريم ، ولم ينتفع بهداه فإنه لا يتجنى على القرآن ولا يرفضه ، ولذا وجدنا منذ العهد الأول ، ومن أعداء القرآن أنفسهم ، شهادات تدل على الاعتراف بعظمة القرآن الكريم وروعته وجلاله.

6 . المعيار السادس الإخبارية :

تتداخل في هذا المعيار العوامل اللغوية وغير اللغوية ، إذ يختص بنوع المعلومة التي يقدمها النص ، ولذلك يتوقف عليه عامل التأثير ، ويرى (دي بوجرناد ودرسلير) أن كل نص إخباري بدرجة ما ، وتتعلق الإخبارية بتشكيل قيمة النص أي موضوعه وعلى هذا فإن معيار الإخبارية من المعايير النصية التي توجد في القرآن الكريم ، فهو رسالة إبلاغية ، وقد تناولنا بحث موضوع الإبلاغية فيما سبق من هذا الفصل.

7 . المعيار السابع التناس :

¹ . ينظر : بحيري ، سعيد حسن . اتجاهات لغوية معاصرة ، ص : 177 . 178 .

وهذا المعيار متعلق بالعلاقة المتبادلة بين النصوص ، والتناص قد يكون داخليا أي يكون بين نصوص لكاتب واحد ، حيث تفسر نصوصه بعضها ببعض وقد يكون خارجيا ، أي يقع التداخل بين نصوص لكاتبين مختلفين¹.

والقرآن الكريم لا يتناص مع نصوص أخرى لأي كان ، فهو كلام الله عز وجل ، وليس فيه شيء من كلام البشر ، ولكنه تتناص سورة فيما بينها تناصا داخليا ، وهذا ما سنتناوله في مبحث لاحق².

والخلاصة أن القرآن الكريم نص متكامل النصية ، لأن جميع المعايير النصية متوفرة فيه ولا يختل فيه واحد منها.

3 . إبلاغية الخطاب والتواصل اللغوي :

3 . 1 . مفهوم التواصل اللغوي :

تقترن حياة اللغة بعملية التواصل واللغة التي لا يتم التواصل بها ليس لها وجود ، وحياة كل لغة يعني بقاءها في دائرة التواصل والتداول ، وفناؤها وزوالها يعني خروجها من دائرة التواصل³.

¹ . ينظر : بحيري ، سعيد حسن . اتجاهات لغوية معاصرة ، ص : 180.

² . ينظر : مبحث العلاقات الخارجية في الفصل الرابع من هذا البحث.

³ . ينظر : إستيتية ، سمير شريف . اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج ، عالم الكتب الحديث ودارا للكتاب العالمي ، ط : 2 ، الأردن ، 1429 هـ . 2008 م ، ص : 675.

و« الوظيفة الأصل والأساس للغة هي إقامة التواصل داخل المجتمعات وأن ما عداها فرع عنها »¹.

والتواصل ظاهرة اجتماعية إنسانية ، وكل علامة يستعملها الإنسان لها غاية تواصلية² ، والإنسان يملك القدرة اللسانية على التواصل ، وتتمثل قدرته في امتلاك نظام لغوي يشمل مبادئ العلاقات والقواعد والقوانين ، ومن هنا كانت اللغة أرقى وسائل التعبير والتبليغ والاتصال ثم التواصل³.

والأصل الاشتقاقي لكلمة (تواصل) هو جعل الشيء مشتركا ، فالتواصل بمثابة نقل الرسائل وتبادل الدوال بين ذات مرسله وذات مستقبله ، وهو بأبسط التعريفات : نقل معلومة من مرسل (أ) إلى متلق (ب) عبر قناة اتصال (ج) ، وعلى هذا الأساس فالتواصل يعني الاشتراك مع الآخرين في عملية تبادل الرموز وانتقال المعلومات بين الأنا والآخر⁴.

وجاء في معجم تحليل الخطاب أخذا من المعجم الفرنسي (Le robert) أن هذه الكلمة (communication) أخذت آخر القرن 13م وبداية القرن 14م من المشتق اللاتيني

¹ . المتوكل ، أحمد . اللسانيات الوظيفية المقارنة ، دار الإيمان ، ط : 1 ، المغرب ، 1433هـ . 2012م ، ص : 118.

² . ينظر : صدار ، نور الدين . سيميائيات التواصل الفني بحث في إشكالات المقصدية ، مجلة أيقونات ، ع : 3 ، رابطة

(سيما) للبحوث السيميائية . سيدي بلعباس ، الجزائر ، 2011م ، ص : 120.

³ . ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

⁴ . ينظر : جاكويسون ، رومان ، وآخرون . التواصل نظريات ومقاربات ، ص : 8.

(*communicatio*) ويعني اشتراك في شيء ، تبادل القول ، إبلاغ. واعتبرت منذ الفرنسية القديمة طريقة مفضلة في العلاقات الاجتماعية¹.

فحسب هذا التوجه فإن لفظة (communication) أو التواصل تعني وجود طرفين على الأقل ، طرف مرسل ، وآخر مستقبل ، وفي كل الحالات ، وحتى في التواصل الذاتي الداخلي فإن الإنسان يتصور ثانياً يتواصل معه ولا يمكن أن يكون تواصل من طرف واحد وقد فرق الدكتور سمير شريف إستيبيه بين الاتصال والتواصل ، وحسب الباحث ، فإن الاتصال قد يكون من طرف واحد أما التواصل فلا بد أن يكون بين طرفين².

وتعد نظرية التواصل ، نظرية قديمة ضاربة جذورها في التراث الإنساني الذي وصل إلينا ، بدءاً باليونان ومروراً بالدراسات العربية ، كدراسات الجاحظ وابن سنان الخفاجي والسكاكي وغيرهم ، والسبب أن التواصل لصيق باللغة ، فكل دارس للغة يتبين له ذلك ، وإن كانت دراسات القدامى عبارة عن إشارات يمكن بنوع من التوجيه إدراجها ضمن نظرية التواصل ، مثل كلمة البلاغة التي تعني البلوغ والوصول والانتهاء ، ، وكلمة البيان التي تعني الوضوح ، ولن يكون الكلام بليغاً ولا بيناً حتى يصل من المتكلم إلى السامع بشكل واضح لا يصعب معه الفهم.

¹. ينظر : شارودو ، باتريك ودومينيك منغنو . معجم تحليل الخطاب ، ص : 108.

² ينظر : إستيبيه ، سمير شريف . اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج ، ص : 676.677.

ولكن نظرية التواصل لم تكن عند القدامى نظرية مكتملة واضحة المعالم بل هي بشكلها المعروف مما توصل إليه اللسانيون المحدثون بدءاً من (سوسير) و(بوهلمر) ، وصولاً إلى (جاكوبسون) الذي تنسب إليه النظرية ، وقد أفاد من أعمال مهندسي التواصل السلبي واللاسلكي ووضع خطاطته المعروفة وهي :

السياق (المرجع)

المرسل الرسالة المرسل إليه

القناة (السنن)

حيث يقوم المرسل بإرسال رسالة إلى المرسل إليه ، وهما الطرفان الأساسيان في عملية التواصل ، ويقصد بالرسالة تلك المعلومة أو ذلك الخبر الذي يشكل حلقة الوصل بين الطرفين (المرسل والمرسل إليه) ، ولا بد من سياق تتموقع فيه هذه الرسالة ، وكذلك لا بد من قناة تصل بين الطرفين ، وفي التواصل اللغوي تكون اللغة هي قناة الاتصال ، ولا بد أن يشترك المتواصلان في السنن حتى يتم الفهم ، وإذا كان لكل من الطرفين سنن مختلف ، فإنهما لا يتفاهمان ولا يتم للتواصل بينهما.

ومن منطلق هذه العناصر الستة تناول (جاكوبسون) ما يعرف بوظائف اللغة ، حيث نسب لكل عنصر وظيفة معينة ، فالوظيفة التعبيرية تتمحور حول المتكلم ، والوظيفة

الشعرية ترتبط بالرسالة ، والوظيفة المرجعية بالمرجع أو السياق ، أما الوظيفة الانتباهية فتتمحور حول القناة ، كما ترتبط الوظيفة الإفهامية بالمرسل إليه ، وأخيراً الوظيفة الواصفة أو ما وراء اللغة وترتبط بالسنن أو الشفرة¹.

3 . 2 . التواصل اللغوي وتحليل الخطاب :

ارتبطت نظرية التواصل اللغوي كما سلف . بالمنظر اللساني الشهير (رومان جاكسون) الذي كان منحا الأول أدبيا غير أن بحثه في الشعرية قاده إلى اللسانيات².
ويعد (جاكسون) واحدا من الشكلايين الروس الذين مثلت أبحاثهم تنويرا في حقل الدراسة الأدبية سواء من ناحية المفاهيم أو التصورات ، أو من ناحية الأدوات والإجراءات التطبيقية . ومن هنا يحدد (جاكسون) فرضية أساسية لموضوع علم الأدب وهي : إن موضوع علم الأدب ليس الأدب ولكن الأدبية ، وعلى هذا الأساس النظري أسس تعريفا للشعرية باعتبارها علما يهدف إلى تحليل العناصر التي تكون العمل الفني ، فموضوع الشعرية هو الإجابة عن السؤال الآتي : ما الذي يجعل من الرسالة اللفظية أثرا فنيا؟

وقد اعتبر (جاكسون) الشعرية فرعا من فروع الدراسة اللسانية التي تهتم بتنوعات البنية اللغوية . خاصة التنوع الذي تهيمن فيه الوظيفة الشعرية . وركز على القيمة المستقلة للأثر

¹. ينظر : بومزير ، الطاهر . التواصل اللساني والشعرية ، ص : 35 وما بعدها

². ينظر : المرجع نفسه ، ص : 14.

الفني مع انفتاحها على الأنساق الدلالية الأخرى ، كما اعتمد نظرة متفتحة لمجالات اشتغال اللسانيات.

إن (رومان جاكسون) أعاد بناء موضوع الشعرية ، منطلقا من اللقاء بين اللسانيات ونظرية التواصل ، التي مكنته من صياغة نموذج تواصل لفظي يضم المكونات الأساسية لكل فعل تواصل ، حيث اكتشف من خلال هذا النموذج وظائف لغوية متنوعة ، ففتح للبحث اللساني آفاقا واسعة ، قصد دراسة الأنماط والرسائل اللفظية المختلفة¹.

لقد حدد (جاكوبسون) ست وظائف للغة ، وهذه الوظائف يختلف حضورها في الخطاب بحسب العنصر الذي يركز عليه منتج الخطاب ، فتصدر الهرمية وظيفة معينة أو أكثر مع حضور متضائل للوظائف الأخرى الثانوية بالنسبة لموضوع الخطاب².

إن تحديد الوظيفة المهيمنة تساعد إلى حد كبير في معرفة نوعية الخطاب ، فإذا كان الخطاب يهيمن عليه الوظيفة التعبيرية الانفعالية وهي تهدف إلى أن تعبر بصفة مباشرة عن موقف المتكلم تجاه ما يتحدث عنه ، وهي تنزع إلى تقديم انطباع عن انفعال معين صادق أو كاذب.

والانفعالات المعبر عنها تنقسم إلى ما يسمى بالتعبير الانفعالي الخالص ، وهو يتجلى في الرسالة المشحونة بخطاب علمي أو حديث عادي ، إذ إن الدوال تنطبق مع مدلولاتها ،

¹ . ينظر : الغزالي ، عبد القادر . اللسانيات ونظرية التواصل ، ص : 43 وما بعدها .

² . ينظر : بومزير ، الطاهر . التواصل اللساني والشعرية ، ص : 67 . 68 .

وأما القسم الآخر فهو الذي تجاوز النقل المباشر للأحداث ، حيث يبدي المرسل تجاهها موقفاً مميزاً ، وفي هذه الحال تزداد الرسالة المشحونة بخطاب متعال في قيمتها الإبداعية كلما تمكن المرسل من إرسال سلسلة وحدات خطابية ذات مدلول متجاوز للواقع الخاص¹.

أما الوظيفة الإفهامية فإنها تبرز على سطح الخطاب عندما تتجه الرسالة إلى المرسل إليه ، ويمكن حصر جملة من المميزات والخصائص للخطاب الذي تهيمن عليه الوظيفة الإفهامية ، حيث يكون المرسل إليه هو المقصود بقيمتها الإبلاغية وأهم هذه المميزات ، التأثير والإقناع.

وهذه المميزات من أهم ما يبرز إبلاغية خطاب ما ، وذلك لأن نجاح أي رسالة يكمن في مدى التأثير والإقناع الذي تحدثه في المتلقي ويتعلق التأثير بالناحية الوجدانية العاطفية ، أما الإقناع فإنه يتعلق بالناحية العقلية الفكرية لدى المتلقي. و يعتمد التأثير على عنصري المفاجأة والتشبع².

أما المفاجأة فهي عنصر مهم جداً في التأثير وهي نبضات انفعالية عالية في عمق الخطاب الساكن ، وهي عند (جاكوبسون) : « تولد غير المنتظر من المنتظر ، ولا تتشكل المفاجأة إلا بتوفر عناصر متضادة تتناغم وتتكامل مع بعضها »³.

¹ . ينظر : بومزير ، الطاهر . التواصل اللساني والشعرية ، ص : 35.

² . ينظر : المرجع نفسه ، ص : 40.

³ . ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

وأما التشبع فهو عملية تكرارية تتناسب بشكل عكسي مع روعة وجمال الخطاب ، وكلما كثرت العمليات التكرارية تنازلت حدة التأثير على مستقبل الرسالة. وبناء على هذه المعطيات الأسلوبية لهذين المتناقضين ينسج المرسل خطابه ويخرجه في بنيته المادية التي تتمثل عبرها أحاسيسه وانفعالاته¹.

كما يعتمد الإقناع على توظيف الحجج المنطقية فيحمل المرسل خطابه اللفظي شحنة منطقية ليقتنع بها المرسل إليه بالقبول بمدلول الرسالة ، ويظهر الإقناع بوضوح في الخطاب الحجاجي الذي يعتمد سبلا استدلالية تجر المخاطب إلى الإقناع².

أما الوظيفة الانتباهية ، وهي وظيفة إبقاء الاتصال قائما ، أو المحافظة على استمرار الاتصال أو التأكد من أن الاتصال لم ينقطع ، وهذه الوظيفة الانتباهية تتسحب فيها العملية التواصلية من دائرة الرسالة للتأكد من ممرها ، وتتحول أداة التأكيد على سلامة الممر إلى رسالة لها مدلول عميق وطويل يأخذ حيزا واسعا في الزمان والمكان³.

أما الوظيفة المرجعية ، فإنها تهيمن عندما تتجه الرسالة إلى السياق وترتكز عليه ، وذلك عند ما يكون محتوى الرسالة مؤيدا للأخبار الواردة فيها باعتبار أن اللغة فيها تحيلنا على

¹. ينظر : بومزير ، الطاهر . التواصل اللساني والشعرية ، ص : 40.

². ينظر : عبد الرحمن ، طه . في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، ط : 2 ، المغرب ، 2000م ، ص : 38.

³. ينظر : بومزير ، الطاهر . المرجع نفسه ، ص : 44.

أشياء وموجدات تتحدث عنها وتقوم اللغة فيها بوظيفة الرمز إلى تلك الموجدات والأحداث المبلغة¹.

إن كل علامة تحيل على مرجع ، والأنماط الأساسية للمراجع تم حصرها في ثلاثة أنماط هي² :

1 . الموجدات مع تعبيرها اللغوي أي الاسم.

2 . الأحداث المعبر عنها بواسطة الفعل.

3 . كفيات الوجود والحدوث المعبر عنها بواسطة الصفة أو الحال.

وكل رسالة لها مرجع تحيل عليه ، وسياق قيلت فيه ، ولا تفهم مكوناتها الجزئية أو تفكك رموزها إلا بالإحالة على الملبسات التي أنجزت فيها قصد إدراك القيمة الإخبارية للخطاب³.
أما وظيفة ما وراء اللغة ، أو وظيفة اللغة الواصفة فتكون في الخطابات التي تتضمن الكلام عن الكلام ، خاصة إذا علمنا أن المنطق الحديث يميز بين مستويين من الكلام ، هما الكلام عن الأشياء ، والكلام عن الكلام أو ما يسمى :
(ميتا لغة)⁴.

¹ . ينظر : المسدي ، عبد السلام . الأسلوبية والأسلوب ، ص : 159.

² . ينظر : بومزير ، الطاهر . التواصل اللساني والشعرية ، ص : 32.

³ . ينظر : المرجع نفسه ، ص : 30.

⁴ . ينظر : المرجع نفسه ، ص : 47.

ويمكن أن نميز في هذه الوظيفة بين مجالين لغويين :

المجال الأول : وتمثله اللغة الواصفة المعتمدة في الدراسة العلمية التي تتخذ من اللغة موضوعا لها.

المجال الثاني : ويرتبط بعمليات الشرح التي تتخلل التواصل في الكلام اليومي وهي ترمي إلى تحقيق درجة قصوى من التمثل لدى المستمع¹.

أما ما يتعلق بالوظيفة الشعرية ، فإنها تركز على الرسائل التي تكون فيها هذه الوظيفة هي المهيمنة ، وهذه الوظيفة لا تقتصر على الشعر ، بل هي موجودة في كل الرسائل اللفظية وغير اللفظية ، وتعمل هذه الوظيفة على إبراز قيمة الكلمات والأصوات والتراكيب.

إن (رومان جاكسون) ومن خلال دارته التواصلية ، توصل إلى تلك الوظائف الهامة وهي تعد محاولة تحليلية نقدية اكتشف بواسطتها تنوعات لغوية غالبا ما تم الخلط بينها أو كانت مجهولة. وبذلك يكون (جاكسون) قد فتح في وجه اللسانيات آفاقا رحبية لدراسات متعمقة تميز خصوصيات الرسائل اللفظية وتنوعاتها².

3.3 . التواصل اللغوي والخطاب الإبلاغي في القرآن الكريم :

الخطاب الإبلاغي خطاب تواصلية وذلك لأن اللغة بناء واستعمال ، ودراسة اللغة تكمن في هذين الجانبين ، ويتعلق جانب الاستعمال بالتواصل والإبلاغ ، والعلاقة بين التواصل

¹. ينظر : الغزالي ، عبد القادر . اللسانيات ونظرية التواصل ، ص : 50.

². ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

والإبلاغ علاقة وطيدة ، فكل ما يمكن أن يتواصل به لغة أو غير لغة يعد وقائع إبلاغية يقول الباحث المغربي سعيد بنكراد في مقاله المنشور في مجلة علامات : « فكل ما يمكن أن يشتغل كرابط بين الإنسان وما يوجد خارجه ، وكل الأشكال الثقافية التي تحدد من خلالها هوية الأفراد وتعبر عن انتماءاتهم إلى ثقافة بعينها . لغة ولباسا وطقوسا ونمط عيش . يجب النظر إليها باعتبارها « وقائع إبلاغية » تتدرج ضمن حالات الاجتماع الإنساني »¹ .

إن الإبلاغية لا يمكن أن تكون من دون التواصل اللغوي ، فالإبلاغ يتطلب طرفين : مبلِّغاً (بكسر اللام) ومبلِّغاً (بفتح اللام) ، ولا بد من الرسالة مضمون الإبلاغ ، وعلى هذا نكون أثناء حديثنا عن الإبلاغ أمام العناصر الهامة التي تتم بها عملية التواصل وهي المرسل ، والمرسل إليه ، والرسالة ، والرسالة لا بد لها من قناة ووسنن وسياق والبلاغ كذلك ، فهذه عناصر الإبلاغية تلتقي مع عناصر الدارة التواصلية ولا يكون إبلاغ بغير تواصل ، والخطاب القرآني خطاب إبلاغي ، فهو خطاب تواصلية ، يعتمد على عناصر إبلاغية تواصلية لتبليغ رسالته وحمل الناس على قبولها والاستجابة لها ، وسنقوم في الفصل الثاني من هذا البحث بدراسة العناصر الإبلاغية في سورة البقرة ، ومن دراستنا للعناصر الإبلاغية في السورة نكون قد درسنا موضوع التواصل اللغوي وعلاقته بتحليل الخطاب القرآني .

¹ . بنكراد ، سعيد . استراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإيماء ، مجلة علامات ، المغرب ، (دت) ، ع : 21 ، ص : 3.

الفصل الثاني:

عناصر الوظيفة الإيلاجية في

سورة البقرة

تمهيد :

أشرنا في الفصل السابق إلى أن الوظيفة الإبلاغية تتركز في ثلاثة عناصر أساسية هي نفسها عناصر الدارة التواصلية ، لأن الوظيفة الإبلاغية من صميم التواصل اللغوي ، وهذه العناصر هي : المرسل (المبلِّغ) ، والمتلقي (المبلَّغ) ، والخطاب (الإبلاغ).
ولخصوصية النص القرآني ، إذ المرسل هو الله تعالى الذي أنزله على رسوله محمد . صلى الله عليه وسلم . بواسطة الأمين جبريل¹ ، وأمره بتبليغه إلى الناس ، لذا فإننا لا نستطيع الحديث عن المرسل ، فالله تعالى لا يدرك الخلق كنهه ، وإنما سنقصر الكلام على الخطاب والمخاطبين ؛ وسنبداً الحديث عن أنواع الخطاب الإبلاغي في سورة البقرة :

1 . أنواع الخطاب الإبلاغي في سورة البقرة :

نميز في القرآن الكريم بين نوعين من الخطاب ، الأول خطاب مباشر ، ويشمل ما جاء فيه الخطاب الإبلاغي بصيغة مباشرة مثل : الأمر ، والنهي ، والنداء ، والاستفهام . والثاني غير مباشر أو إيحائي ، وهو الذي يكون فيه الخطاب الإبلاغي عن طريق الإيحاء مثل : الخبر ، والمثل ، القصة .

1 . 1 . الخطاب الإبلاغي المباشر :

¹ . عرف العلماء القرآن الكريم بأنه : كلام الله ، المنزل على قلب محمد . صلى الله عليه وسلم . بواسطة الوحي . روح القدس . منجماً في شكل آيات وسور خلال فترة الرسالة (ثلاث وعشرون سنة) مبدؤاً بسورة الفاتحة ، مختوماً بسورة الناس منقولاً بالتواتر المطلق ، برهاناً معجزاً على صدق رسالة الإسلام . ينظر : شاهين ، عبد الصبور . تاريخ القرآن ، شركة نهضة مصر ، ط : 3 ، مصر ، 2007م ، ص : 23.

الخطاب الإبلاغي المباشر هو الخطاب الذي تضمن في نصه إبلاغا بصيغة مباشرة ،
بغير تلميح أو إحياء ، ويكون في الأمر ، والنهي ، والنداء ، والاستفهام ، وهي أساليب
الإنشاء الطلبي ، حيث يتم بها الطلب بشكل مباشر.

1.1.1. الأمر :

1.1.1.1. تعريف الأمر :

الأمر عند العرب هو ما إذا لم يفعله المأمور به يسمى المأمور به عاصيا ويكون بلفظ
« افعل » و « ليفعل » نحو : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة : 43]
ونحو : ﴿ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ [المائدة : 47] . وعند البلاغين أن الأمر
هو طلب الفعل غير الكف على جهة الاستعلاء مع الإلزام والمراد بالاستعلاء هو عد الأمر
نفسه عاليا ، سواء أكان عاليا في نفسه أم لا¹.

1.1.1.2. صيغ الأمر :

ذكر علماء البلاغة أن للأمر أربع صيغ ، تتوب كل واحدة عن الأخرى ، وهذه
الصيغ هي :

1. فعل الأمر كقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة :
43] .

¹ . ينظر : طبانة ، بدوي . معجم البلاغة العربية ، دار المنارة . جدة ، دار الرفاعي . الرياض ، ط : 3 ، السعودية ،

1408 هـ . 1988 م ، ص : 47 .

ب . الفعل المضارع المقترن بلام الأمر : نحو قوله تعالى : ﴿ وَليَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ

بِالْمَكْدَلِ ﴾ [البقرة : 282] .

ج . اسم فعل الأمر : نحو قوله تعالى : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [المائدة : 105] .

د . المصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء

: 23]¹ .

وزاد بعضهم الجملة الخبرية التي يقصد بها الأمر والطلب لا الإخبار نحو قوله تعالى :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ ﴾ [البقرة : 233]² .

3 . 1 . 1 . معاني صيغ الأمر :

ترد صيغ الأمر لمعان كثيرة منها : الوجوب ، والندب ، والإباحة ، والتهديد والوعيد ، والنصح والإرشاد ، والتوبيخ ، والتأنيب ، والدعاء ، والالتماس ، والامتنان ، والإكرام ، والإهانة ، والتحقير ، والتعجيز ... إلخ³ .

4 . 1 . 1 . تركيب الأمر :

يبني تركيب الأمر على الوضع الآتي :

¹ . ينظر: عتيق ، عبد العزيز . علم المعاني ، دار الآفاق العربية ، ط : 1 ، مصر ، 1427 هـ . 2006 م ، ص : 59 .

² . ينظر: زيدان ، عبد الكريم . الوجيز في أصول الفقه . مؤسسة الرسالة ، ط : 5 ، لبنان ، 1417 هـ . 1996 م ، ص : 292 .

³ . ينظر : قاسم ، جمال إبراهيم . البلاغة الميسرة ، دار ابن الجوزي ، ط : 1 ، مصر ، 2012 م ، ص : 383 .

ا . الأمر : وهو المتكلم الذي يصدر منه الأمر وعلو درجته شرط في بقاء التركيب على دلالاته.

ب . المأمور : وهو المتلقي الذي يتوجه إليه الأمر ، وانخفاض درجته شرط في دلالة التركيب على الأمر.

ج . المأمور به : وهو الفعل ، وما يتعلق به ، الذي يطلب حصوله ، وهو المقصود من التركيب الطلبي ، ويكثر أن يكون معللا وفي ذلك إقناع للمأمور¹.

1.1.5 . إبلاغية خطاب الأمر في سورة البقرة :

وردت في سورة البقرة خطابات كثيرة تتضمن إبلاغا مباشرا بصيغة الأمر ، وستتناول بعضا من هذه النماذج ، ونبين ما حوته من القيم الإبلاغية ، التي مبناها على مقصدية المرسل (الأمر)، وآلياته الرامية إلى إقناع (المأمور).

ا . يقول الله تعالى : ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة : 45 . 46] .

قال ابن كثير : « يقول تعالى أمرا عبده فيما يؤملون من خير الدنيا والآخرة بالاستعانة بالصبر والصلاة »². هكذا أطلق ابن كثير ، ولم يعين المأمور بهذا الخطاب.

وقد اختلف أهل التفسير في من وجه إليه الأمر الإلهي ، هل هم بنو إسرائيل ، أم هم

المؤمنون ؟

¹ . ينظر : خان ، محمد . لغة القرآن الكريم ، ص : 192 .

² . ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج : 1 ، ص : 155 .

جاء في تفسير الزحيلي أن الآيات نزلت في أهل الكتاب ، وعلى التخصيص الأحرار والرهبان. ثم قال بعد ذلك : « وهذا الخطاب وإن كان لليهود من أهل الكتاب ، فهو موجه أيضا لغيرهم ، لأن العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب »¹.

وقال ابن عاشور : « ومن المفسرين من زعم أن الخطاب في قوله «واستعينوا»... الخ ، للمسلمين على وجه الانتقال من خطاب إلى خطاب آخر ، وهذا وهّم لأن وجود حرف العطف ينادي على خلاف ذلك »².

وإذا كانت أقوال عموم المفسرين قد تتابعت على أن المأمور بهذا الخطاب هم بنو إسرائيل ، فإن هذا لا يمنع أن يكون خطابا لهم ولغيرهم ، ويكون تفسير ابن كثير للمأمورين « بالعبيد » أوجه.

والله تعالى يأمر المخاطبين في هذه الآية بالاستعانة ، وهي طلب العون للقدرة على القول والعمل³. فأمرهم أن يستعينوا بالصبر والصلاة ، وفي هذا إيلاخ للعباد بقيمة الصبر والصلاة ، والصلاة هي العبادة التي شرعها الله تعالى بكيفيتها المعروفة ، أما الصبر فهو ضبط النفس والسيطرة عليها ،

¹ . الزحيلي ، وهبه . التفسير المنير ، م : 1 ، ح : 1 و 2 ، ص : 168.

² . ابن عاشور ، محمد الطاهر . التحرير والنوير ، ج : 1 ، ك : 1 ، ص : 477 .

³ . ينظر : الجزائري ، أبو بكر جابر . أيسر التفاسير ، مكتبة العلوم والحكم ، ط : 3 ، السعودية ، 1418 هـ . 1997 م ،

م : 1 ، ص : 50.

بحيث تحتل ما تكره انتظارا للفرج ، وتمتتع عن لذائذها وشهواتها إذا لم تكن من حقها¹.

وهذا الخطاب يحمل جملة من القيم الإبلاغية هي :

1 . يبلغ هذا الخطاب المؤمنين بأنهم ضعفاء ، وأنهم بحاجة إلى المعونة من ربهم ، فينبغي اللجوء إليه وحده ، ويعلمهم كيف يكون اللجوء إليه بالعبادة والصبر عليها.

2 . يبلغ الله تعالى عباده بأهمية الصبر والصلاة في اجتياز عقبات الحياة.

3 . ينوه الله تعالى في هذا الخطاب بشأن الخشوع في الصلاة² ، لأنه هو الذي يخفف ثقل العبادة وتكاليفها ، ويهون مصاعبها ومشقاتها ، ويجعل النفس تقبل عليها وهي راضية ومطمئنة.

4 . يبلغنا الخطاب بأن تكاليف الخلافة التي حملها الإنسان في هذه الأرض كبيرة ، وأمانة ضخمة عظيمة ، وهي تتطلب من هذا الإنسان الصبر والجهد والمجاهدة ، لتحقيق هذه الخلافة والقيام بالأمانة ، وليس للإنسان عون عليها سوى اللجوء إلى الله تعالى والتقرب إليه بالعبادة والخشوع .

ب . يقول الله تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[البقرة : 195] .

¹ . مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . التفسير الوسيط ، ص : 92 .

² . الخشوع يتضمن معنيين : أحدهما التواضع والذل ، والثاني السكون والاطمئنان ، ينظر : عبد الرحمن ، ياسر . موسوعة

الأخلاق والزهد والرفائق ، مؤسسة اقرأ ، ط : 1 ، مصر ، 1428 هـ . 2007 م ، ج : 1 ، ص : 82 .

قال ابن كثير : « ومضمون الآية الأمر بالإنفاق في سبيل الله ، في سائر وجوه القربات وأوجه الطاعات ، وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء ، وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده ، ثم عطف بالأمر بالإحسان وهو أعلى مقامات الطاعة »¹.

ذلك هو تلخيص ابن كثير رحمه الله بعد أن سرد الأقوال التي فسرت بها هذه الآية الكريمة.

وقد نقل الإمام محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله في تفسير الآية جملة من الأقوال وهذا ملخصها :

1 . الأمر بالإنفاق على العيال ، والتهلكة الإسراف أو البخل الشديد.

2 . النفقة على الفقراء أي الصدقة والتهلكة الإمساك.

3 . الإنفاق في الجهاد والتهلكة الخروج بغير زاد.

4 . الإلقاء باليد إلى التهلكة ، الاستسلام في الحرب ، أي لا تستسلموا للأسر.

5 . التهلكة الاشتغال عن الجهاد وعن الإنفاق فيه بإصلاح أموالهم².

وقال سيد قطب : « والإمساك عن الإنفاق في سبيل الله تهلكة للنفس بالشح وتهلكة للجماعة بالعجز والضعف »³.

¹ . ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج : 1 ، ص : 393.

² . ينظر : ابن عاشور ، محمد الطاهر . تفسير التحرير والنوير ، ج : 2 ، ق : 2 ، ص : 215 .

³ . قطب ، سيد . في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط : 32 ، لبنان ، 1423 هـ . 2003 م ، م : 1 ، ص : 192.

فالخطاب عام ، والأمر فيه لا يقتصر على الإنفاق للجهاد في سبيل الله ، وإن كانت الآية في سياق الأمر بقتال الكفار ، ولكن المدلول الأوسع للآية هو الحض على الإنفاق والتحذير من إمساك المال ، وكذلك النهي عن الإلقاء باليد إلى التهلكة ، والمقصود النفس فهو يقتضي عموم كل إلقاء باليد إلى التهلكة ، أي كل سبب في الهلاك عن عمد فيكون منها عنه محرماً ، ثم أمر تعالى بالإحسان ، وهو فعل النافع الملائم ، وفي حذف متعلق « أحسنوا » تنبيه على أن الإحسان مطلوب في كل حال¹.

وهذه الآية الكريمة تتضمن جملة من القيم الإبلاغية هي :

1 . الأمر بالإنفاق في سبيل الله ، والتحذير من الإمساك ، فهو يسبب الهلاك للفرد والجماعة.

2 . تحريم إهلاك النفس بأي نوع من أنواع الإهلاك ، لأن هذه النفس أمانة ووديعة استودعها الإنسان فيجب المحافظة عليها.

3 . الأمر بالإحسان والتنبيه على حب الله تعالى للمحسنين.

1 . 2 . النهي :

1 . 2 . 1 . تعريف النهي :

النهي هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء . وله صيغة واحدة ، وهي لا

الناهية ، نحو : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [لقمان : 18]².

¹ . ينظر : ابن عاشور ، محمد الطاهر . تفسير التحرير والنوير ، ج : 2 ، ق : 2 ، ص : 217.

² . طبانة ، بدوي . معجم البلاغة العربية ، ص : 682.

1. 2. 2. 1. معاني النهي :

قد يخرج النهي عن معناه الحقيقي وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ، فيدل على معان تستفاد من السياق ومنها : الدعاء ، والالتماس ، والتمني ، والنصح والإرشاد ، والتوبيخ ، والتحقير ، والتهيب ... إلخ¹.

1. 2. 3. 1. تركيب النهي :

يبني النهي على التركيب الآتي :

أ. الناهي : وهو الذي يصدر منه النهي.

ب. المنهي : وهو المتلقي الذي يتوجه إليه النهي ، ولا بد من علو مرتبة الناهي وانخفاض مرتبة المنهي ليكون النهي على حقيقة دلالاته.

ج. المنهي عنه : وهو المقصود من تركيب النهي².

1. 2. 4. 1. إبلاغية النهي في سورة البقرة :

ورد النهي في عدة مواضع من السورة الكريمة ، وهذا نموذج منها مع ما فيه من قيم

إبلاغية :

. يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ

أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 188].

¹ . ينظر : عكاوي ، إنعام فوال . المعجم المفصل لعلوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ، ط : 2 ، لبنان ، 1417 هـ .

1996 م ، ص : 669.

² . ينظر : خان ، محمد . لغة القرآن الكريم ، ص : 191.

ذكر ابن كثير عن ابن عباس أن هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بينة ، فيجحد المال ويخاصم إلى الحكام وهو يعرف أن الحق عليه ، ويعلم أنه آثم آكل الحرام¹.

وجاء في فتح القدير : هذا يعم جميع الأمة ، وجميع الأموال ، لا يخرج عن ذلك إلا ما ورد دليل الشرع بأنه يجوز أخذه. وقوله « تدلوا » مجزوم عطا على « تأكلوا » فهو من جملة المنهي عنه يقال : أدلى الرجل بحجته أو بالأمر الذي يرجو النجاح به تشبيها بالذي يرسل الدلو في البئر والمعنى : لا تجمعوا بين أكل الأموال بالباطل والإدلاء بها إلى الحكام بالحجج الباطلة ، وفي هذا دليل على أن حكم الحاكم لا يحل الحرام ، ولا يحرم الحلال ، فمن حكم له القاضي بشيء مستندا في حكمه إلى شهادة زور أو يمين فجور ، فلا يحل له أكله ، وقوله « فريقا » أي قطعة أو جزءا أو طائفة².

وجاء في تفسير الخازن أن أكل المال بالباطل يكون على وجوه :

الأول : أن يأكله بطريقة التعدي والنهب والغصب.

والثاني : أن يأكله بطريقة اللهو كالقمار وأجرة المغني وثمان الخمر والملاهي ونحو ذلك.

والثالث : أن يأكله بطريقة الرشوة في الحكم وشهادة الزور.

والرابع : الخيانة وذلك في الوديعة والأمانة ونحو ذلك.

¹ . ينظر : ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج : 1 ، ص : 384.

² . ينظر : الشوكاني ، محمد بن علي . فتح القدير ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، (د ط) ،

المملكة العربية السعودية ، 1421 هـ . 2010 م ، م : 1 ، ص : 188.

وإنما عبر عن أخذ المال بالأكل لأنه المقصود الأعظم¹.

وقال الزحيلي : « نهانا الله تعالى أن يأكل بعضنا أموال بعض بغير وجه مشروع ،
وأضاف كلمة (أموال) إلى الجماعة إشعاراً أن المال في الحقيقة مال الأمة أو الجماعة ،
فهي أمة واحدة متكافلة »².

يتبين مما سبق أن المخاطب المنهي هم جماعة المسلمين ، فالخطاب عام لكل أفراد
الأمة ، فجميعهم مقصود بهذا البلاغ.

وفي هذا الخطاب جملة من القيم الإبلاغية هي :

- 1 . يبلغنا الخطاب نهي الشرع الحكيم عن أكل أموال الغير بغير وجه مشروع.
- 2 . في الخطاب إبلاغ بأن المال الحلال ما كان بوسيلة مشروعة.
- 3 . يبلغنا الخطاب نهي الله تعالى عن المحاجة بالباطل لأخذ مال الغير.
- 4 . يبلغنا الخطاب نهي الله تعالى عن رشوة الحاكم لاستمالاته في الحكم.
- 5 . إن الجريمة تكون أفظع حين يكون المجرم عالماً بجرمه وحكم ما يفعل.

1 . 3 . الاستفهام :

1 . 3 . 1 . تعريف الاستفهام :

الاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة من إحدى أدواته

¹ . ينظر : الخازن ، علاء الدين علي بن محمد البغدادي . كتاب التأويل في معاني التنزيل ، تح : عبد السلام ، محمد

علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، لبنان ، 1425 هـ . 2005 م ، ج : 1 ، ص : 120 .

² . الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير ، م : 1 ، ج : 1 و 2 ، ص : 530 .

وهي : « الهمزة ، وهل ، وما ، ومن ، ومتى ، وأيان ، وكيف ، وأين ، وأنى ، وكم ، وأيُّ »¹.

1 . 3 . 2 . معاني أدوات الاستفهام :

قد تخرج أدوات الاستفهام عن معناها الأصلي ، وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما وقت الطلب ، إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال ، ومن هذه المعاني ما يأتي : الإنكار ، والتعجب ، والتهديد ، والتشويق ، والتحضيض ، والأمر ، والتمني ، والاستهزاء ، والتوبيخ ، والتقرير ، والنكير ، والنهي ، والدعاء ، والعرض ... إلخ².

1 . 3 . 3 . إبلاغية الاستفهام في سورة البقرة :

وردت في السورة الكريمة نماذج كثيرة للخطاب الإبلاغي المباشر الذي جاء بطريق الاستفهام.

وهذا نموذج من تلك النماذج نستخرج منه القيم الإبلاغية :

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهِمْ أُولَٰئِكَ

مَا كَانُوا لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهُآ إِلَّا خَافِينَ ۗ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝

[البقرة : 114] .

¹ . قاسم ، جمال إبراهيم . البلاغة الميسرة ، ص : 348 .

² . ينظر : يوسف ، عبد الكريم محمود . أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ، مكتبة الغزالي ، ط : 1 ، سوريا ، 1421 هـ .

2000م ، ص : 18 ، وينظر أيضا : قطبي ، الطاهر . بحوث في اللغة . الاستفهام البلاغي ، ديوان المطبوعات

الجامعية ، (دط) ، الجزائر ، 1992م ، ص : 32 وما بعدها .

يقول صديق بن حسن خان في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن : « هذا الاستفهام فيه أبلغ دلالة على أن هذا الظلم غير متناه وأنه بمنزلة لا ينبغي أن يلحقه سائر أنواع الظلم أي لا أحد أظلم ممن يمنع مساجد الله أي من يأتي للصلاة والتلاوة والذكر»¹.

وجاء في تفسير الكشاف : ﴿ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾ بانقطاع الذكر أو بتخريب البنيان ، وفيه أيضا : ﴿ أَوْلَيْتِكَ ﴾ المانعون ﴿ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا ﴾ أي ما كان لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم ، فضلا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها ، والمعنى : ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم².

وقال ابن عطية : « وهذه الآية تشمل كل من منع من مسجد إلى يوم القيامة أو خرب مدينة إسلام ، لأنها مساجد ، وإن لم تكن موقوفة ، إذ الأرض كلها مسجد لهذه الأمة »³. وجاء في التفسير المنير : « ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ استفهام إنكاري يفيد النفي ... ﴿ أَوْلَيْتِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ خبر بمعنى الأمر ، أي أخيفوهم بالجهاد ، فلا يدخلها

¹ . القنوجي ، صديق بن حسن خان . فتح البيان في مقاصد القرآن ، المكتبة العصرية ، (د ط) ، لبنان ، 1412 هـ .

1992 م ، ج : 1 ، ص : 256.

² . ينظر : الزمخشري ، جار الله محمود . تفسير للكشاف ، تح : عادل أحمد عبد الجواد وآخرون ، مكتبة العبيكان ، ط

: 1 ، السعودية ، 1418 هـ . 1998 م ، ج : 1 ، ص : 313.

³ . ابن عطية ، عبد الحق بن غالب . المحرر الوجيز ، ج : 1 ، ص : 199.

أحد آمنة»¹.

وجاء فيه أيضا : « لا ظلم ولا اعتداء على الحرمات أشد من منع العبادة في المساجد العامة ، والسعي في تخريبها وهدمها أو تعطيل وظائفها وشعائر الدين فيها ، لما في ذلك من انتهاك حرمة الدين المؤدي إلى نسيان الخالق وإشاعة المنكرات والفساد بين الناس »².

وهذا الاستفهام يتضمن جملة من القيم الإبلاغية هي :

1 . الاستفهام في الآية للإنكار ومعناه النفي ، وغرضه التشنيع على من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه.

2 . الإبلاغ بحرمة المساجد وهي أماكن العبادة ، وبيان قداستها فلا يجوز لأي أحد أن يعتدي على بيوت الله أو يحرم العباد منها.

3 . الظلم المذكور يشمل هدم المساجد أو تخريبها أو حرقها أو صد الناس عنها أو غلقها ، فكل ذلك من المنع.

4 . في الآية إبلاغ للمسلمين يتضمن أمرا إلهيا بحماية المساجد من المعتدين ، فلا يدخلونها إلا خائفين.

5 . لفظ ﴿ مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ يفيد العموم ، فيدخل في ذلك جميع المساجد في الأرض ، فيجب على المسلمين حمايتها كلها ، ومنع الاعتداء عليها ، كما يجب تطهيرها وتقديسها ، ويحرم

¹ . الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير ، م : 1 ، ج : 1 و 2 ، ص : 303.

² . المرجع نفسه ، ص : 305.

تعطيلها.

6 . توعده الله عز وجل بالذل والخزي كل من يعتدي على مساجده ، وذلك في الدنيا ، كما توعدهم في الآخرة بالعذاب العظيم ، وبذل هذا الوعيد الشديد على شناعة الجرم ، وفضاعة الفعل.

1 . 4 . 1 . النداء :

1 . 4 . 1 . تعريف النداء :

النداء هو طلب الإجابة لأمر ما بحرف من حروف النداء ينوب مناب « أدعوا » . وأدوات النداء ثمان : « أ ، أي ، يا ، آ ، آي ، أيا ، هيا ، وا » .

أما « أ ، أي » فلنداء القريب .

وأما « أيا ، هيا ، آ » فلنداء البعيد .

وأما « يا » فالراجح أنها لنداء البعيد حقيقة أو حكما ، وقيل مشتركة ، وتستعمل « وا » للندبة وهي التي ينادى بها المندوب المفجع عليه ، وتستعمل في الندبة أيضا « يا » عند أمن الالتباس بالنداء الحقيقي¹ .

1 . 4 . 2 . أغراض النداء :

قد يخرج النداء عن معناه الأصلي إلى أغراض أخرى تفهم من قرائن الحال أو المقال ، ومنها : الزجر ، واللوم ، والتحسر ، والتأسف ، والتقجع ، والندبة ، والإغراء ، والاستغاثة ، واليأس ، وانقطاع الرجاء ، والتمني ، والتذكر ، وبث الأحزان ، والاختصاص ، والتعجب

¹ ينظر : الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة . البلاغة العربية ، ج : 1 ، ص : 240 .

إلى غير ذلك¹.

1. 4. 3. حذف أداة النداء :

كثيرا ما تحذف أداة النداء ، ولا سيما في نداء الرب ودعائه ، فتكون مقدرة ذهنيا مثل : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ [البقرة : 126] ، والأداة المقدره فيما ذكر النحاة هي « يا » ، وحذف الأداة له دلالة ، وهي أن المنادى ، في أقرب منازل القرب من المنادى ، حتى لم يحتج إلى ذكر الأداة لشدة القرب ، وهذا يليق بمقام دعاء الرب جل وعلا².

1. 4. 4. استعمال « يا أيها » في القرآن الكريم :

وقد كثر في القرآن الكريم النداء بـ « يا أيها » لأن فيها أوجها من التأكيد والمبالغة ومنها :

. ما في « يا » من التأكيد والتنبيه.

. وما في « ها » من التنبيه.

. وما في التدرج من الإبهام في « أي » إلى التوضيح³.

والمقام يناسب المبالغة والتأكيد لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيته وعظاته وزواجره ووعدته وووعيده ، ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية ، أمور عظام ، وخطوب

¹ . ينظر : الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة . البلاغة العربية ، ج : 1 ، ص : 241.

² . ينظر : المرجع نفسه ، ص : 242.

³ . ينظر : المرجع نفسه ، ص : 243.

جسام ، ومعان واجب عليهم أن يتيقظوا لها ، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها ، وهم غافلون ، فاقنضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ¹.

1 . 4 . 5 . إبلاغية النداء في سورة البقرة :

. يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ^ط

وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِينَ بِهِ إِلَّا أَنْ تُغْنِصُوا فِيهِ^ع وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَمِيدٌ ﴿ [البقرة :

[268 .

في هذه الآية نداء للمؤمنين أي : « يا من اتصفتم بالإيمان أمركم أن تنفقوا الطيب الجيد من الأموال ... وأنهاكم أن تقصدوا إلى الخبيث الرديء من أموالكم فتتفقوه ، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا »².

جاء في تفسير المراغي : أي أنفقوا من جياذ أموالكم المكسوبة من النقد و سلع التجارة والماشية ومما أخرجنا من الأرض من الحبوب والثمار وغيرها ... ولا تخصوا الخبيث الرديء من أموالكم بالإنفاق منه ، ولستم ترضون مثله لأنفسكم إلا أن تتساهلوا فيه تساهل من أغمض عينيه فلم ير العيب فيه ، والله غني عن إنفاقكم ، وإنما يأمركم به لمنفعتكم ، فلا تتقربوا إليه بما لا يقبله لرداءته ، وهو المستحق للحمد على جلائل نعمائه ومن الحمد اللائق بجلاله تحري الطيب مما أنعم به³.

¹ . ينظر : الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة . البلاغة العربية ، ج : 1 ص : 243.

² . الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير ، م : 2 ، ج : 3 و 4 ، ص : 65.

³ . ينظر : المراغي ، أحمد مصطفى . تفسير المراغي ، ج : 3 ، ص : 39.

وهذا النداء الإلهي يتضمن جملة من القيم الإيجابية هي :

1 . في الخطاب نداء للمؤمنين بصفة الإيمان ، وهي صفة محببة إليهم ، وهذا تأنيس لهم

في وحشة الدنيا وغريبتها ، فالغريب مستوحش ، فاحتاج إلى التأنيس بذكر الصفة التي

يتصف بها وهي الإيمان ، وفيه أيضا إشعار بأن الله يحب لعباده الإيمان ويرغبهم فيه.

2 . المقصود بـ ﴿ أَنْفِقُوا ﴾ النفقة الواجبة وهي الزكاة ، وهو الأصل ، وكذلك يشمل

الخطاب النفقات المستحبة غير الواجبة ، فالأمر على الأول للوجوب وعلى الثاني للندب.

3 . على المؤمن أن يتحرى في قرياته التي يتقرب بها إلى الله أن تكون من الطيب ، لا من

الخبِيث ، تعظيما للمتقرب إليه سبحانه.

4 . الخبيث يشمل ما كان رديئا سيئا وما كان مالا حراما ، فكل ذلك من الخبيث ، والله

تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا.

5 . يتضمن هذا الخطاب الإبلاغي ملامة للمؤمن ، إذ كيف يرضى أن يقدم لربه ما

لا يرضى أن يأخذه هو لنفسه ، أو يعطى إليه هدية ، إلا إذا تغاضى عن عيبه وهو

كاره ، فكيف يقدمه لربه.

6 . يبلغنا الله تعالى في هذا الخطاب أنه غني عن إنفاقنا غير محتاج إلينا ، وأن الإنفاق

إنما هو نفع لنا ، كما يبلغنا أنه حميد فهو الذي يستحق الحمد كله ، فيجب أن يعامل بما

يليق بصفاته الجليلة.

1 . 2 . الخطاب الإبلاغي غير المباشر :

الخطاب الإبلاغي غير المباشر هو الذي يتضمن في نصه إبلاغا بطريق الإيحاء والتلميح ، ويكون في الخبر ، وفي الأمثال المضروبة ، والقصص المحكية.

1.2.1.1. الخبر :

جاء في لسان العرب : « خبرت الأمر أي علمته. وخبرت الأمر أخبره إذا عرفته على حقيقته ... والخبر بالتحريك واحد الأخبار والخبر ما أتاك من نبأ عن تستخبر¹ ».

وفي معجم البلاغة العربية : الخبر هو إفادة المخاطب أمرا في ماض من زمان أو مستقبل أو دائم نحو : (قام زيد) و(يقوم زيد) و(قائم زيد). والخبر كل قول أفدت به مستمعه ما لم يكن عنده².

ويربط القزويني الخبر بما يكون لنسبته خارج تطابقه أولا تطابقه³.

وهذا هو المقصود بتعريف البلاغيين للخبر ، بأنه ما صح أن يقال لقائله أنه صادق فيه

أو كاذب⁴ ، لأن صدقه هو مطابقة حكمه للواقع وكذبه عدم مطابقة حكمه للواقع⁵.

1.1.2.1. أضرب الخبر :

¹ . ابن منظور ، محمد بن مكرم . لسان العرب ، ص : 1090.

² . ينظر : طبانة ، بدوي . معجم البلاغة العربية ، ص : 189.

³ . القزويني ، الخطيب . الإيضاح في علوم البلاغة ، تح : بهيج غزوي ، دار إحياء العلوم ، ط : 1 ، لبنان ، 1408 هـ . 1988 م ، ص : 17.

⁴ . ينظر : المراغي ، أحمد مصطفى . علوم البلاغة ، دار القلم ، (دط) ، لبنان ، (دت) ، ص : 42.

⁵ . القزويني ، الخطيب . المرجع نفسه ، ص : 18.

للخبر ثلاثة أضرب هي¹ :

الأول الابتدائي :

وهو الذي يكون خاليا من المؤكدات ، لأن المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي

تضمنه الخبر ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا

يَنْطِقُونَ ﴾ [الأنبياء : 63] .

الثاني الطلبي :

وهو الخبر الذي يتردد المخاطب فيه ولا يعرف مدى صحته ، أو كما قال السكاكي :

وإذا ألقاها إلى طالب متحير طرفاها عنده دون الاستناد فهو منه بين بين لينقذه من ورطة

الحيرة ، استحسنت تقوية المنفذ بإدخال (اللام) أو (إن)² ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ

رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾

[القصص : 20] .

الثالث الإنكاري :

وهو الخبر الذي ينكره المخاطب إنكارا يحتاج إلى أن يؤكد بأكثر من مؤكد ، كقوله

تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا

¹ . ينظر : عكاوي ، إنعام فوال . المعجم المفصل في علوم البلاغة ، ص : 554 ، 555 .

² . ينظر : السكاكي ، أبو يعقوب يوسف . مفتاح العلوم ، تح : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، ط : 2 ، لبنان ،

1407 هـ . 1987 م ، ص : 170 .

فَعَزَّزْنَا بِبَالِكٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ

إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ [يس : 13 . 19].

2.1.2.1. أغراض الخبر :

الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين¹ :

الأول : إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ويسمى فائدة الخبر .

الثاني : إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم ويسمى لازم الفائدة .

وللخبر أغراض بلاغية أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال ، ومنها التعجب

نحو : ما أحسن زيدا ، والتمني نحو : وددتك عندنا ، والإنكار نحو : ما له حق عندنا ،

والنفي نحو : لا بأس عليك ، والأمر نحو قوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ

ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة : 228] ، والنهي نحو قوله جل وعز : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾

[الواقعة : 79] ، والوعد نحو قوله تعالى : ﴿ سَتُرِيهِنَّ أَئِنْتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾

[فصلت : 53] ، والوعيد نحو قوله : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء :

227] ، والإنكار والتبكيث نحو قوله جل ثناؤه : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾

[الدخان : 49]².

¹ . ينظر : عتيق ، عبد العزيز . علم المعاني ، ص : 37.

² . ينظر : ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن زكريا . الصحابي في فقه اللغة العربية ، تح : أحمد حسن بسج ، دار

الكتب العلمية ، ط : 1 ، لبنان ، 1418 هـ ، 1997 م ، ص : 133.

1. 2. 1. 3 . إبلاغية الخبر في سورة البقرة :

نستطيع أن نميز في جملة الخبر بين ثلاثة أنواع هي : الجملة الخبرية المثبتة ، والجملة

الخبرية المؤكدة ، والجملة الخبرية المنفية¹. وعلى هذا يكون لدينا للخبر ثلاثة أنواع :

1. الخبر المثبت :

تفيد الجملة الخبرية الإثبات فيكون خبرها مثبتا إذا عريت من وسائل النفي والتوكيد².

وهذا نموذج للخبر المثبت لنقف على محتواه الإبلاغي :

. يقول الله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ أَيْدِيهِمْ

ثُمَّ نَأْتِيهِمْ قَوْلًا لَّيْلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: 79] .

الويل : الهلاك وشدة العذاب ، وللمفسرين في تفسيره وجوه يجمعها شدة العذاب

مهما كان نوعه أو موقعه. وإنما استحقوا ذلك لافتراءهم على الله بكل إصرار فيما يكتبونه

بأيديهم حسب أهوائهم ومطابقة مصالحهم ، ثم ينسبونه إليه ، لأغراض نفسية وأطماع

مادية³.

وقال القرطبي : « في هذه الآية والتي قبلها التحذير من التبديل والتغيير ، والزيادة في

الشرع ، فكل من بدل وغير أو ابتدع في دين الله ما ليس منه ولا يجوز فيه ، فهو داخل

¹ . ينظر : خان ، محمد . لغة القرآن الكريم ، ص : 35.

² . ينظر : المرجع نفسه ، ص : 39.

³ . ينظر : الدوسري ، عبد الرحمن بن محمد . صفوة الآثار والمفاهيم ، دار المغني للنشر ، ط : 1 ، السعودية ،

1425 هـ . 2004 م ، م : 2 ، ص : 217 ، 218 .

تحت هذا الوعيد الشديد ، والعذاب الأليم¹ .

ويقول الله سبحانه ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يقول الدوسري : « الثمن القليل : هو

أغراض الدنيا وأعراضها ، مهما كثرت أو تضخمت ، فإنهم مهما حصلوا على ذلك من
وجاهة عند العامة أو نالوا من المال الكثير والهدايا والتحف الثمينة ، فإنها شيء قليل
بالنسبة لما أضاعوا من حظوظهم العالية عند الله² .

وقد توعدهم الله بالويل مرتين فقال تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَنَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ

مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ففي الآية « تفصيل لجنس الويل إلى ويلين ، فهما ما يحصل لهم من الشر
لأجل ما وضعوه وما يحصل لهم لأجل ما اكتسبوه من جراء ذلك فهو جزاء بالبشر على
الوسيلة وعلى القصد³ .

ويتضمن هذا الخبر المثبت جملة من القيم الإبلاغية هي :

1 . الويل هو أشد العذاب ، والتعبير بالويل عن الجزاء إيلاغ بجسامة الفعل وخطورة الأمر

وهو الافتراء على الله ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام : 21] .

2 . إن نسبة الشيء إلى الله تعالى يمنحه قدسية وتعظيما في نفوس الناس ، وإذا كانت هذه

النسبة غير صحيحة ففي هذا تزييف خطير وهو أكبر من أي تزييف آخر .

¹ . القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر . الجامع لأحكام القرآن ، ج : 2 ، ص : 223 .

² . الدوسري ، عبد الرحمن بن محمد . صفوة الآثار والمفاهيم ، م : 2 ، ص : 218 .

³ . ابن عاشور ، محمد الطاهر . التحرير وللتوير ، ج : 1 ، ك : 2 ، ص : 577 .

3. الإخبار عن بعض أفعال أحبار اليهود الذين كانوا يتقولون على الله تعالى ما لم يقل ، ويفترون عليه الكذب ، وإذا كان هذا شأنهم مع الله تعالى ووحيه المقدس ، فهل يكون لهم مع الناس عهد أو يرجى منهم خير ، خاصة وهم يعدون الناس حيوانات مسخرة لخدمتهم.
4. يتضمن الخطاب إبلاغ تحذير للمسلمين ، يخوفهم من عاقبة العبث بدين الله أو تغييره أو تحريفه أو الزيادة فيه ، فكل ذلك من العمل السيء الذي يستحق صاحبه الويل والعذاب.
5. التشنيع على الذين يستبدلون دينهم بديناهم ويبيعون أمانة الله من أجل حظوظ الدنيا ، ويؤثرون الرياسة على إظهار الحق.

6. الإبلاغ من الله تعالى عن مصير المبدلين لدين الله المحرفين لشريعته ، وهو إشعار بأن هذا العمل قد يكون في أي أمة ، وهو تحذير للمسلمين من مثل هذا الصنيع الشنيع.

ب . الخبر المنفي :

تكون جملة الخبر منفية إذا تقدمتها أداة نفي لسلب مضمون علاقة الإسناد بين طرفيها¹.

وهذا نموذج للخبر المنفي في سورة البقرة لنقف على محتواه الإبلاغي :

. يقول الله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

[البقرة : 225] .

¹ . خان ، محمد . لغة القرآن الكريم ، ص : 121 .

قال ابن كثير : « أي لا يعاقبكم ولا يلزمكم بما صدر منكم من الأيمان اللاغية وهي التي لا يقصدها الحالف بل تجري على لسانه عادة من غير تعقيد ولا تأكيد »¹.

وقال الألويسي : « اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ، ولغو اليمين عند الشافعي رضي الله تعالى عنه ما سبق له اللسان وما في حكمه مما لم يقصد منه اليمين كقول العرب لا والله ، لا بالله لمجرد التأكيد »².

ويقول الله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ . جاء في تفسير المراغي « أي ولكن يؤاخذكم بالكفارة أو العقوبة بما نوت قلوبكم وقصدته من اليمين ، حتى لا تجعلوا اسمه الكريم عرضة للابتدال أو مانعا من صالح الأعمال ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ فيغفر لعباده ما ألموا به من الذنوب ولا يتعجلهم بالعقوبة ولا يكلفهم بما يشق عليهم مما لم تقصده قلوبهم ولا يدخل تحت سلطان الاختيار »³.

وهذا الخبر من النوع الذي صدر بأداة النفي « لا » فهو خبر منفي ، وينصرف النفي إلى مضمون الحكم في الجملة بعدها.

ونستطيع أن نتبين في هذا الخبر جملة من القيم الإبلاغية هي :

1 . يبلغنا هذا الخطاب الإلهي أن الأيمان التي تصدر عن الإنسان ليست كلها مما يؤخذ عليه ، أو تترتب عليه أحكام عملية ، ولكن من هذه الأيمان ما هو مجرد لغو ، فلا يؤخذ

¹ . ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج : 1 ، ص : 452.

² . الألويسي ، شهاب الدين محمود . روح المعاني ، ج : 2 ، ص : 127.

³ . المراغي ، أحمد مصطفى . تفسير المراغي ، ج : 2 ، ص : 161.

المؤمن عليه ، ومدار ذلك على مقصدية الإنسان ، فإذا كان الإنسان لم يعقد اليمين ولا أكده فلا جناح عليه.

2 . يبلغنا الخطاب أن الله تعالى مطلع على القلوب ، فالذي يؤخذ بما كسبت القلوب

هو العليم بداخلتها ، وهذا فيه دعوة إلى مراقبة الله تعالى في كل الأعمال والأقوال.

3 . في الخطاب إبلاغ بأنه لا تكليف في دين الله تعالى بما يشق على العباد فعله ، فالدين

يسر ، كما لا يؤخذ الإنسان بما لم يقصده ولم يكن فيه مختاراً.

4 . يبلغنا الله تعالى في هذا الخطاب أنه يعامل عباده بالمغفرة والحلم ، ولا يعاجلهم بالعقوبة

ولكنه يغفر ويعفو.

5 . يبلغنا الخطاب بأن الله تعالى شرع الكفارة للتحلل من اليمين المنعقدة إذا تبين أن

غيرها أصلح ، حتى لا تكون الأيمان عائقاً في وجه عمل الخير والبر.

ج . الخبر المؤكد :

التأكيد من أكد العهد لغة في وكده ، والتأكيد لغة في التوكيد ، وقد أكدت الشيء

ووكدته ، والتأكيد هو تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره¹.

والغرض من توكيد الجملة هو « إزالة ما علق بذهن المتلقي من شك أو إنكار

لمضمونها »².

وهذا نموذج للخبر المؤكد في سورة البقرة ، لنقف على ما فيه من القيم الإبلاغية :

¹ . ينظر : عكاوي ، إنعام فوال . المعجم المفصل في علوم البلاغة ، ص : 273 .

² . خان ، محمد . لغة القرآن الكريم ، ص : 147 .

. يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِءً مِمَّا قَلِيلًا

أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴿ [البقرة : 174] .

تكشف الآية الكريمة موقف أهل الكتاب من القرآن الكريم ونبوة محمد . صلى الله عليه وسلم . حيث بينت أنهم كتموا ما أنزل الله في كتبهم من صفات النبي عليه الصلاة والسلام ، فحرفوه وبدلوه ، وتاجروا بالدين واتخذوه وسيلة ارتزاق ، وأنهم يأكلون الحرام المؤدي إلى النار وسماه الله قليلا لأن كل عوض عن الحق هو قليل في جنب تفويت سعادة الدنيا والآخرة¹ .

وهذه الآية الكريمة ، وإن كانت قد نزلت في أهل الكتاب ، فهي عامة في كل من يكتم شيئا من كتب الله التي أنزلها على رسله ، ولا يبين أحكام الله لعباده لقاء عرض من أعراض الدنيا الفانية² . وهؤلاء الذين يكتمون الحق ولا يبينونه للناس يتوعددهم الله عز وجل بأنه : لا يكلمهم يوم القيامة ، ولا يزيكهم ، ولهم عذاب أليم .

قال البغوي : « أي لا يكلمهم بالرحمة وما يسرهم ، إنما يكلمهم بالتوبيخ ، وقيل أراد بأنه يكون عليهم غضبان ، كما يقال : فلان لا يكلم فلانا إذا كان عليه غضبان ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ أي لا يطهرهم من درن الذنوب »³ .

¹ . ينظر : الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير ، م : 1 ، ج : 1 و 2 ، ص : 453 ، 454 .

² . ينظر : مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . التفسير الوسيط ، ص : 265 .

³ . البغوي ، الحسين بن مسعود . معالم التنزيل ، تح : محمد عبد الله النمر و آخرون ، دار طيبة ، (د ط) ، السعودية ،

1409 هـ ، م : 1 ، ص : 184 ، 185 .

وقال الخازن في قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي وجيع يصل ألمه إلى قلوبهم¹.

ويتضمن هذا الخبر المؤكد جملة من القيم الإبلاغية هي :

- 1 . جاء هذا الخبر مؤكدا بـ « إن » حتى يزيل أي تردد أو شك فيما سيصيب هؤلاء من العذاب ، وذلك لأنه قد يظن هؤلاء أو يظن غيرهم أن علمهم بالدين سيشفع لهم هذا الكتمان أو التبديل أو التغيير ، فأكد الله هذا الخبر ليزيل أي ارتياب في عذاب الكاتمين.
- 2 . يبلغنا الخطاب أن كتمان الدين والشرع جريمة كبرى في حق الله تعالى ، وخيانة عظي للأمانة ، ويستحق أصحابه أشد العذاب.
- 3 . يبلغنا الخطاب أن من يكتمون الحق يعذبون يوم القيامة بصنوف العذاب ، فلا يكلمهم الله بالرحمة والسلام ، ولا يطهرهم من الذنوب لشناعة جرمهم ، ويسلط عليهم العذاب الأليم.
- 4 . يبلغنا الخطاب أن من يأكل المال الحرام فإنه يأكل في بطنه النار ، يأكل نارا في الدنيا بما يجلبه أكل الحرام من العذاب النفسي والمآسي التي لا تتقطع ، أو يتحول ما أكله في بطنه نارا في قبره ، أو يأكل النار يوم القيامة كما كان يأكل الحرام في الدنيا.
- 5 . نزول الآية في اليهود لا يخصهم وحدهم بهذا الوعيد ، ولكنه عام في كل من يبدلون دين الله ، أو يكتمون الحق ، إرضاء للناس ، أو طلبا للحياة ، أو حرصا على المنافع.
- 6 . يبلغنا الخطاب بقيمة الحق والحقيقة عند الله تعالى ، حيث جعل الله كل هذا العذاب لمن يغير حقائق الدين ويبدلها ، فلحق عند الله تعالى وزن كبير ، والتلاعب به جرم خطير.

¹ . ينظر : الخازن ، علاء الدين على بن محمد . تفسير الخازن ، ج : 1 ، ص : 104.

7 . يبلغنا الخطاب بشناعة التلاعب بالحقائق ، لإن التلاعب بالحقائق يؤدي إلى ضياع القيم العليا وتدمير مقومات الحياة ، حيث تهون المبادئ على الناس لجلب المصالح الخاصة ، وهذا عبث بالحياة وقيم الإنسانية الرفيعة .

1.2.1.4 . الإبلاغية في أنواع أخرى للخبر :

هناك أنواع أخرى للخبر حسب تنوع الأغراض نذكر منها :

1 . الخبر المتضمن الأمر :

الخبر قد يأتي بصيغته المعهودة لا ليخبر بشيء ، ولكن ليتضمن أمرا موجها إلى المخاطبين ، وبذلك يتحول هذا الخبر بمعناه من الخبرية إلى الإنشائية ومن أمثله في سورة البقرة :

. يقول الله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة : 228] .

قال ابن عاشور : « وجملة ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ خبرية مراد بها الأمر ، فالخبر مستعمل في الإنشاء »¹ .

وقال الدوسري : « وأصل الكلام : وليربص المطلقات ، وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب تلقيه بالمسارعة إلى امتثاله ، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص وتحقق فعله منهن فهو يخبر عنه موجودا »² .

¹ . ابن عاشور ، محمد الطاهر . تفسير التحرير والتنوير ، ج : 1 ، ك : 2 ، ص : 388 .

² . الدوسري ، عبد الرحمن بن محمد . صفة للآثار المفاهيم ، م : 3 ، ص : 404 .

وفي التفسير الوسيط : « وقد أوجبت الآية أن تنتظر هذه المطلقة مدة ثلاثة قروء قبل الزواج من رجل آخر والقروء : جمع قرء بضم القاف وفتحها ، ويطلق لغة : على الطهر وعلى الحيض »¹.

وقال الزمخشري : « في ذكر الأنفس تهيج لهن على التريص وزيادة بعث لأن فيه ما يستتف منه فيحملهن على أن يتريصن ، وذلك لأن أنفس النساء طوامح إلى الرجال ، فأمرهن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التريص »².

وهذا الخبر يتضمن جملة من القيم الإبلاغية وهي :

1 . عبر بالخبر والمراد الأمر ، وهذا يدل على سعة العربية وتفننها في الأساليب كما يفيد هذا الأسلوب تأكيد الأمر « وقد قرر الخبراء بالبيان العربي ، أن أوكد الصيغ دلالة على اللزوم الموثوق الصيغ الخبرية التي تساق للطلب »³.

2 . يبلغنا الخطاب أن الطلاق مشروع إذا استحالت الحياة الزوجية ولم يعد بالإمكان للزوجين البقاء معا ، وفي هذا حل واقعي تراعى فيه حاجيات الفطرة الإنسانية ، فالزواج في الأصل مبني على التأييد إلا أنه قد يتعذر على الزوجين البقاء معا فشرع الطلاق.

3 . الأمر بالتريص فيه إكرام للمرأة لأنه لا يليق بالحرمة الكريمة أن تنتقل بين الأزواج انتقالا سريعا ، لا فاصل فيه بين الزوجين ، وفيه أيضا براءة للرحم حتى لا تختلط الأنساب.

¹ . مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . التفسير الوسيط ، ص : 374.

² . الزمخشري ، جار الله محمود . تفسير الكشاف ، ج : 1 ، ص : 440.

³ . أبو زهرة ، محمد . زهرة التفاسير ، دار الفكر العربي ، (دط) ، مصر ، (دت) ، م : 2 ، ص : 759.

4. في الآية الكريمة إِبلاغٌ موجهٌ إلى النساء ، يحملهن أمانةً ومسؤوليةً متابعةً العدة وحسابها ، واليهن دون سواهن وكل هذا الأمر ، وفي هذا إشعارٌ باحترام مكانة المرأة في الإسلام ، وهذا خلاف لما يدعيه المغرضون من أعداء هذا الدين ، وإشعارٌ أيضاً بتحميلها المسؤولية كاملة ، فهي مسؤولةٌ عن تحديد حساب هذه العدة ، ومسؤولةٌ أيضاً عن الحمل الذي تحمله إن كانت حاملاً ، فلا يجوز لها التلاعب بمدة العدة ، ولا بنسب الجنين الذي تحمله.

ب . الخبر المتضمن النهي :

مثلاً يأتي الخبر متضمناً الأمر كذلك يأتي مفيداً النهي ، ومن ذلك :

. يقول الله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ

فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة : 197] .

قال ابن عاشور : « وقد نفى الرفث والفسوق والجدال نفي الجنس مبالغة في النهي عنها

وإبعادها عن الحاج ، حتى جعلت كأنها قد نهى الحاج عنها فانتفى أجناسها »¹.

وقد فسر الرفث بالجماع ومقدماته وفحش القول ، وفسر الفسوق بالخروج عن حدود

الشريعة بارتكاب محظورات الإحرام وغيرها كالسباب والتنايز بالألقاب وفسر الجدال بالممارسة

مع الرفقة أو الخدم أو المكارين.²

¹ . ابن عاشور ، محمد الطاهر . تفسير التحرير والتنوير ، ج : 1 ، ك : 1 ، ص : 233 .

² . ينظر : القاسمي ، جمال الدين . محاسن للتأويل ، ج : 3 ، ص : 492 .

وقال القاسمي : « فإن زيارة البيت المعظم والتقرب بها إلى الله عز وجل ، من موجبات ترك الأمور المذكورة ، وإيثار النفي للمبالغة في النهي ، والدلالة بأن ذلك حقيق بألا يكون »¹.

وجاء في فتح البيان : « وإنما نهى عن ذلك وإن كان اجتنابها في كل الأحوال والأزمان واجبا لأنها في الحج أسمع وأفزع منه في غيره »².
وهذا الخبر يتضمن جملة من القيم الإبلاغية هي :

1 . يبلغنا الخطاب الإلهي بوجوب تعظيم شعائر الله تعالى ، والامتناع عن الأفعال التي تنتقص قيمتها.

2 . في الخطاب أيضا إبلاغ عن بعض المحظورات التي قد تفسد الحج أو تنقص من أجر الحاج.

3 . يبلغنا الخطاب بقيمة الأخلاق الكريمة ومكانتها في الإسلام ، لأن العبادات والشعائر الكبرى في هذا الدين كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، إنما شرعت لغايات أخلاقية تربوية سامية ، يقول الشيخ الغزالي : « فالفرائض التي ألزم الإسلام بها كل منتسب إليه ، هي تمارين متكررة لتعويد المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة ، وأن يظل مستمسكا بهذه الأخلاق ، مهما تغيرت أمامه الظروف »³.

¹ . القاسمي ، جمال الدين . محاسن للتأويل ، ج : 3 ، ص : 492.

² . القنوجي ، صديق بن حسن خان . فتح البيان في مقاصد القرآن ، ج : 1 ، ص : 404.

³ . الغزالي ، محمد . خلق المسلم ، ص : 7.

4 . المطلوب الرئيس من وراء العبادات ليست هي أشكالها ، وطرق أدائها وإنما المطلوب الرئيس أن يتحقق الإيمان للعبد وتتوثق صلته بالله تعالى .

5 . إشعار الحاج بأن مدة الحج قصيرة جدا ، ولذا عليه أن يشتغل بتحقيق الكمالات النفسية والإيمانية بدلا من الدخول في ممارسة وجدال مع غيره في أي شأن كان .

ج . الخبر المتضمن الشرط :

الشرط هو : « تعليق شيء بشيء بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني ، وهو أسلوب لغوي له مكوناته وأركانه »¹ .

وسنأخذ آية متضمنة للشرط ونستخرج ما فيها من القيم الإبلاغية :

. يقول الله تعالى : ﴿ إِن تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ^ط وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ^ع وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ^ب وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ^ك [البقرة : 271] .

يبلغ الله تعالى عباده المؤمنين في هذه الآية الكريمة أن ما ينفقونه لوجهه ومن طيب أموالهم علنا وجهرة هو مال رابح ، ونفقة مقبولة يثاب عليها صاحبها ، إلا أن ما يكون من تلك النفقات سرا ويوضع في أيدي الفقراء يكون خيرا لصاحبه لبعده من شائبة الرياء ، وإكرام الفقراء ، وعدم تعريضهم لمذلة التصدق عليهم ، وأنه تعالى يكفر عن المنفقين سيئاتهم بصدقاتهم ، وأخبر أنه عليم

¹ . اللبدي ، محمد سمير نجيب . معجم المصطلحات النحوية والعرفية ، مؤسسة الرسالة ، قصر الكتاب ، دار الثقافة بالجزائر ، (د ط) ، الجزائر ، (د ت) ، ص : 114 .

بأعمالهم فكان هذا تظمينا لهم على الحصول على أجور صدقاتهم ، وسائر أعمالهم الصالحة¹.

وهذا الخبر يتضمن جملة من القيم الإبلاغية هي :

1 . هذا الخبر متضمنا شرطا ، حيث استعملت الأداة «إن» ، وجزاء الشرط ثناء ومدح لمن

يتصدق «فنعما هي» ، إذن فالصدقات ممدوحة ولو كانت علانية ، إذا سلمت من الرياء.

2 . يبلغنا الخطاب بجواز التصدق جهرا ، وذلك لأن ربط الصدقة بالسر يحرم المتصدقين

من فرص كثيرة للتصدق ويوقعهم في الحرج.

3 . في هذا الخطاب إبلاغ بأفضلية صدقة السر ، وذلك لبعدها عن الرياء ، فهي أقرب

إلى الإخلاص ، وكلما كان العمل خاليا من الرياء كان أزكى وأدنى إلى القبول.

4 . في التصدق سرا إكرام لإنسانية الفقير حيث لا يشعر بالمدل حين يأخذ الصدقة لأنه لا

يعلم به إلا المتصدق.

5 . في هذا الخطاب إبلاغ بضرورة إعطاء الصدقة للفقراء الحقيقيين ، لأن ذلك إصلاح

للفقير وللمجتمع ، أما إعطاؤها لغيرهم كمن يتخذ التسول حرفة ، فهو بعد بالصدقة عن

مقاصدها.

6 . يبلغنا الخطاب بأن الصدقات من مكفرات الذنوب ، فإن ذنوب العبد وما يصيب من

الخطايا تكفرها عنه الصدقات ، وهذا تشجيع للمؤمن على بذل الصدقات.

7 . يبلغنا الخطاب أن الله تعالى خبير بأعمال العباد لا تخفي عليه خافية ، وهذا حث على

¹ . ينظر : الجزائري ، أبو بكر جابر . أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير ، م : 1 ، ص : 264.

الإخلاص في العمل ، كما أنه تطمين للمؤمنين بأن ما ينفقونه في سبيل الله لا يضيع ولا يذهب سدى ، ولكن الله يعلمه وسيجازيهم عليه جزاء مضاعفا.

2.2. المثل :

2.2.1. تعريف المثل :

قال أبو هلال العسكري : « أصل المثل التماثل بين شيئين في الكلام ، كقولهم : « كما تدين تدان » وهو من قولك : هذا مثل الشيء ومثيله ، كما تقول شبهه وشبيهه ثم جعل كل حكمة سائرة مثلا ¹ .

وجاء في المعجم الأدبي في تعريف المثل : هو « جملة من القول مقتطعة من كلام أو مرسله لذاتها ، تنقل ممن وردت فيه إلى مشابهه بلا تغيير » ² .

وفي القرآن الكريم أمثال كثيرة ، وقد ذكر الزركشي أن ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة منها : التذكير ، والوعظ ، والحث ، والزجر ، والاعتبار والتقدير ، وإخراج المعنوي في صورة المحسوس ، بحيث يكون نسبه للعقل كنسبة المحسوس للحس ، وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب ، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره ، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾ [إبراهيم : 45] ، فامتن علينا بذلك لما

¹ . العسكري ، أبو هلال . جمهرة الأمثال ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد الحميد قطامش ، دار الجيل ودار الفكر ،

ط : 2 ، لبنان ، 1408 هـ . 1988 م ، ج : 1 ، ص : 7 .

² . عبد النور ، جبور . المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، ط : 2 ، لبنان ، 1984 ، ص : 236 .

تضمنت هذه الفوائد¹.

ولقد « كانت الأمثال في القرآن لونا من ألوان الهداية الإلهية تغري النفوس على الخير ، أو تحضها على البر ، أو تمنعها من الإثم أو تدفعها إلى فضيلة ، أو تدفع عنها شائبة أو تمنع نقيصة »².

2. 2. 2 . إبلاغية المثل في سورة البقرة :

جاء في سورة البقرة أمثال كثيرة ، وسنختار مثلا نستجلي ما فيه من القيم الإبلاغية :

. يقول الله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 171] .

جاء في تفسير ابن كثير : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالذباب السارحة التي لا تفقه ، بل إذا نعق بها راعيها ، أي دعاها إلى ما يرشدها لا تفقه ما يقول ولا تفهمه بل إنما تسمع صوته فقط. ثم ذكر ابن كثير وجها آخر فقال : « وقيل إنما هذا مثل ضرب لهم في دعائهم الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئا واختاره ابن جرير ، والأول أولى لأن الأصنام لا تسمع شيئا ولا تعقله ولا تبصره ، ولا بطش لها ولا حياة فيها »³.

¹ . ينظر : الزركشي ، بدر الدين . البرهان في علوم القرآن ، ج : 1 ، ص : 486 . 487.

² . ابن الشريف ، محمود . الأمثال في القرآن ، دار عكاظ ، ط : 2 ، السعودية ، (دت) ، ص : 8 .

³ . ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج : 1 ، ص : 349.

وجاء في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي أن الله تعالى لما ذكر أن هؤلاء الكفار إذا أمروا باتباع ما أنزل الله أعرضوا عنه ، ورجعوا إلى ما ألفوه من اتباع الباطل الذي نشئوا عليه ووجدوا عليه آباءهم ، ولم يتدبروا ما يقال لهم ، وصموا عن سماع الحق ، وخرسوا عن النطق به ، وعموا عن إِبصار النور الساطع النبوي ، ذكر هذا التشبيه العجيب منبها على حالة الكافر في تقليده آباءه ، ومحقرا نفسه إذ صار هو في رتبة البهيمة أو في رتبة داعيها¹.

وجاء في تفسير الرازي أنه تعالى لما حكى عن الكفار أنهم عند الدعاء إلى اتباع ما أنزل الله تركوا النظر والتدبر ، وأخلدوا إلى التقليد ، وقالوا : ﴿ بَلْ تَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ﴾ [البقرة : 170] ، ضرب لهم هذا المثل ، تنبيها للسامعين لهم إنهم إنما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ترك الإصغاء ، وقلة الاهتمام بالدين ، فصيرهم من هذا الوجه بمنزلة الأنعام ، ومثل هذا المثل يزيد السامع معرفة بأحوال الكفار ، ويحقر إلى الكافر نفسه إذا سمع ذلك ، فيكون كسرا لقلبه ، وتضييقا لصدره ، حيث صيره كالبهيمة ، فيكون ذلك نهاية الزجر والردع لمن يسمعه عن أن يسلك مثل طريقه في التقليد².

وهذا المثل القرآني يحتوي على جملة من القيم الإبلغية هي :

¹ . ينظر : أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي . تفسير البحر المحيط ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، لبنان ، 1413 هـ . 1993 م ، ج : 1 ، ص : 656 .

² . ينظر : الرازي ، فخر الدين . التفسير الكبير ، دار الفكر ، ط : 1 ، سورية ، 1401 هـ . 1981 م ، ج : 5 ، ص : 8 .

1. الدعوة إلى استعمال العقل والتدبر والنظر ، ليكون اعتقاد الإنسان على بينة وبصيرة ، ولا يكون اعتقاده عن تقليد أعمى.

2. التحذير من تقليد الآباء دون وعي وتفكير ، والتعصب لدينهم ولو كان باطلا.

3. الذي لا يستعمل عقله لإدراك حقائق الكون ، كمثّل العجموات التي لا العقل لها.

4. إذا كانت العجموات لم تمنح العقل فلا عيب ولا غرابة في ذلك ، ، فهي هكذا خلقت ،

لكن العيب في الإنسان الذي منح العقل فعطله ، ومنح الحواس المدركة فعطلها ومضى يقلد دون وعي.

2. 3. القصة :

2. 3. 1. تعريف القصة :

القصة فن من الفنون النثرية التي صاحبت الإنسان منذ القدم ، وتعد القصة أحداثاً شائعة مروية أو مكتوبة يقصد بها الإمتاع أو الإفادة ، وقد عرفت بأسماء عدة في التاريخ العربي منها الحكاية والخبر والخرافة¹.

وقد « أطلق القرآن لفظ القصص على ما حدث من أخبار القرون الأولى في مجال الرسالات السماوية ، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال ، وبين مواكب النور وجحافل الظلام »².

¹ . ينظر : عبد النور ، حبور . المعجم الأدبي ، ص : 212.

² . الخطيب ، عبد الكريم . القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، دار المعرف ، ط : 2 ، لبنان ، 1395 هـ .

1975م ، ص : 40.

والقصة القرآنية بنيت بناء محكما من لبنات الحقيقة المطلقة ، التي لا يطوف بها طائف من خيال ، وهي مع هذا «قصة» حيث سمي القرآن الكريم ما جاء على هذا النحو قصصا ، فقال تعالى مخاطبا للنبي الكريم : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [يوسف : 3] ، وقال أيضا : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ [آل عمران : 62]¹.

2. 3. 2 . إبلاغية القصة القرآنية في سورة البقرة :

وردت في السورة الكريمة قصص كثيرة ونحن سنختار من تلك القصص واحدة ونستخرج ما فيها من القيم الإبلاغية ، ولتكن قصة بدء الخليفة :

فقد ذكر الله تعالى هذه القصة في قوله الكريم : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 30] ، وما بعدها من الآيات التي تتحدث عن هذه القصة ، وهي « قصة آدم وحواء عليهما السلام ، وقصة عدوهما إبليس اللعين الذي أغواهما وأوقعهما في الخطيئة والزلة ، حتى أكلا من الشجرة وسبب لهما الخروج من الجنة ومن ذلك النعيم المقيم »².

إن قصة « آدم مع إبليس هي قصة البشرية بأسرها ، قصة الحياة كاملة من بدايتها إلى نهايتها ، قصة الصراع بين الحق والباطل ، بين الهدى والضلال ، ممثلة في آدم وذريته مع

¹ . ينظر : الخطيب ، عبد الكريم . القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص : 40 .

² . الصابوني ، محمد علي . قيس من نور القرآن الكريم من سورة البقرة وآل عمران ، ص : 17 .

عدوهم اللدود إبليس اللعين»¹.

وهذه القصة تتضمن جملة من القيم الإبداعية هي :

1 . يبلغنا النص الكريم أن آدم . عليه السلام . هو أصل البشر ، وأن الله تعالى خلق آدم الإنسان من طين وأمر الملائكة أن يسجدوا له سجود تحية لا سجود عبادة ، وأن البشر ليس لهم أصل آخر ، ولم يتطور الإنسان من كائن آخر .

2 . يبلغنا النص الكريم أن طاعة الله تعالى واجبة على جميع خلقه ، وأن عاقبة الطاعة الفوز والنجاة ، وعاقبة المعصية الخسران والطرده من رحمة الله والعياذ بالله ، فقد فاز الملائكة برضوان الله حين أطاعوه ، بينما باء إبليس بالخسران لما عصى أمر الله تعالى .

3 . يبلغنا النص الكريم أن الحسد شر على الحاسد ، فقد أدى الحسد بإبليس إلى جملة من المخالفات والمنكرات ، أدى به إلى معصية أمر الله ، وما أعقب ذلك من خسارته كما أدى به إلى خلق الكبر المذموم ، وإذاية آدم إذ وسوس له ولزوجه وأغراهما بالأكل من الشجرة وأخرجهما من الجنة .

4 . يبلغنا الخطاب بتكريم النوع الإنساني وتفضيله وتحمليه أمانة الاستخلاف في الأرض وهذه منزلة ومكانة عظيمة ، ومع ذلك فالمسؤولية كبيرة جداً فإن الإنسان حمل أمانة إن أداها كما أمر الله تعالى فاز بالجنان والرضوان ، وإن ضيع الأمانة في الدنيا ضيع مصيره في الآخرة .

¹ . الصابوني ، محمد علي . قيس من نور القرآن الكريم من سورة البقرة وآل عمران ، ص : 17 .

5 . يبلغنا الخطاب بقابلية الإنسان لأن يقع في المعصية إذا أغواه الشيطان ، فإن الإنسان ركب تركيباً يجعله يسمو إلى مستوى الملائكة بنوع من الخيرات والأعمال الصالحة ، كما يمكنه أن ينحط إلى دركات دنيا بسبب المعاصي والمخالفات .

6 . إن الشيطان بخبثه يعرف مكامن الضعف عند الإنسان فيدخل إليه من هذه الأبواب التي يعرفها ويزين له المعصية التي يجد في طبعه ميلاً إليها ، ولذلك فإن الشيطان قد يزين لبعض الناس القتل ، وقد يزين لبعضهم السرقة وقد يزين لبعضهم الزنا ، وهكذا يعرف هذا العدو في كل إنسان ميلاً ما فيزين له المعصية من خلال ذلك الميل ويدخل إليه من بابه .

7 . إن عداوة الشيطان للإنسان عداوة متمكنة ، وهي لا تتغير مع الأيام ، فهو الذي كان عدواً لآدم ، وسيبقى عدواً لذريته ما بقيت الدنيا ، وما أراد له لأدم من الشر فإنه يريد لكل بني آدم ، وحتى لو اغتر بنو آدم ونسوا هذه العداوة ، فالشيطان بطبعه وخبثه لا ينساها ، وهو يعمل كل ما يرضى سخطه على الإنسان .

8 . يبلغنا الخطاب بأن الله تعالى ابتلانا بهذا العدو ووساوسه لحكمة يعلمها ، وأنه فتح لنا باب التوبة كما فتحه لآدم من قبل فتاب عليه ، وكذلك كل عبد من عباد الله يجتزم ذنباً ثم يتوب ، فيتوب الله عليه .

2 . الإبلاغية في خطاب المتلقين :

تعددت أنواع المخاطبين في سورة البقرة ، ولكل نوع منهم خطاب موجه إليه ، فهناك خطاب موجه إلى الأنبياء وخطاب موجه إلى المؤمنين ، وخطاب

موجه إلى عموم الناس ، وخطاب موجه إلى بني إسرائيل ، وخطاب موجه إلى أولي الألباب. وسنتناول في بحثنا هذا أنواع المتلقين في سورة البقرة ، وإبلاغية الخطاب الموجه إلى كل متلق منهم.

2. 1. الإبلاغية في خطاب الأنبياء :

2. 1. 1. الإبلاغية في خطاب النبي محمد . صلى الله عليه وسلم :

النبي . صلى الله عليه وسلم . مخاطب بكل القرآن الكريم لأنه عليه أنزل ، ولكن هنالك خطاب موجه إليه عليه الصلاة والسلام توجيهها مباشرا مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة : 6] . فالضمير المتصل (التاء) في ﴿ أُنذِرْتَهُمْ ﴾ والمستتر في ﴿ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ يتوجه إلى شخصه . صلى الله عليه وسلم . بالخطاب ، ونجد الخطاب موجها إلى الرسول . صلى الله عليه وسلم . في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : 94] ، إلى غير ذلك من الآيات التي توجه الخطاب إلى النبي . صلى الله عليه وسلم .

وها نحن نتناول نموذجا من تلك الخطابات ونستخرج منه القيم الإبلاغية :

. يقول الله عز وجل مخاطبا رسوله الكريم . صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا

وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ بِلْتَمَّ قُلُوبُهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ

هُوَ الْمُهْدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿ [البقرة : 119 .

[120].

جاء في تفسير المنار : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ ، أي بالشيء الثابت المتحقق الذي لا يضل من يأخذ به ولا تعبت به رياح الأباطيل والأوهام ، بل يكون الآخذ به سعيدا بالطمأنينة واليقين ، ﴿ بَشِيرًا ﴾ لمن يتبع الحق بالسعادتين ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ لمن لا يأخذ به بشقاء الدنيا وخزي الآخرة ﴿ وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ أي فلا يضرك تكذيب المكذبين الذين سيأتون بجحودهم إلى الجحيم لأنك لم تبعث ملزما لهم ولا جبارا عليهم فيعدم إيمانهم تقصيرا منك تسئل عنه ، بل بعثت معلما وهاديا بالبيان والدعوة وحسن الأسوة ، وفي الآية من العبرة أن الأنبياء بعثوا معلمين لا مسيطرين ، ولا متصرفين في الأنفس ولا مكرهين ، فإذا جاهدوا فإنما يجاهدون دفاعا عن الحق لا إكراها عليه¹.

إن وظيفة الرسل هي الإبلاغ عن الله تعالى فإذا ما بلغوا فقد أدوا الأمانة وما عليهم ألا يستجيب الناس لهم ، يقول سيد قطب في قوله تعالى : ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ « وظيفة البلاغ والأداء ، تبشر الطائعين ، وتنذر العصاة وينتهي دورك »².

وقال القاسمي : « ﴿ وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ ولا نسألك عنهم : مالهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم ... والتعبير عنهم بصاحبية الجحيم ، دون الكفر

¹ . ينظر : رضا ، محمد رشيد . تفسير المنار ، ج : 1 ، ص : 442 .

² . قطب ، سيد . في ظلال القرآن ، م : 1 ، ص : 107 .

والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم ، وإيدان بأنهم مطبوع على قلوبهم ، لا يرجى منهم الإيمان»¹.

وجاء في التفسير المبين : ﴿ وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾
المخاطب هنا هو رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وأمته ، لأن الخطاب له خطاب لهم ، وهو خطاب بين وصريح في أن اليهود والنصارى لن يرضوا عنه أو عن أمته إلا باتباع دينهم اليهودية والنصرانية ، وهؤلاء لن يرضوا عن هذه الأمة ، لا في زمن النبي . صلى الله عليه وسلم . ولا بعده ، وهذا الأمر واضح فيما يقومون به إلى اليوم ، من عداة مستحکم تمثل في احتلال بلاد المسلمين ، وسفك دمائهم ، ومحاولة غزوهم فكريا ، وخلخلة عقيدتهم بشتى الطرق والأساليب. ثم قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أُمَّةَ اللَّهِ حَتَّىٰ يُخْرِجَ اللَّهُ أُمَّةَ اللَّهِ وَالْكَافِرِينَ ﴾ وهذا تقرير وبيان لكون كتاب الله وما أوحى الله به إلى رسوله هو الهدى الذي يجب اتباعه ونفي ما سواه من العقائد والممل ، سواء ما كانت سماوية ثم نسخها الإسلام ، أو كانت عقائد مادية من صنع البشر².

ثم قال تعالى مخاطبا نبيه . صل الله عليه وسلم . ومن ورائه أمته جميعا : ﴿ وَلَكِنْ أَتَّبَعْتَهُمْ كَمَا نَبَّأْتُ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْكُمْ صُفْرًا مَوْجِدًا يَنْزِعُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ صَفْرًا مُسَوِّدًا وَمِنْكُمْ كَافِرِينَ يَمِيزُ الْغَيْبَ عَنِ الْغَيْبِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿

¹ . القاسمي ، محمد جمال الدين . محاسن التأويل ، ج : 2 ، ص : 240.

² . ينظر : النفيسة ، عبد الرحمن بن حسن . التفسير المبين ، الدار التدمرية ، (دط) ، السعودية ، 1429هـ ، م : 1 ،

قال الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله تعالى : « من تدبر هذا الإنذار الشديد الموجه من الله تعالى إلى نبي الرحمة ، المؤيد منه بالكرامة والعصمة علم أن المراد به الوعيد والتشديد على الأمة على حد « إياك أعنى واسمعي يا جارة » فإن الله تعالى يخاطب الناس كافة في شخص النبي . صل الله عليه وسلم »¹.

وقال المراغي : « والكلام هنا جاء على هذا الأسلوب ليرشد من يأتي بعده أن يصدع بالحق وينتصر له ولا يبالي بمن خالفه مهما قوى حزيه واشتد أمره ، فمن عرف الحق ، وعرف أن الله ولي أمره وناصره لا يخاف في تأييده لوم اللائمين ولا إنكار المعاندين »².

وهذا الخطاب يتضمن جملة من القيم الابلاغية هي :

1 . الإبلاغ بأن ما أرسل به الرسول . صلى الله عليه وسلم . هو الحق الذي لا حق سواه ، فما عداه من الأديان باطل ، لا يقبل من أحد الأخذ به ، ولا يسع الناس بعد إرسال الرسول محمد . صلى الله عليه وسلم . إلا أن يأخذوا بالحق الذي أرسل به .

2 . الإبلاغ بأن رسالة الرسول . صلى الله عليه وسلم . تحمل بشارة لكل من أسلم واتبع الوحي الإلهي ، وعمل بما جاء به الرسول ولم يبدل أو يغير بأنه سيحظى بخير وسعادة الدنيا والآخرة ، كما تحمل إنذارا لكل من لم يسلم ولم يتبع الرسول ولم يعمل بما جاء به من عند ربه ، بأنه سيكون مصيره الشقاء في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة.

¹ . رضا ، محمد رشيد . تفسير المنار ، ج : 1 ، ص : 445.

² . المراغي ، أحمد مصطفى . تفسير المراغي ، ج : 1 ، ص : 196.

3 . إن على الرسول . صلى الله عليه وسلم . وأتباعه من الدعاة إلى دينه أن يبلغوا هذا الدين إلى الناس كاملاً غير منقوص لأنه هو الحق الذي لا حق غيره ، وليس عليهم أن يستجيب لهم الناس لأن ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ [الإسراء : 15] ، فالمطلوب من الداعية التبليغ لأن الله تعالى لا يسأل الرسول . صل الله عليه وسلم . عن أصحاب النار لم دخلوا النار بعد أن بلغهم ؟ وكذلك الشأن بالنسبة لأتباعه الدعاة إلى دينه لا يسألهم الله عز وجل إن هم بلغوا ولم يستجب الناس لدعوتهم ، فما على الرسول إلا أن يبلغ ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [المائدة : 99] .

4 . يبلغ الخطاب الرسول . صلى الله عليه وسلم . وأمته أن اليهود والنصارى لا يمكن أن يرضوا عنهم أبداً حتى يتخلوا عن الحق الذي أرسل الله تعالى به رسوله وهو الإسلام ، ويتبعوهم في ضلالهم وغيبيهم ، ولذلك فلا طمع في إسلامهم لأنهم يرون أن هذا الدين الذي جاء به محمد . صلى الله عليه وسلم . ليس بشيء ويعتقدون الحق في أديانهم الباطلة ولذلك فإنهم لا يرضون إلا باتباع كفرهم وضلالهم ، والخطاب يوجه إلى صرف النظر عنهم فمن هداه الله منهم فسوف يدخل في الإسلام ، ومن بقي منهم على كفره فلا ينبغي التحسر عليه .

5 . يؤكد الخطاب على أن الهدى الذي ليس بعده هدى هو هدى الله الذي أوحاه إلى رسوله محمد . صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم فإنه لا يجوز للمسلمين أن يستبدلوا به غيره ، فإن ما عداه مما يخالفه ليس إلا أهواء ، فلا ينبغي ترك هذا الهدى واتباع أهواء الآخرين .

6 . في الخطاب إبلاغ تحذير إذ يحذر الله تعالى نبيه ، والتحذير لأمته ، أنه إن ترك هذا الهدى ، واتبع ما عليه الآخرون من الأهواء ، فإن الله تعالى يتخلى عنه وعن ولايته ونصرته ، والخطاب يبلغنا أن ولاية الله ونصرته لا تكون إلا لمن اتبع هداه ، ودعا إليه وأن كل من خالف هذا الهدى واتبع الأهواء سيحرم النصر والولاية.

2. 1. 2 . الإبلاغية في خطاب آدم عليه السلام :

جاء الخطاب موجهاً إلى آدم . عليه السلام . في قصة بدء الخليفة حيث خوطب آدم في قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَتَادُمُ أَنْبِئْتَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ [البقرة : 33] ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَتَادُمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : 35] ، وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : 38] .

وها نحن نأخذ واحداً من هذه الخطابات ونستجلي ما فيه من القيم الإبلاغية :

. يقول الله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَتَادُمُ أَنْبِئْتَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : 31 . 33] .

جاء في التفسير الوسيط للقرآن الكريم : « ومعنى تعليم الله لآدم الأسماء كلها : أنه خلق فيه . بموجب استعداده . علما ضروريا تفصيليا ، بأسماء جميع المسميات وأحوالها ، وخواصها اللائقة بكل منها ، كأن يلقي في روعه تفصيلا : أن هذا فرس ، وشأنه كذا وكذا ، وهذا بغير وحاله كيت وكيت. وكذا كل مادة وعنصر : عرفه اسمه وخواصه وطريقة استعماله »¹.

وجاء في تفسير الزحيلي : ثم عرض مجموعة المسميات على الملائكة ، أو عرض نماذج منها ، أي عرض الأشخاص ، لقوله تعالى ﴿ عَرَّضَهُمْ ﴾ لأن العرض لا يصح في الأسماء ، وقال لهم : أخبروني بأسماء هؤلاء . إن كنتم صادقين في ادعائكم أنكم أحق بالخلافة من غيركم ، فعجزوا ، وقالوا : يا رب سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم بكل شيء ، الحكيم في كل صنع. وفي هذا إشارة إلى تفضيل آدم على الملائكة واصطفائه ، وتعليمه ما لم تعلمه الملائكة ، ثم قال المولى جل جلاله : أخبرهم يا آدم بأسماء الأشياء التي عجزوا عن علمها ، واعترفوا بقصورهم عن معرفتها ، فلما أخبرهم بكل أسماء تلك الأشياء ، أدركوا السر في خلافة آدم وذريته².

وهذا الخطاب يتضمن جملة من القيم الإبلاغية هي :

¹ . مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . التفسير الوسيط ، ص : 74.

² . ينظر : الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير ، م : 1 ، ج : 1 ، ص : 137.

1 . في هذا الخطاب إبلاغ بتكريم الله تعالى لآدم . عليه السلام . وذريته ، حيث جعله خليفته في الأرض ، لينفذ أوامره ويعمل فيها بمقتضى شرعه ، وليعمر هذه الأرض بالخير .

2 . يبلغنا الخطاب أن الله تعالى خلق الإنسان وجعل فيه استعدادا فطريا للعلم والفهم ، وهذه الملكة الفطرية هي التي تجعل الإنسان يتعلم ويفهم ويستوعب ما يجدّ عليه ويعطي للأشياء والمسميات أسماء يعرفها بها .

3 . يبلغنا الخطاب أن الإنسان علمه الله ، فالله يؤتي العلم من يشاء من خلقه ، فمصدر العلم من الله تعالى ، وهذا يدل أيضا على محدودية العلم عند الإنسان ، فما خفي عليه أكثر مما علمه ، وهذه الأرض القريبة جدا مازال الإنسان يجهل عنها الكثير في برها وبحرها .

4 . يبلغنا الخطاب أن الإنسان بفطرته وتكوينه الطيني والروحي ، هو المخلوق الوحيد المؤهل من الله تعالى لعمارة الأرض ، فقد أوجد الله في الإنسان من النوازع والميولات والغرائز والرغبات النفسية والجسمية ما يجعله يتكاثر ويبني ويملك ويعمر هذه الأرض .

5 . يدل الخطاب على أن الملائكة لا تعلم الغيب ، ولو كانوا يعلمون الغيب لكان أدركوا كنه الأشياء التي امتحنوا بها ، ولكن علمهم محصور فيها علمهم الله تعالى ، وأن الذي يعلم غيب السموات والأرض إنما هو الله وحده .

2 . 1 . 3 . الإبلاغية في خطاب إبراهيم عليه السلام :

يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۚ

قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿ [البقرة : 124] .

قال ابن عاشور : « الكلمات الكلام الذي أوحى الله إلى إبراهيم ... والمراد بها أصول الحنيفية وهي قليلة العدد كثيرة الكلفة ، ففعل منها الأمر بذبح ولده ، وأمره بالاختتان ، وبالمهاجرة بهاجر إلى شقة بعيدة ، وأعظم ذلك أمره بذبح ولده إسماعيل »¹ .
وجاء في التفسير المبين : ومن هذه الكلمات التي ابتلي بها هجرته من مكان إلى آخر فرارا من الوثنية ، ولعل هذه الكلمات ما أمره الله به من أوامر وما نهاه عنه من نواه ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ فيه إخبار من الله أن إبراهيم قام بما أمر به وانتهى عما نهى عنه ، ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ أي ستكون في مقدمة الناس يتبعونك في قولك وفعلك جزاء طاعتك وما قمت به من الدعوة في سبيلي² .

وفي تفسير القرطبي : قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ دعاء على جهة الرغبة إلى الله تعالى أي : من ذريتي يا رب فاجعل. وقد أجيب إبراهيم عن دعائه بقوله تعالى : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ ، قال ابن عباس : سأل إبراهيم عليه السلام أن يجعل من ذريته إماما ، فأعلمه الله أن في ذريته من يعصي³ .

¹ . ابن عاشور ، محمد الطاهر . التحرير والتنوير ، ح : 2 ، ص : 703 .

² . ينظر : النفيسة ، عبد الرحمن بن حسن . التفسير المبين ، م : 1 ، ص : 218 .

³ . ينظر : القرطبي ، محمد بن أحمد . الجامع الأحكام القرآن ، ج : 2 ، ص : 367 .

ويتضمن هذا الخطاب جملة من القيم الإبلاغية هي :

1 . يبلغنا الخطاب بمكانة إبراهيم ومنزلته عند الله تعالى فإن الله تعالى جعله للناس إماما ، ولذلك يدعي اليهود والنصارى ومشركو العرب النسبة إلى إبراهيم عليه السلام وجميع الأمم إلى الآن تحترم إبراهيم وتعظمه ، ولكن الله تعالى حدد وجهة إبراهيم حين قال : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : 67] .

2 . يبلغنا الخطاب بأن المكانة التي حظي بها إبراهيم . عليه السلام . كانت بعد ابتلاء ابتلاه الله به ، فقد ألقى به في النار لتحرقه ، فنجاه الله تعالى ، وهاجر من موطنه الأصلي إلى الشام ، وأمر أن يهاجر بزوجه وابنه الرضيع ويتركهما في أرض الحجاز ، حيث لا ماء ولا زرع ، ولا أنيس إلا الله تعالى ، وأمر أيضا بذبح ولده إسماعيل لما كبر الولد ، فلما وفى إبراهيم بما أمر به ، أكرمه الله تعالى بما أكرمه به من الإمامة والخلة ورفعته الدرجة في الدنيا والآخرة ، وفي هذا إشارة إلى أن التمكين يأتي بعد المحنة .

3 . يبلغنا الخطاب أن إبراهيم كان رحيفا بذريته وكان من رحمته . عليه السلام . أنه لما اختص بالإمامة سألها لذريته ، رغبة منه أن يجعل الله ذريته أئمة للناس ، ولكن الله تعالى أخبر إبراهيم أن ذريته لن يكونوا جميعا صالحين مقتدين به ، ولذلك فإن عهد الله تعالى بالإمامة أو النجاة من عذابه يوم القيامة سوف لن يشمل الظالمين .

2 . 1 . 4 . الإبلاغية في خطاب موسى عليه السلام :

. يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا

عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۚ

[البقرة : 60] .

هذه الآية الكريمة تتناول الحديث عن معجزة من المعجزات التي أعطاها الله لموسى . عليه السلام . وقد كان بنو إسرائيل يعيشون معه . عليه السلام . في معجزات حسية مستمرة ، ولو كانت قوة الدليل وحسبته سببا للإيمان لكانوا أشد الناس إيمانا وأقواهم يقينا ، ولكن الإيمان نور يقذفه الله تعالى في قلوب الأتقياء فيدركون الحق ويزعمون له ويطمئنون إليه . وتبين لنا هذه الآية الكريمة أن بني إسرائيل شكوا إلى موسى . عليه السلام . أنهم لا يجدون الماء الذي يشربونه فاتجه موسى إلى ربه يطلب الماء ، ولذا قال تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ فَأَمَرَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْحَجَرَ ، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ، هِيَ بِقَدْرِ الْأَسْبَاطِ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ . عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَذُرِّيَّتِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَهَكَذَا ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ ﴾ ، وقد بين الله تعالى أن الماء مباح لهم كما أبيض لهم الطعام ، ولذا قال تعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا ۚ ﴾ . ثم حذرهم الله تعالى من الإفساد فإن النعمة إذا كثرت على أمثال بني إسرائيل كانت مظنة الفساد ولذا قال تعالى : ﴿ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۚ ﴾¹ .

¹ . ينظر : أبو الزهرة ، محمد . زهرة التفاسير ، م : 1 ، ص : 246 .

ويتضمن هذا الخطاب جملة من القيم الابلاغية هي :

1 . في الخطاب إبلاغ ، فائدته تنبيه المسلمين على ما كان عليه بنو إسرائيل من معاندة الحق ، وإن ظهرت الدلائل بينات ، وذلك حتى لا يقع المسلمون في مثل الذي وقعوا فيه ، فإن الله تعالى قد آتى موسى آيات ومعجزات حسية ظاهرة للعيان ، ومع ذلك لم ينتفع بنو إسرائيل بها .

2 . الإبلاغ بأن المعجزات الحسية لا ينتفع بها إلا من أوتي قلبا مطمئنا بالإيمان ، فهي تزيد المؤمنين إيمانا ، وتزيل الريب من قلوب المرتابين ، ممن لهم استعداد لقبول الحق ، ولكنها لا تفيد المعاندين شيئا . وقد كان اليهود من هذا النوع الأخير حيث لم ينتفعوا بهذه المعجزات .

3 . في الخطاب إبلاغ للمؤمنين بقدرة الله تعالى في هذه المعجزات الثلاث : الأولى هي ضرب الحجر بالعصا ، فينبثق منه الماء ، وهذه معجزة العصا ، والثانية هي أن الضرب في الحجر الذي لا يخرج منه الماء عادة ولا يعلم أن الماء ينبع من الأحجار ، ولكن من الأرض اللينة التي لا تكون حجرا متماسكا . وقد يخرج ماء العيون من الجبال ولكن يكون من شقوق يخرج منها لا من ذات الحجر ، أما الذي يخرج من ذات الحجر فإنه خاص بمعجزة موسى ، والثالثة هي كون الماء يخرج اثنتي عشرة عينا على قدر عدد الأسباط¹ .

4 . إن كثرة النعم قد تكون مدعاة للفساد والانحراف والطغيان ، وهو حال مشاهد معروف ، لذلك حذر الخطاب القرآني من العثو في الأرض فسادا ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَعَثُوا فِي

¹ . ينظر : أبو الزهرة ، محمد . زهرة التفاسير ، م : 1 ، ص : 247 .

الأرض مُفسدين ﴿ لأن الإفساد بعد النعمة يعني كفرانها وعدم الشكر عليها ، كما أنه أيضا مؤذن بزوالها وذهابها.

2.2 . الإبلاغية في خطاب غير الأنبياء :

توجه الخطاب في السورة الكريمة إلى أصناف من المخاطبين غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كعموم الناس والمؤمنين والكافرين وأهل الكتاب وأولي الألباب. وفيما يأتي سنأخذ نماذج من تلك الخطابات ونتبع ما تتضمنه من القيم الإبلاغية :

2.2 .1 . الإبلاغية في خطاب عموم الناس :

جاء الخطاب في سورة البقرة موجها إلى عموم الناس أكثر من مرة ومن ذلك :
يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : 21].

العبادة في اللغة : الطاعة من الخضوع ، وفي الشرع : عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف¹.

قال الشيخ أبو زهرة : « العبادة الخضوع المطلق لله سبحانه وتعالى وحده بحيث يكون القلب كله لله تعالى ، لا يحب إلا الله ولا يكره إلا الله ، والعبادات تعم الصلوات والزكوات والصوم والحج وغير ذلك مما يكلفه العباد ، حتى الأعمال التي تكون بها الحياة ، كلها

¹ . البركتي ، محمد عميم الإحسان المجددي . التعريفات الفقهية ، ص : 142.

تكون عبادة إذا قصد بالخير فيها وجه الله تعالى»¹.

وجاء في تفسير أبي السعود عند قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ أنه إثر ما ذكر الله تعالى من علو طبقة القرآن الكريم ، وتحزب الناس في شأنه إلى ثلاث فرق : مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع والأحكام ، وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق ، وأخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ، ووصف كل فرقة منها بما لها من النعوت والأحوال وبين ما لهم من المصير والمآل أقبل عليهم جميعا بالخطاب على نهج الالتفات هذا لهم إلى الإصغاء وتوجيهها لقلوبهم نحو تلقي ما يتلى عليهم².

وكلمة ﴿ النَّاسُ ﴾ عامة تشمل الموجودين في عهد النبي . صلى الله عليه وسلم . ومن سيوجد بعدهم إلى يوم القيامة ، لعموم الرسالة المحمدية ، ويفيد قوله ﴿ رَبَّكُمْ ﴾ أنه تعالى مربيهم ومتعهدهم بالتكميل المستمر ، وقوله ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ تذكير بأول نعمة عليهم ، وهي الخلق من العدم ، لهم ولآبائهم من قبلهم ، ونعمة الآباء نعمة للأبناء ، إذ لولا خلق آبائهم لما وجدوا ، وقوله ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ لتتقوا العذاب والذي هو عاقبة المخالفين لأمر الله³.

وهذا الخطاب يتضمن جملة من القيم الإبلاغية هي :

¹ . أبو زهرة ، محمد . زهرة التفاسير ، م : 1 ، ص : 155.

² . ينظر : أبو السعود ، محمد العمادي . إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، تح : عبد القادر أحمد عطا ،

مكتبة الرياض الحديثة ، (دط) ، السعودية ، (دت) ، ج : 1 ، ص : 101.

³ . ينظر : مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، التفسير الوسيط ، ص : 50 . 51.

1 . خطاب الرب لعباده ، وهو المتعالي بعظمته وجلاله ، المتكبر بعزته وسلطانه ، فيه تشریف لهم ، وعناية بشأنهم .

2 . العبادة في الإسلام تشمل جميع مناحي الحياة ، وليست قاصرة على طقوس معينة ، فكل عمل خير قصد به وجه الله فهو عبادة .

3 . يداننا عموم الخطاب أن جميع العباد مكلفين بعبادة الله وحده وأن من لم يعبد الله يعد عاصيا له مخالفا لأمره .

4 . يبلغنا الخطاب أن الناس جميعا خلق الله ، هو خلقهم وخلق آباءهم ، وحقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا .

5 . يبلغنا الخطاب أن العبادة طريق من الطرق المؤدية إلى تقوى الله ، فمن أراد التقوى فعليه بالعبادة ، ولكن ليس كل عبادة تؤدي إلى التقوى ، فأحيانا تكون العبادة طقوسا وأشكالا لا جدوى منها ، وإنما المقصود بالعبادة ما كان خاصا لله تعالى ووفق شريعته .

6 . يتضمن هذا الخطاب تحذيرا شديدا من عذاب الله تعالى الذي توعده به العصاة يوم القيامة ، وهذا يفهم من قوله ﴿ لَمَّا كُم تَتَّقُونَ ﴾ أي لتتقوا بعبادته عذابه .

7 . في هذا الخطاب دعوة إلى الإيمان باليوم الآخر ، والإيمان باليوم الآخر ضروري لصلاح الإنسان ، بل هو ركن أساس في استقامة حياته ، لأنه يدفعه إلى أن يتقي الله ويخاف عذابه ، ويتجنب الأسباب المؤدية إليه ، فإذا لم يكن الإنسان مؤمنا باليوم الآخر فإنه يستهين بكل المبادئ والقيم والأخلاق ، ويصبح مسخرا من الشيطان للفساد والإفساد .

2. 2. 2 . الإبلاغية في خطاب المؤمنين :

توجه الخطاب في سورة البقرة إلى المؤمنين في آيات كثيرة ومنها :

. يقول الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَاسْمَعُوا
وَالْكَافِرِينَ كَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة : 104] .

هذا الخطاب هو أول خطاب خوطب به المؤمنون في هذه السورة بالنداء الدال على الإقبال عليهم ، ونداء المخاطبين باسم المؤمنين ، يذكرهم بأن الإيمان يقتضي من صاحبه أن يتلقى أوامر الله تعالى ونواهيه ، ويحسن الطاعة والامتثال¹ .

وقد خاطب الله تعالى المؤمنين بقوله : ﴿ لَا تَقُولُوا ﴾ أي لنبيكم محمد . صلى الله عليه وسلم . إذا ألقى عليكم شيئاً من العلم ، وأكثر عليكم في الإلقاء وتابع فيه ، وصعب عليكم الأخذ منه مع الموالاتة ، وطلبتم الإمهال والتأني في الإلقاء ، لتحفظوا ما سمعتم ﴿ رَاعِنَا ﴾ أي : أمهلنا وانظرنا في الإلقاء وتأن لنحفظ ما سمعنا منك أولاً قبل أن تلقي علينا ثانية . وقد كان سبب النهي عن هذه الكلمة ، وإن كان معناها في لغة العرب : أمهلنا وانظرنا ، إلا أنها توافق في اللفظ كلمة عبرانية أو سريانية ، وضعت للمسبة ، فلما سمع اليهود قول المسلمين للرسول . صلى الله عليه وسلم . ﴿ رَاعِنَا ﴾ بمعنى أمهلنا ، خاطبوا بها النبي . صلى الله عليه وسلم . وهم يريدون بها تلك المسبة ، ويضحكون فيما بينهم ،

¹ . ينظر : الهرري ، محمد الأمين . حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، مر : هاشم محمد علي بن حسين

مهدي ، دار طوق النجاة ، ط : 1 ، لبنان ، 1421 هـ . 2001 م ، م : 2 ، ص : 156 .

فنهى الله المؤمنين عنها ، وأمرهم بلفظة أخرى لئلا يجد اليهود بذلك سبيلا إلى شتمه . صلى الله عليه وسلم . وذلك قوله ﴿ وَقُولُوا أَنْظِرْنَا ﴾ من النظرة وهي التأخير أي انتظرنا وتأن علينا ، ثم أمرهم بقوله : ﴿ وَأَسْمَعُوا ﴾ أيها المؤمنون ما يقوله النبي . صلى الله عليه وسلم . أي أحسنوا سماعه بآذان واعية وأذهان حاضرة ، حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة وطلب المراعاة ؛ أو المعنى : واسمعوا ما تؤمرون به في مخاطبته . صلى الله عليه وسلم . وأطيعوا . ففي هذه الآية الكريمة : نهى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أن يقولوا للنبي . صلى الله عليه وسلم . ﴿ رَاعِنَا ﴾ ، لئلا يتطرق أحد إلى شتمه ، وأمرهم بتوقيره وتعظيمه ، وأن يتخيروا لخطابه . صلى الله عليه وسلم . من الألفاظ أحسنها ، ومن المعاني أدقها ، وإن سألوه يسألوه بتبجيل ، وتعظيم ، ولين ، ولا يخاطبوه بما يسر اليهود¹ .

ثم قال تعالى : ﴿ وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ : قال المراغي : « الكافرون هنا هم اليهود وفي التعبير إيماء إلى أن ما صدر منهم من سوء الأدب في خطابه . صلى الله عليه وسلم . كفر لا شك فيه لأن من يصف النبي . صلى الله عليه وسلم . بأنه شرير فقد أنكر نبوته وأنه موحى إليه من قبل ربه ، ومن فعل ذلك فقد كفر واستحق العذاب الأليم »² .

¹ . ينظر : الهروي ، محمد الأمين . حقائق الروح والريحان ، م : 2 ، ص : 158 . 159 .

² . المراغي ، احمد مصطفى . تفسير المراغي ، ج : 1 . ص : 177 .

ويتضمن هذا الخطاب جملة من القيم البلاغية هي :

1 . الإبلاغ عن كيد اليهود ومكرهم وخبثهم ، حيث استغلوا كلمة كان الصحابة الكرام يقولونها بعفوية وبراعة ، وهي كلمة (راعنا) بمعنى (انظرنا) ، فاستعملوها في معنى آخر فيه مسبة لا يعرفه المسلمون ، يريدون بذلك الحط من شأن ومكانة الرسول . صلى الله عليه وسلم . والإساءة إليه ، ففضحهم الله تعالى وكشف كيدهم ومكرهم ، فهو العليم بسرهم ، المطلع على خفاياهم ، وهو دليل على صدق الرسول الكريم فيما يبلغ عن ربه عز وجل ، لأن الرسول الكريم لا يعرف العبرانية ، ولا هو مطلع على خبيئة نفوس اليهود لكي يعرف مقصدهم ، ولكن الذي أوحى إليه القرآن يعلم ، فأنبأ رسوله بما يضمره اليهود.

2 . في هذا الخطاب الكريم إبلاغ تعليمي ، يعلمنا كيف نتخير الألفاظ بدقة وعناية ، لأن الكلمات وإن تقاربت معانيها تظل بينها فروق دقيقة ، وهي طريقة القرآن الكريم في التعبير ، فإنه يضع كل لفظ الموضع اللائق به مراعيًا الفروق الدقيقة في معاني الألفاظ ، كما أن هذا الإبلاغ فيه بيان لخطورة الكلمات مما يستدعي الحذر عند النطق حتى لا ننطق بما لا ينبغي النطق به.

3 . الإبلاغ بلزوم الأدب مع رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في حياته وبعد مماته ، وتخير الألفاظ والعبارات التي تليق بمقامه الكريم ، ويكون فيها احترام وتوقير له ، والحذر من العبارات التي تسيء إليه . صلى الله عليه وسلم . بأي نوع من أنواع الإساءة.

4 . في الخطاب إبلاغ تعليمي يرشد المؤمنين إلى سماع وحي الله بأذهان واعية ، وتدبره بقلوب حاضرة ، حتى يتسنى لهم الانتفاع بما فيه من الهدى ، وحتى يتبصروا به طريقهم في حياتهم الدنيا ، وكون لهم منقذا من عذاب الله يوم القيامة ، فينالوا بذلك السعادة في الدارين .

يقول الأستاذ الإمام محمد عبده : « إن لمن جاء بعد الرسول حظا من هذا التأديب ، وليس هو خاصا بمن كان في عصره من المؤمنين ، فهذا كتاب الله الذي كان يتلوه عليهم ، وكان يجب الاستماع والإنصات لأجل تدبره هو الذي يتلى علينا بعينه لم يذهب منه شيء »¹ .

5 . يبلغنا الخطاب أن الإساءة إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . بأي شكل كان هي كفر ، لأنها طعن في نبوته ، وقد أعد الله لأصحابها العذاب الأليم والخزي في الآخرة .

2 . 2 . 3 . الإبلاغية في خطاب أهل الكتاب (بنو إسرائيل):

توجه الخطاب في السورة الكريمة إلى بني إسرائيل مرات عديدة :

. ومنه قوله تعالى : ﴿ يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ

فَأَرْهَبُونَ ﴾ [البقرة : 40] .

جاء في تفسير البحر المحيط : هذا افتتاح الكلام مع اليهود والنصارى ، ثم أردف

بقوله : والمراد بقوله ﴿ يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا ﴾ من كان بحضرة رسول الله . صلى الله

¹ . رضا ، محمد رشيد . تفسير المنار ، ج : 1 ، ص : 412 .

عليه وسلم . بالمدينة وما والاها من بني إسرائيل¹ .

وقال صاحب الصفوة : « وقد ابتدأ الله الحديث معهم وختمه بندايمهم ونسبتهم إلى أبيهم وتذكيرهم بنعمته وعهده بكل لطافة ليفتح قلوبهم ويحرك عواطفهم ، ويحثهم على الإيمان »² .
وفي تفسير أبي السعود : « ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ بالتفكير فيها والقيام بشكرها ، وفيه إشعار بأنهم قد نسوها بالكلية ، ولم يخطرورها بالبال لا أنهم أهملوا شكرها فقط »³ .

والنعم المخصوصة ببني إسرائيل كثيرة جدا ، فمنها أن الله تعالى أرسل إليهم الأنبياء والرسل ، وجعل منهم ملوكا ، كداود وسليمان ، وأنزل إليهم الكتاب والشريعة وفضلهم على غيرهم بالدين والتوحيد ، واتباع ملة إبراهيم ، ونجاهم من آل فرعون ، ومنها أنه أنزل عليهم المن والسلوى ، وظللهم بالغمم ، وفلق لهم البحر ، وفجر لهم الحجر اثنتي عشرة عينا على عدد أسباطهم ، ومنها إدراك المخاطبين منهم بعثة النبي محمد . صلى الله عليه وسلم⁴ .

ونقل ابن عادل في اللباب عن ابن عباس . رضي الله عنهما قوله :
« إن الله تعالى عهد إلى بني إسرائيل في التوراة أني باعث من بني إسماعيل

¹ . ينظر : أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي . البحر المحيط ، ج : 2 ، ص : 328 .

² . الدوسري ، عبد الرحمن بن محمد . صفوة الآثار والمفاهيم ، م : 2 ، ص : 115 .

³ . أبو السعود ، بن محمد العمادي . إرشاد العقل السليم ، ج : 1 ، ص : 164 .

⁴ . ينظر : القنوجي ، صديق حسن . فتح البيان في مقاصد القرآن ، ج : 1 ، ص : 141 .

نبياً أمياً ، فمن تبعه وصدق بالنور الذي يأتي به . أي القرآن . أغفر له ذنبه وأدخله الجنة وجعلت له أجرين ، أجراً باتباع ما جاء به موسى وجاءت به أنبياء بني إسرائيل ، وأجراً باتباع ما جاء به محمد . صلى الله عليه وسلم . النبي الأمي من بني إسماعيل «¹ .

وجاء في تفسير الطبري : « عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ ﴾ يقول : أوفوا بما أمرتكم به من طاعتي ونهيئكم عنه من معصيتي في النبي . صلى الله عليه وسلم . وفي غيره ﴿ أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ ﴾ يقول : أرض عنكم وأدخلكم الجنة «² .

وفي تفسير القرطبي : ﴿ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴾ أي : خافون ، قال : « ويتضمن الأمر معنى التهديد »³ .

ويحتوي هذا الخطاب على جملة من القيم الإبلاغية هي :

1 . الإبلاغ بوجوب شكر نعم الله تعالى ، وإن كان الخطاب لبني إسرائيل ، إلا أنه عام لكل مخاطب ، فالله تعالى هو المتفضل على الناس جميعاً بكل النعم قال

¹ . ابن عادل ، أبو حفص عمر بن علي . اللباب في علوم الكتاب ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب

العلمية ، ط : 1 ، لبنان ، 1419 هـ . 1989 م ، ج : 2 ، ص : 11 .

² . الطبري ، محمد بن جرير . جامع البيان في تأويل أي القرآن ، تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، ط

: 1 ، مصر ، 1422 هـ . 2001 م ، ص : 598 .

³ . القرطبي ، محمد بن أحمد . الجامع لأحكام القرآن ، ج : 2 ، ص : 9 .

تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل : 53] ، وقال تعالى أيضا : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا

نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل : 18] و [إبراهيم : 34] .

2 . يتوجه الخطاب أمرا بني إسرائيل بالوفاء بالعهد « وما طلب من اليهود من الوفاء بالعهد

هو مطلوب منا ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة : 1] ،

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ [النحل : 91]¹ ، وفي هذا إيلاغ للمؤمنين بأهمية

الوفاء بالعهد ، والتحذير من نكته .

3 . يأمر الخطاب بخشية الله تعالى ورهبته ، ويحذر من مخالفة أمره ، لأن من عرف الله ،

وعرف عظمتة ، كان حقا عليه أن يخشاه حق الخشية ويتقيه حق تقاته ، أما بنو إسرائيل

فعلى معرفتهم بالله عز وجل فقد كانوا أبعد الناس عن خشيته .

2 . 2 . 4 . الإبلاغية في خطاب أولى الألباب :

توجه الخطاب في السورة إلى أولى الألباب ، وهم أصحاب العقول والنهى ، في أكثر

من موضع .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة :

[179] .

قال أبو السعود : « ﴿ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ أي ذوي العقول الخالصة من شوب

الأوهام ، خوطبوا بذلك بعد ما خوطبوا بعنوان الإيمان بتشيطا لهم إلى التأمل في حكمة

¹ . الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير ، ج : 1 ، ص : 164 .

القصاص «¹.

وقال ابن عطية : « وخص أولي الألباب بالذكر تنبيها عليهم ، لأنهم العارفون القابلون للأوامر والنواهي ، وغيرهم تبع لهم »².

ويقول الله تعالى : ﴿ وَلكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَاأُولِيْ ٱلْأَلْبَابِ ٱلَّذِينَ لَعلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴾ . جاء في التفسير المبين : « هذا تشريع من الله فيه الرحمة للعباد ، فقد كان العرب في جاهليتهم يحمون القتلة بمعنى أن قبيلة القاتل تحميه فتقتل بسببه مع قبيلة المقتول فيقتل أناس أبرياء ، فلما شرع الله القصاص انصب على القاتل وسلم الأبرياء ، وفيه معنى آخر وهو أن القاتل إذا عرف أنه سوف يقتص منه ارتدع عن القتل ففي هذا حياة لكل الأمة »³.

وفي قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

يقول الخازن : « لعلمكم تنتهون عن القتل خوف القصاص »⁴.

وجاء في فتح البيان : « ثم علل سبحانه هذا الحكم الذي شرعه لعباده بقوله :

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي تعملون عمل أهل التقوى ، وتتحملون القتل بالمحافظة على

القصاص ، والحكم به ، والإذعان له ، فيكون ذلك سببا للتقوى »⁵.

1 . أبو السعود ، بن محمد العمادي . إرشاد العقل السليم ، ج : 1 ، ص : 310 .

2 . ابن عطية ، عبد الحق بن غالب الأندلسي . المحرر الوجيز ، ج : 1 ، ص : 247 .

3 . النفيسة ، عبد الرحمن بن حسن . التفسير المبين ، م : 1 ، ص : 307 .

4 . الخازن ، علاء الدين علي بن محمد البغدادي . لباب التأويل في معاني التنزيل ، ج : 1 ، ص : 108 .

5 . القنوجي ، صديق بن حسن . فتح البيان ، ج : 1 ، ص : 357 .

وهذا الخطاب الموجه إلى أولى الألباب ، يتضمن جملة من القيم الإبلاغية :

1 . يبلغنا الخطاب حكما من أحكام الدماء ، وهو القصاص ، فيلزم المخاطبين بإقامة حد القصاص في القتلى ، فيقاد من كل قاتل بقاتله ، وهذا التشريع فيه حماية للأفراد والمجتمع وإنصاف لكل نفس تقتل ظلما .

2 . في هذا الخطاب إبلاغ يرشد المخاطبين إلى أهمية إقامة حدود الله تعالى ، وخاصة حد القصاص ، لما في إقامته من حياة واطمئنان للناس . فالقصاص في الإسلام لا يراد منه القتل ، ولكن يراد منه الحياة للفرد والجماعة ، وقد شرع القصاص ليرتدع كل من تسول له نفسه أن يقتل ، لأنه يعلم أنه إذا قتل قُتل ، فيمتنع عن جرمه ، فينجو هو من القصاص ، وينجو الضحية من القتل .

3 . هذا الخطاب يضع حدا لما كان سائدا في الجاهلية من ظلم وهمجية وعدوان ، حيث كانوا يقتلون غير القاتل ، ويقتلون بالقتيل الواحد عددا كبيرا من القتلى ، وتثور الحروب بين القبائل طلبا للثأر ، فيموت خلق كثير ، فأنهى الله تعالى بهذا الحكم تلك الفوضى التي كانت سائدة في العصر الجاهلي ، وذلك بقتل القاتل وحده دون من عداه من الأبرياء .

4 . خاطب النص ذوى الألباب أي العقول والأحلام لأنهم أوعى من غيرهم ، وأجدر أن يدركوا حكمة هذا التشريع العظيم ، ولأنهم مرجع أقوامهم في شؤون حياتهم ، وهم الذين يوجهون حركية المجتمع ، وهم أبعد الناس عن النزق ، فلذلك خصوا بهذا الخطاب .

5 . يبلغنا الخطاب أن مدار الاستجابة لهذا التشريع على تقوى الله عز وجل ، فوجودها يدفع الإنسان إلى خوف الله ، ويزعه عن ارتكاب جريمة القتل ، لأنه يعلم

أنه إذا أفلتت من الناس لم يفلتت من الله تعالى ، وأما القصاص فهو يردع أصحاب النفوس المريضة التي لا تراقب الله تعالى ولا تخشاه ، فتمتتع عن القتل حتى لا تقتل قصاصا.

3 . إبلاغية السياق في سورة البقرة :

السياق عنصر مهم من عناصر الوظيفة الإبلاغية ، ولا يقل أهمية عن غيره من العناصر ، لأن الخطاب الإبلاغي خطاب تواصل ، ولكل تواصل سياق يندرج فيه ، ولكل إبلاغ سياق يفهم على ضوءه ، وكل خطاب مرتين بظروف إنتاجه ، ولا يمكن عزله عن سياقاته المختلفة.

3 . 1 . تعريف السياق لغة :

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس : « (سوق) السين والواو والقاف أصل واحد وهو حدو الشيء ، يقال : ساقه يسوقه سوقا . والسيقة ما استيق من الدواب . ويقال : سقت إلى امرأتي صداقها وأسقتها ، والسوق مشتقة من هذا ، لما يساق إليها من كل شيء والجمع أسواق »¹.

وفي لسان العرب : « انسأقت وتسأوقت الإبل إذا تتابعت ، وكذلك تقاودت ، فهي متقاودة ومتسأوقة »².

¹ . ابن فارس ، أبو الحسين أحمد . معجم مقاييس اللغة . ج : 3 ، ص : 117 .

² . ابن منظور ، محمد بن مكرم . لسان العرب ، ص : 2154 .

وفي المعجم الوسيط : « يقال : ساق الله إليه خيرا ونحوه بعثه وأرسله ، وسأقت الريح التراب والسحاب ، رفعته وطيرته ، وساق الحديث : سرده وسلسله ، وإليك يساق الحديث : يوجه »¹.

3 . 2 . تعريف السياق اصطلاحا :

جاء في معجم تحليل الخطاب : « إن سياق عنصر ما هو مبدئيا كل ما يحيط بهذا العنصر »².

فالسباق هو : « المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية »³.

وينقل الطلحي عن بروس أنغام قولها : « السياق يعني واحدا من اثنين ، أولا : السياق اللغوي وهو ما يسبق الكلمة ، وما يليها من كلمات أخرى ، وثانيا : السياق غير اللغوي : أي الظروف الخارجية عن اللغة التي ورد فيها الكلام »⁴.

وبعد نقلها لتعريفات السياق ، من وجهات نظر مختلفة ، نقدية ولسانية وأسلوبية ، تقول خلود العموش : « ومع تعدد هذه الميادين واختلاف الاتجاهات النظرية لأصحابها ، فإنها تتفق في أن السياق يفسر الكثير من العمليات المصاحبة لأداء اللغة في وظيفتها

¹ . مجمع اللغة العربية بمصر ، المعجم الوسيط ، ص : 464.

² . شارودو ، باتريك ودومنيك منغنو ، معجم تحليل الخطاب ، ص : 133.

³ . الطلحي ، ردة الله . دلالة السياق ، جامعة أم القرى ، ط : 1 ، السعودية ، 1424 هـ ، ص : 51.

⁴ . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

إذن فالوظيفة الإبلاغية التواصلية للخطاب لا يمكن دراستها بعيدا عن سياقاتها اللغوية وغير اللغوية.

وقد كان للسياق حضور في دراسات الباحثين العرب القدامى ، وإن لم يكن له عندهم تعريف اصطلاحي ، وإنما عرفوه ممارسة واستعملوه في تفسير النصوص وفهمها. يقول الطلحي : « بالرغم من ورود لفظ السياق في التراث العربي بهذه الصيغة وبصيغ أخرى ، سواء كان وروده عند اللغويين أو البلاغيين أو المفسرين أو الأصوليين ، إلا أنه يستعمل استعمالات (سياقية) مختلفة وقابلة للتعدد »².

ويرد الطلحي بقوله : « مع تعويل القدامى على السياق والإفادة منه في فهم النصوص أو بنائها ، إلا أنه لم يعتد به مصطلحا قائما في العلوم المشار إليها ، بدليل أنه لم يوضع له تعريف معين ، ولم يجر له في كتب الاصطلاح ذكر »³.

وقد أبرز علماءنا أهمية السياق في فهم النص ، وترجيح التأويلات ، يقول ابن القيم . رحمة الله : « السياق يرشد إلى تبين المجمل ، وتعيين المحتمل ، والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة ، وهذا من أعظم القرائن

¹ . العموش ، خلود . الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق . مثل من سورة البقرة ، عالم الكتب الحديث ودارا للكتاب العالمي ، ط : 1 ، الأردن ، 1429 هـ . 2008 م ، ص : 26.

² . الطلحي ، ردة الله . دلالة السياق ، ص : 41.

³ . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

الدالة على مراد المتكلم «¹».

3. 3 . أنواع السياق :

يطلق السياق على مفهومين هما² :

1 . السياق اللغوي : وهو تحديد للتتابعات اللغوية في الخطاب من وحدات صوتية وصرفية

ومعجمية ، وما بينهما من ترتيب وعلاقات.

2 . سياق التلفظ أو سياق الحال أو سياق الموقف : وهو يضم مجموع الظروف والوقائع

خارج لسانية ، كالظروف النفسية والاجتماعية والتلفظية ، والتي بداخلها يجري حديث

التواصل ، ومن ثم يمكن التمييز بين السياق اللساني والسياق الحالي.

فالسياق اللساني verbal context أو سياق النص هو المحدود بحدود النص لا

يتجاوزه وينظر في بنية الكلمة وتركيب الجملة ، فيما عرف بالنظم في البلاغة العربية ،

وينتهي بالنص يوصفه سياقاً للجملة ، وهذه المستويات السياقية متداخلة بحيث لا يمكن

الفصل بينها³.

¹ . ابن القيم ، محمد بن أبي بكر . بدائع الفوائد ، تح : على بن محمد العمران ، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار

عالم الفوائد ، (د ط) ، السعودية (د ت) ، م : 4 ، ص : 1314 .

² . ينظر : عروى ، محمد إقبال . دور السياق في الترجيح بين الأقاويل ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط : 1 ،

الكويت ، 1428 هـ . 2007 م ، ص : 26 .

³ . ينظر : بليغ ، عيد . السياق وتوجيه دلالة النص ، دار بلنسية ، ط : 1 ، مصر ، 1429 هـ . 2008 م ، ص :

أما السياق الحالي أو السياق الخارجي ، فهو ما يتعلق بالمتلقي من مكانة وثقافة إلى جانب المقام الاجتماعي والملابس الخارجية¹.

وهذا السياق هو ما يعرف في اصطلاح البلاغة العربية بـ « مطابقة الكلام لمقتضى الحال » أي ما يقتضيه حال المبلغين في مقام التواصل الإبلاغي ، لأن لكل مقام مقال يناسبه ، جاء في معجم البلاغة العربية : « مقتضى الحال ويسمى الاعتبار المناسب وهو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة »².

وفي تراثنا العربي « كان المفسرون من أسبق العلماء الذين اهتموا بالسياق واستعانوا به وسيلة مهمة من وسائل الكشف عن المعنى المراد للشارح الحكيم »³.

وللمفسرين في البحث عن معاني القرآن الكريم طريقان وهما : التفسير بالمأثور ، والتفسير بالرأي :

فالتفسير بالمأثور يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة رضي الله عنهم.

وممن اعتمد هذا النوع من التفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى الذي يقول : « فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر ، فإن أعيانك ذلك فعليك

¹ . ينظر : بليغ ، عيد . السياق وتوجيه دلالة النص ، ص : 190.

² . ينظر : طيانة ، يدوي . معجم البلاغة العربية ، ص : 548.

³ . الطلحي ، ردة الله . دلالة السياق ، ص : 103.

بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ¹. ثم يقول ابن كثير عقب ذلك : « إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اقتصوا بها » ².

وهذه الطرق الثلاثة للتفسير بالمأثور تعتمد في معظمها على السياق بنوعيه فهي تعتمد استقراء النصوص سياق القرآن ، أو السنة ، وفي هذين الطريقتين تناول للقرآن الكريم بالنصوص منه ومن السنة ، وهذا سياق النص ، أما سياق الموقف فيبدو في أقوال الصحابة في التفسير ، لأنهم شاهدوا القرائن والأحوال ³.

وأما التفسير بالرأي فهو : « عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد ، بعد معرفة المفسر بكلام العرب ومناحيهم في القول ، ومعرفته للألفاظ العربية ، ووجوه دلالتها ، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ، ووقوفه على أسباب النزول ، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن وغير ذلك من الأدوات » ⁴.

وكما اعتنى المسفرون بالسياق ، كذلك اهتم به علماء اللغة ، وعلماء أصول الفقه ، واستعملوه وسيلة لتحليل النصوص ، وخاصة نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ⁵.

¹ . ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، ج : 1 ، ص : 8.

² . المرجع نفسه ، ص : 9.

³ . الطلحي ، ردة الله . دلالة السياق ، ص : 106.

⁴ . الذهبي ، محمد حسن . التفسير والمفسرون ، مكتبة وهبة (د ط) ، مصر ، (د ت) ، ج : 1 ، ص : 183.

⁵ . ينظر : الطلحي ، ردة الله . المرجع نفسه ، ص : 61 وما بعدها.

وإذا كان السياق ينقسم إلى سياق لغوي داخلي ، وسياق غير لغوي خارجي ، فإن لكل قسم من هذين القسمين أنماطا وتقسيمات داخلية¹ :

فالسباق اللغوي يتضمن سياقات داخلية ، كالسباق الصوتي ، والسباق الصرفي ، والسباق التركيبي ، والسباق المعجمي.

ويتضمن السباق الخارجي ، السباق الاجتماعي ، والسباق التاريخي ، وسباق الموقف. وقد قسم الشهري أنواع السباق إلى : السباق النصي ، والسباق المقامي ، وسباق الفعل ، والسباق النفسي. كما تناول عناصر السباق وهي : المرسل ، والمرسل إليه والعناصر المشتركة بينهما².

وسوف نقوم بدراسة نموذج من سورة البقرة ، وننتبع سياقاته المختلفة مركزين على الجانب الإبلاغي منها :

. يقول الله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا عَلَى الشَّيْطِينِ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ

¹ . ينظر : العامري ، خليل خلف بشر . السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني ، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، م : 9 ، ج : 2 ، 2010 ، ص : 37 وما بعدها.

² . ينظر : الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، ص : 42 وما بعدها .

عَلِمُوا لِمَنِ اشْتَرَتْهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ [البقرة :

. [103 . 102]

4.3 . إبلاغية السياق التاريخي :

في هذا السياق التاريخي سنتناول سبب النزول وما يتضمنه هذا السياق من القيم الإبلاغية :

ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى في كتاب (العجاب في بين الأسباب)¹ عن عمران بن الحارث قال : بينما نحن عند ابن عباس إذ قال : إن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء ، فيجيء أحدهم بكلام حق ، فإذا جرب من أحدهم الصدق كذب معها سبعين كذبة ، فبشر بها قلوب الناس ، فاطلع على ذلك سليمان ، فأخذها . يعني الصحف التي نسخوا فيها تلك الأكاذيب وما قبلها من الصدق . فدفنها تحت الكرسي ، فلما مات سليمان ، قام شيطان بالطريق ، فقال : ألا أدلكم على كنز سليمان المنيع الذي لا كنز له مثله ؟ قالوا : بلى . قال : تحت الكرسي . فأخرجوه ، فقالوا : هذا سحر ، فتناسخها الأمم . فأنزل الله تعالى عذر سليمان عليه السلام : ﴿ وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ ، كما ذكر هذه القصة أيضا الواحدي في

¹ . ينظر : العسقلاني ، أحمد بن حجر . العجاب في بيان الأسباب ، تح : أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمري ، دار ابن

حزم ، ط : 1 ، لبنان ، 1422 هـ . 2002 م ، ص : 131 .

أسباب نزول القرآن¹.

وقد ذكر ابن حجر طرقاً أخرى لسبب النزول ، وفيها أن الشياطين كتبوا السحر ونسبوه إلى سليمان وأغروا به الناس فتعلمه بنو إسرائيل ، فأما علماءهم على ذلك العهد فرفضوه ، وأما عامتهم فأخذوا به ، وزعموا أن سليمان لم يكن إلا ساحراً ، فلما بعث النبي . صلى الله عليه وسلم . ونزل عليه في القرآن الكريم أن سليمان كان رسولا ، كذب اليهود ذلك وقالوا ما كان ابن داود إلا ساحراً ، وفي تلك الروايات أيضا أن الناس استخرجوا الكتب بعد ما مات سليمان عليه السلام ، وقد كان قبل موته انتزعها منهم ونهاهم عنها وفيها علوم السحر ، فلما مات أخذوها فعملوا بما فيها وتركوا دينهم ، وفيها أيضا أن العامة كفروا سليمان وسبوه لظنهم أنه ما كلن إلا ساحراً².

وذكر الحافظ ابن حجر في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ

هَرُوتَ وَمَرْوَتَ ﴾ قصة غريبة³ ، وهذه القصة تتلخص في أن الملائكة الكرام استغربوا أن يجعل الله تعالى من بني الإنسان خليفة في الأرض ، فيفسد فيها ، فأراد الله أن يمتحنهم فأنزل ملكين وجعل فيهما منازع الآدميين ، فوقعوا في ما عابته الملائكة على البشر ، فعصيا بشرب الخمر والزنا والقتل ، فعوقبا في بابل بالعذاب ، وأما المرأة التي زنيا بها فمسخت

¹ . ينظر : الواحدى ، علي بن أحمد . أسباب نزول القرآن ، تح : كمال بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ،

لبنان ، 1411 هـ . 1991 م ، ص : 35.

² . ينظر : العسقلاني ، أحمد بن حجر . العجائب في بيان الأسباب ، ص : 132 وما بعدها .

³ . ينظر : المرجع نفسه ، ص : 141 وما بعدها .

كوكبا هو كوكب الزهرة.

والحافظ . على جلالته رحمه الله تعالى . تمسك بتصحيح هذه القصة ، ولكنه ذكر أقوال من ردها من المحققين ، مما يدل على نزاهة علمائنا وموضوعيتهم ، وعدم تعصبهم للآراء ، ومن الذين ذكروهم الحافظ أبو بكر بن العربي القاضي المالكي في أحكام القرآن¹ ، وابن عطية في تفسيره².

ومن الذين ردوا هذه الحكاية أيضا وطعنوا في صحتها الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل)³ ، كما ردها أيضا القاضي عياض في كتابة (الشفاء)⁴ ، وأبو حيان في تفسيره (البحر المحيط)⁵.

قال ابن حزم رحمه الله تعالى : « ومن البرهان على بطلان هذا كله قول الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴿ مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴾ [الحجر : 8] ، فقطع الله عز وجل أن الملائكة

¹ ينظر : ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله . أحكام القرآن ، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط : 3 ، لبنان ، 1424 هـ ، 2004 م ، ق : 1 ، ص : 46.

² . ابن عطية ، محمد بن غالب الأندلسي . المحرر الوجيز ، ج : 1 ، ص : 187.

³ . ينظر : ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد . الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تح : محمد إبراهيم نصر ، وعبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، ط : 2 ، لبنان ، 1416 هـ . 1996 م ، ج : 4 ، ص : 61.

⁴ . ينظر : عياض ، القاضي أبو الفضل بن موسى اليحصبي . الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تح : عبدة علي كوشات ، وحدة البحوث والدراسات ، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، ط : 1 ، الإمارات ، 1434 هـ . 2013 م ، ص : 711.

⁵ . ينظر : أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي . البحر المحيط ، ج : 1 ، ص : 498.

لا تنزل إلا بالحق ، وليس بشرب الخمر ، ولا الزنا ولا قتل النفس المحرمة ، ولا تعليم العواهر أسماءه عز وجل ، التي يرتفع بها إلى السماء ، ولا السحر من الحق بل كل ذلك من الباطل «¹.

وقد احتج ابن حزم بحجج قوية من كتاب الله تبطل أن ينزل الملائكة لأحد من الناس إلا رسولا بالوحي ، ثم قال في آخر ذلك « فصح ضرورة أن نزولهم في الدنيا إلى غير الأنبياء ممتنع ألينة لا يجوز »².

كما تتبع القاضي عياض هذه الحكاية من جوانب متعددة مبطلا إياها من أساسها حيث قال . رحمه الله : « وقد انطوت القصة على شنع عظيمة ، وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف عن غطاء هذه الإشكالات إن شاء الله »³.

وقد تضمن هذا السياق التاريخي جملة من القيم الإبلاغية هي :

1 . الكشف عن بعض إدعاءات اليهود ، وكذبهم على أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام ، فاليهود لا يوقرون الأنبياء ولا يعظمونهم ، بل يعتدون عليهم بالقتل أحيانا ، وأحيانا أخرى بنسبة الزور إليهم والبهتان كما فعلوا مع مريم عليها السلام ، وكما فعلوا أيضا مع سليمان عليه السلام ، إذ نسبوا إليه السحر والكفر ، وزعموا أنه ارتد ، فليس لأنبياء الله قيمة ولا مكانة عند هؤلاء.

¹ . ابن حزم ، أبو محمد على بن أحمد . الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج : 4 ، ص : 62.

² . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

³ . عياض ، القاضي أبو الفضل بن موسى اليحصبي . الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ص : 711 ، وما بعدها .

2. يبلغ الخطاب عن بعض مصادر اليهود العلمية وهي الشياطين ، إذ يخبر بتصديقهم لهم في ما يتقولونه على ملك سليمان ، واتباعهم السحر ، وهو صناعة شيطانية ، وتركهم الدين الصحيح ، وهؤلاء لا يعول على ما يروونه عن الأنبياء وما سلف الأمم ، فليسوا أمناء على حقائق الدين والتاريخ .

3. يحذر الخطاب المؤمنين من الإقتداء باليهود في معاملتهم للرسل الكرام واستهانتهم بهم ، ويعلمهم توقيير رسل الله واحترامهم جميعا من غير تفرق بينهم ، فكلهم مرسل من عند الله تعالى ومبلغ رسالة ربه ، كما يحذر من مرويات اليهود في كتبهم وهو ما يسمى الإسرائيليات فمعظم ما يروونه باطل .

4. يبرئ الخطاب سليمان عليه السلام من السحر والكفر ، وينسب ذلك إلى مصدره الأصلي وهم الشياطين ، مما يوجب على المسلمين الإيمان بنبوة ورسالة سليمان عليه السلام وبرأته مما ألصقه به اليهود.

3. 5. إبلاغية السياق الثقافي :

يتضمن الخطاب الحديث عن السحر ، وهو نوع من العلوم التي يتعلمها السحرة من بعضهم أو من الشياطين ، وقد تناول العلماء هذا العلم في كتبهم ، فعرفوه ، وبينوا أنواعه ، وحكم تعلمه ، وطريقة عمله ، وهذه بعض الجوانب المتعلقة بالسحر في سياقه الثقافي :

3. 5. 1. تعريف السحر :

جاء في لسان العرب عن الأزهري : « السحر عمل تقرب فيه إلى الشيطان

وبمعونة منه¹.

وجاء في مقاييس اللغة : « هو إخراج الباطل في صورة الحق ، ويقال : هو

الخدیعة² » .

وفي مختار الصحاح : « السحر : الأخذة ، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر³ » .

وجاء في تعريفات علماء الشريعة أن السحر مختص بكل أمر يخفى سببه ، ويتخيل

على غير حقيقة ، ويجري مجرى التمويه والخداع. وقيل في تعريفه أيضا : هو عقد ورق

وكلام يتكلم به أو يكتبه ، أو يعمل شيئا فيؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير

مباشره له ، وله حقيقة ، فمنه ما يقتل ، وما يمرض ، وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه

وطأها ، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه ، وما يبغض أحدهما إلى الآخر ، أو يحبب بين

الاثنيين. وقيل إن السحر اتفاق بين ساحر وشيطان على أن يقوم الساحر بفعل بعض

المحرمات أو الشركيات في مقابل مساعدة الشيطان له وطاعته فيما يطلب منه⁴.

3 . 5 . 2 . أنواع السحر :

والسحر أنواع كثيرة ذكرها العلماء في كتبهم ومن ذكرها أبو حيان في تفسيره أثناء

تعريفه للسحر وهذا ملخصها :

¹ . ابن منظور ، محمد بن مكرم . لسان العرب ، ص : 1951 .

² . ابن فارس ، أبو الحسين أحمد . معجم مقاييس اللغة ، ج : 3 ، ص : 183 .

³ . الرازي ، محمد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، ص : 128 .

⁴ . بالي ، وحيد عبد السلام . الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار ، دار الإمام مالك ، ط : 2 ، الجزائر ،

1414 هـ ، ص : 8 .

- 1 . قلب الأعيان واختراعها وتغيير صورة الناس مما يشبه المعجزات والكرامات .
 - 2 . خدع وتمويهات لا حقيقة لها ويدل عليه ﴿يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى﴾ [طه : 66] .
 - 3 . الأخذ بالعين على جهة الحيلة ومنه ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ [الأعراف : 116] .
 - 4 . نوع خدمة الجن وهم الذين استخرجوه من جنس لطيف أجسامهم وهيئاتهم فلفظ وخفي .
 - 5 . نوع مركب من أجسام تجمع وتحرق وتتخذ منها أرمدة ومداد ويتلى عليها أسماء .
 - 6 . طلسمات وقفطريات تبني على أثر خصائص الكواكب .
 - 7 . مركب من كلمات ممزوجة بكفر¹ .
- 3 . 5 . 3 . حكم تعلم السحر والعمل به :

السحر علم مكتسب يحصل بالتعلم والصناعة ، لقوله تعالى : ﴿فَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾² وقوله تعالى أيضا : ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ﴾ [طه : 69] . وهو يتم بمعاناة أقوال وأفعال² .

والسحر محظور في الشريعة الإسلامية ، علما وعملا ، فقد ذكر ابن خلدون أن الشريعة لم تفرق بين السحر والطلسمات والشعبذة وجعلته كله بابا واحدا محظورا ، ثم علل هذا الحظر بكون هذه الأمور مما يجلب الضرر في الدنيا والآخرة ، وختم ذلك بقوله :

¹ . ينظر : أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي . البحر المحيط ، ج : 1 ، ص : 496 .

² . ينظر : الأشقر ، عمر سليمان . عالم السحر والشعوذة ، دار النفائس ، ط : 4 ، لبنان ، 1422 هـ . 2002 م ، ص :

« فجعلت الشريعة باب السحر والظلمسات والشعوذة بابا واحدا لما فيها من الضرر ،
وخصته بالحظر والتحريم »¹.

والسحر علم لا يتم لطالبه إلا بالاستعانة بالشياطين ، والعبودية لها بالقول
والفعل ، وتناول المحرمات والخبائث ونحو ذلك ، وهذا كله كفر وشرك ، ولا يجوز لمسلم أن
يأتيه².

وفي جاء في كتاب (شعب الإيمان) : « تعلم السحر وتعليمه حرام ، واعتقاد
إباحته كفر ، وقال أبو حنيفة ومالك وأحمد : يكفر الساحر بتعلمه وفعله ، سواء اعتقد
تحريمه أم لم يعتقد ، ويقتل دون استنابة ، وقال الشافعي : لا يعتبر الساحر مرتدا إلا إذا
استحل الكفر »³.

وقال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ ﴾ تبرئة من الله تعالى لسليمان ،
ولم يتقدم في الآية أن أحدا نسبه إلى الكفر ، ولكن اليهود نسبته إلى الكفر ، ثم قال :
﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ فأثبت كفرهم بتعليم السحر »⁴.

مما سبق يتضح أن السحر من العلوم المحرمة ، فلا يجوز تعلمه ، وأنه صناعة

¹ . ابن خلدون ، عبد الرحمن . المقدمة ، ص : 529 ، 230.

² الأشقر ، عمر سليمان . عالم السحر والشعوذة ، ص : 215.

³ . الصاعرجي ، أسعد محمد سعيد . شعب الإيمان ، دار الكلم الطيب ، ط : 2 ، لبنان ، 1422 هـ . 2002 م ، ج : 4 ،
ص : 280.

⁴ . القرطبي ، محمد بن احمد . الجامع إحكام القرآن ، ج : 2 ، ص : 271.

شيطانية ، وأن تعاطيه كفر يقتل صاحبه.

وقد تضمن هذا السياق الثقافي جملة من القيم الإبلغية هي :

- 1 . يعد السحر من العلوم القديمة التي أخذها الناس عن الشياطين ، وكان هاروت وماروت وهما شيطانان ، يعلمانه الناس ببابل ، وعنهما أخذه الناس وأصبحوا يتوارثونه.
- 2 . يبلغنا الخطاب أن السحر وإن كان من العلوم إلا أنه محظور شرعا ، لا يجوز تعلمه ولا العمل به ، وأن العمل به كفر ، لأن العمل بالسحر يكون بتسخير الشيطان ، وهذا الشيطان لا يعمل للساحر إلا إذا قدم له قرابين وطقوس شركية ، ولذلك كان السحر كفرا.
- 3 . يبلغنا الخطاب الكريم أن كل من يتعلم السحر أو يعمل به يعد خاسرا في الدنيا والآخرة ، فالله تعالى يقول : ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .
- 4 . يعد السحر نقيض الإيمان ، فكل ساحر ليس مؤمنا ، لأن الله تعالى عقب بعد ذلك فقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ، فهم لو تركوا السحر وآمنوا بالله ، لجعل الله لهم المثوبة بدل الخسران والعقاب ، وكان ذلك خيرا لهم في الدنيا والآخرة.

3 . 6 . إبلاغية السياق الاجتماعي :

السحر من الآفات الاجتماعية الخطيرة ، وله أضرار كثيرة ، ولأجل هذه الأضرار حرم الله تعالى تعلمه وتعليمه والعمل به . فالسحر له تأثير خطير على الإنسان في صحته ،

وحياته ، كما يؤثر على القلب والبدن ، وأحيانا على الأحاسيس ، وعلى بعض القوى ، وقد يصل تأثيره إلى موت المسحور¹.

والسحر ، دونما شك ، وصول إلى قمة الشر ، لأن الساحر يتجرد من العواطف والأحاسيس الخيرة ، ومن كل القيم الإنسانية ، بل يتجرد مما يربطه بربه وخالقه ، فيشرك بالله ويكفر به ، فالسحر من أكبر الكبائر ، وأخطر الأمراض التي تصيب المجتمعات ، فتقوض بنيانها ، وتهد أركانها ، وينتشر بسببه العدوان ، وانتهاك الأعراض ، وقتل الأبرياء ، وسرقة الأموال².

وقد عبر القرآن الكريم عن الضرر الحاصل بسبب السحر ، فقال الله تعالى :

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذَنُ اللَّهُ وَيَنفَعُونَ مَا يَصُورُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ .

قال الدوسري في تفسير هذه الآية الكريمة : « هذا النص من الله على حقيقة السحر وسوء تأثيره ، وليس مقصورا على هذه التفرقة ، وإنما نكرها الله في معرض الذم للسحر ، تخريجا على الأغلب »³.

ولا ينكر أن للسحر تأثيرا بالحب والبغض والألفة والنفرة وبإلقاء الشرور حتى يحول بين

¹ . ينظر : الدوسري ، عبد الرحمن بن محمد . صفوة الآثار والمفاهيم ، م : 2 ، ص : 293.

² . ينظر : المعاني ، أبو البراء أسامة بن ياسين . الصواعق المرسلّة في التصدي للمشعوذين والسحرة ، دار المعالي ، ط

: 1 ، الأردن ، 1421 هـ . 2000 م ، ص : 11.

³ . الدوسري ، عبد الرحمن بن محمد . المرجع نفسه ، ص : 303.

المرء وقلبه وبإدخال الآلام وعظيم الأسقام¹.

وقد اختص الله تعالى سحر التفريق بالذكر « لأنه من الصور التي يظهر فيها مفسدة السحر بأشد ما يكون ، فهذا أثر إبرازها ، ليعلم الناس مدى ما يصل إليه السحر من الإضرار بالمجتمع ، فإن إفساد الأسرة إفساد للمجتمع ، لما فيه من تشريد للأولاد الذين هم أساسه² ».

وهذا السياق الاجتماعي يتضمن محتوى إبلاغيا هاما ، فإن الإخلال بالأسرة إخلال بالمجتمع كله ، وعلى هذا لا يكون ضرر السحر مقصورا على فرد بعينه ، بل يتعداه إلى المجتمع كله ، بدءا بالأسرة التي هي اللبنة الأولى للمجتمع ، لأنه إذا قطعت أواصر المحبة بين الزوجين تخلخل نظام الأسرة ، وأدى ذلك إلى الطلاق ، فعند ذلك يضيع الأولاد ويتشردون ، وقد يكون من بين هؤلاء معاول هدم وأدوات إجرام في المجتمع ، وهذا كله كان بسبب ساحر شرير أقدم على عمل السحر ليفرق بين المرء وزوجه.

والسحر ليس قاصرا على هذا النوع المسمى سحر التفريق فقط ، بل هناك أنواع أخرى ذكرها العلماء في كتبهم ، ومنها ربط الرجل عن زوجته ، وربط الزوجة عن زوجها ، ومنها جعل الرجل يحب المرأة وجعل المرأة تحب الرجل ، وقد يؤدي هذا إلى الزنا الحرام ، كما أن بعض السحرة قد يسحر النساء ليزني بهن ، أو يجلبهن إلى غيره عياذا بالله تعالى ، كما قد يوقع الرجل أيضا في الزنا بهذا الطريق ، وأكثر ما يستعمل السحر في هذه النواحي ، لأنه

¹ . الدوسري ، عبد الرحمن بن محمد . صفوة الآثار والمفاهيم ، م : 2 ، ص : 303.

² . مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . التفسير الوسيط ، ص : 157.

قليلا ما يستعمل للخير ، بل أكثره يستعمل للشر ونشر الفساد ، وهناك أشياء كثيرة مشاهدة تقع للناس ويحدث بها فساد كبير ، ولأجل ذلك راجت سوق الرقاة ، من كان يرقى رقية شرعية ، ومن كان يرقى رقية شركية ، وأصبح الرقاة يأخذون أموالا من ضحاياهم ، بطريق الابتزاز ، وكل ذلك بسبب هذا العلم المشؤوم ، وهناك من السحر من يسبب الأمراض ، وخاصة السحر الذي يدخل في طعام المسحور ، فما هو في الحقيقة سوى وباء وجراثيم تدخل المعدة ، وقد تضر بعض الأعضاء ، وقد تحدث أمراضا مزمنة أو أمراضا خطيرة ، وقد تؤدي إلى الوفاة ، نسأل الله السلامة ، وكل ذلك بسبب هذه الآفة الخطيرة ، التي يجب على الدول أن تحاربها ، وتقمع أصحابها بالعقوبات الرادعة.

7.3 . إبلاغية السياق اللغوي :

1.7.3 . سياق المناسبة :

المناسبة في اللغة تدور حول معنى اتصال شيء بشيء ، ويسمى النسب لاتصاله ، تقول فلان نسب فلان ، أي إنه متصل به بنوع قرابة. وفي الاصطلاح العام : المناسبة هي علة الترتيب ، وعند علماء القرآن العظيم : مناسبات القرآن العظيم هي علل ترتيب أجزائه بعضها ببعض ، أو هي : المعنى الذي يربط بين سوره وآياته¹.

¹. ينظر : السيوطي ، عبد الرحمن . علم المناسبات في السور والآيات ، ص : 27.

وقال الزركشي : « اعلم أن المناسبة علم شريف ، تحزر به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول »¹.

ثم قال : « وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء »².

والمناسبات قسمان :

القسم الأول : المناسبات الداخلية ، ويندرج تحت هذا القسم أنواع هي :

- 1 . مناسبة ترتيب آيات السورة الواحدة واعتلاق بعضها ببعض وارتباطها وتلاحمها واتساقها.
- 2 . مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقى له.
- 3 . مناسبة ختام السورة لمطلعها.
- 4 . مناسبة فواصل الآي للآية التي ختمت بها.

القسم الثاني : المناسبات الخارجية ، ويندرج تحت هذا القسم أنواع هي :

- 1 . مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.
- 2 . مناسبة ختام السورة لمطلع السورة التي تليها.
- 3 . مناسبة مطلع السورة لمطلع السورة التي قبلها³.

¹ . الزركشي ، بدر الدين . البرهان في علوم القرآن ، ج : 1 ، ص : 35.

² . المرجع نفسه ، ص : 36 .

³ . ينظر : السيوطي ، عبد الرحمن . علم المناسبات في السور والآيات ، ص : 28 ، 29.

وقد ذكر الزركشي في البرهان أمثلة على المناسبة بين سور القرآن الكريم ثم قال بعدها :
« وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور ، فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض ، بل عند
التأمل يظهر أن القرآن الكريم كله كالكلمة الواحدة »¹.

ومناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها أنه « حين نبذ فريق من اليهود وهم أبحارهم
وعلمائهم التوراة وأعرضوا عنها ، لأنها تدل على نبوة محمد . صلى الله عليه وسلم .
اشتغلوا بصناعات وأعمال صادة عن الأديان ، من صنع شياطين الإنس والجن ، وهي
السحر والشعوذة والطلاسم التي نسبوها إلى سليمان ، وزعموا أن ملكه كان قائما عليها »².
وقال البقاعي : « ولما كانت سنة الله جارية بأنه ما أمات أحد سنة ، إلا زاد الله في
خذلانه بأن أحيى على يده بدعة أعقبهم نبذهم لكلام الله أولى الأولياء إقبالهم على كلام
الشياطين الذين هم أعدى الأعداء فقال تعالى ﴿ وَأَتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوْا ﴾ »³.

وذلك لأن الله تعالى قال قبل هذه الآية : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا
مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيْقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة :
101] ، وقال في هذه الآية : ﴿ وَأَتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوْا الشَّيْطَانِ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ ... الآية .

فبين الآية وما قبلها ارتباط معنوي ، حيث إن السياق يتناول الحديث عن

¹ . الزركشي ، بدر الدين . البرهان في علوم القرآن ، ج : 1 ، ص : 39.

² . الزحيلي ، وهبه . التفسير المنير ، م : 1 ، ج : 1 ، ص : 267.

³ . البقاعي ، أبو الحسن إبراهيم بن عمر . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي ، (د ط) ،

مصر ، 1390 هـ . 1950 م ، ج : 2 ، ص : 72.

خبث اليهود وتلاعبهم بدين الله تعالى ، فالتوراة التي يزعمون أنهم يتمسكون بها تخبر بنبوته محمد . صلى الله عليه وسلم . ولذلك أعرضوا عنها ، واتبعوا السحر وهو صناعة شيطانية. وهذا السياق يتضمن إبلاغا بأن اليهود نبذوا كتاب الله تعالى ، والمقصود بكتاب الله التوراة أو القرآن ، واتبعوا السحر ، وهو علوم وصنعة شيطانية ، وهذا يدل على شناعة ما فعلوا ، إذ أعرضوا عن الحق واتبعوا الباطل ، وتركوا الهدى واتبعوا الضلال ، واستبدلوا بنور الله ووحيه هذا السحر الشيطاني ، وفي ذلك تحذير للمؤمنين من نبذ كتاب الله تعالى ، وتحذير آخر من تعلم السحر وممارسته.

2. 7. 3 . السياق المعجمي :

يقول الله تعالى : ﴿ وَأَتَّبِعُوا ﴾ قال الأصفهاني : « يقال تبعه ، واتبعه قفا أثره »¹ . والضمير في « اتبعوا » راجع على اليهود ، والمراد من كان في عهد سليمان . عليه السلام . وقال ابن عباس : « المراد من كان في عهد النبي . صلى الله عليه وسلم . وقيل : الجميع »² .

ومعنى ﴿ تَتْلُوا ﴾ تقرأ من التلاوة ، وقيل معناه تفتري وتكذب³ . وقيل تتبع وتعمل به⁴ .

¹ . الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين الراغب . المفردات في غريب القرآن ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، (د ط) ، (د ت) ،

ج : 1 ، ص : 93 .

² . ابن عطية ، عبد الحق بن غالب الأندلسي . المحرر الوجيز ، ج : 1 ، ص : 185 .

³ ينظر : الخازن ، علاء الدين على بن إبراهيم . لباب التأويل في معاني التنزيل ، ج : 1 ، ص : 63 .

⁴ . ينظر : البغوي ، الحسين بن مسعود . معالم التنزيل ، م : 1 ، ص : 126 .

وذكر في البحر عدة معان لـ ﴿تَنَلُّوْا﴾ فقال : « وتتلوا تتبع قاله ابن عباس ، أو تدعي أو تقرأ ، أو تحدث قاله عطاء ، أو تروى قاله يمان ، أو تعمل ، أو تكذب قاله أبو مسلم وهي أقوال متقاربة »¹.

والأقرب في هذه المعاني تكذب وتفتري لتعدية الفعل بـ (على) لأن تلا يتعدى بـ (على) إذا كان الذي يتلى عليه محلا قابلا لذلك كما يقال : يتلى على زيد القرآن ، وليس الملك بهذا المعنى لأنه ليس شخصا يتلى عليه.

وعلى هذا السياق خرج أبو حيان ﴿تَنَلُّوْا﴾ على معنى (تتقول) لأن الفعل ضُمِّنَ تتقول فعدي بـ (على) ، لأن تتقول تعدى بها قال تعالى : ﴿وَلَوْ نَقَوْلَ عَلَيْنَا﴾².

واختلف في المراد بالشياطين ، فقيل هم شياطين الإنس ، المتمردون في الضلال وقيل هم شياطين الإنس والجن ، فالذين قالوا بأن المراد شياطين الجن قالوا : إن الشياطين دونوا كتبنا وقالوا هذا علم سليمان وما تم له الملك إلا به ، وأما من قال بأنهم شياطين الإنس ، فقد روي أن سليمان دفن كتب السحر الذي شاع في عصره ومنع الناس من تعاطيه فلما مات أخرجهم المنافقون وهم شياطين الإنس وعلموه الناس³.

ويمكن الجمع بين التأويلين بأن يكون كل من شياطين الجن وشياطين الإنس مشاركين في تعليم السحر للناس فالذين من الجن بوحيمهم للذين من الإنس ، والآخرون يباشرون

¹. أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي . البحر المحيط ، ج : 1 ، ص : 494.

². ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

³. ينظر : ابن عادل ، أبو حفص عمر بن علي . اللباب في علوم الكتاب ، ج : 2 ، ص : 325.

تعليمه الناس ، لأن تعليم الإنسان لمثله أقرب إلى الواقع.

3 . 7 . 3 . السياق النحوي :

الواو في قوله تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوا﴾ واو الجمع ، وهو عائد على اليهود سواء من كان منهم في زمن سليمان ، أو من كان منهم في زمن النبي . صلى الله عليه وسلم . أو جميع اليهود¹.

واليهود هم أكثر الشعوب تعاطيا للسحر منذ القدم. وأما عود الضمير على اليهود فذلك ما يقتضيه السياق ، لأن الحديث كان عن اليهود في الآيات السابقة لهذه الآية قال تعالى :

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ﴿١٠٢﴾﴾ ، فقوله تعالى ﴿وَاتَّبِعُوا﴾ معطوف على قوله ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ﴾².

وسياق الآيتين يدل على نبذ اليهود لكتاب الله عز وجل ، وهو التوراة أو القرآن ، واتباعهم السحر الذي أخذوه عن الشياطين ، وهو دليل إعراضهم عن الحق واتباعهم الباطل ، كما سلف. وقوله ﴿تَنَلُوا﴾ في معنى تلت ، فهو مضارع واقع موقع الماضي. وقال الكوفيون : الأصل : وما كانت تتلوا الشياطين³.

¹ . ينظر : ابن عطية ، عبد الحق بن غالب الأندلسي . المحرر الوجيز ، ج : 1 ، ص : 185.

² . ينظر : الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير ، ج : 1 ، ص : 265.

³ . ينظر : ابن عادل ، أبو حفص عمر بن علي . اللباب في علوم الكتاب ، ج : 2 ، ص : 324.

وقال صاحب الكشاف : « واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرأها ﴿ عَلَى مُلْكٍ ﴾

سَلَيْمَنَ ﴾ أي : على عهد ملكه وفي زمانه «¹.

واستعمال صيغة المضارع بدل صيغة الماضي يدل إما على أن الفعل جاء بصيغة المضارع ويراد بها الماضي كما سلف ، وإما على استمرار وقوع الفعل من الشياطين في زمن النزول أو في كل زمن يأتي بعده ، لأن صيغة المضارع تدل على التكرار والتجدد ، فيكون المعنى أن الشياطين ، سواء شياطين الجن ، أو شياطين الإنس ، مستمرة في تعليم السحر للسحرة.

وفي قوله تعالى : ﴿ عَلَى مُلْكٍ سَلَيْمَنَ ﴾ قولان :

أحدهما أن (على) بمعنى (في) والمعنى : في عهده وملكه.

والثاني أن (تتلوا) بمعنى (تتقول) لأن فعل تتقول يتعدى بـ (على).

قال ابن عادل : « وهذا الثاني أولى ، فإن التجوز في الأفعال أولى من التجوز في

الحروف ، وهو مذهب البصريين «².

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَفَرَ سَلَيْمَنُ ﴾ : الميم (ما) نافية ، نفت الكفر عن سليمان

. عليه السلام . لأن اليهود زعموا أن سليمان لم يكن رسولا ، وإنما كان ملكا ، وأن

ملكه قام على السحر ، ففي الإصحاح الحادي عشر من سفر الملوك أن السحرة هم الذين

¹ . الزمخشري ، جار الله محمود . تفسير الكشاف ، ج : 1 ، ص : 305.

² . ابن عادل ، أبو حفص عمر بن علي . اللباب في علوم الكتاب ، ج : 2 ، ص : 324.

أقاموا ملك سليمان ، وأن سليمان ارتد وكفر¹.

وهذا من تزوير اليهود للحقائق وعبثهم بالدين وتحريفهم لكتاب الله تعالى وخيانتهم لما استؤمنوا عليه « فرد الله عليهم بأن سليمان ما فعل ذلك وما عمل سليمان بالسحر ، ولكن الشياطين كفروا باتباع السحر وتدوينه وتعليمه الناس على وجه الإضرار والإغواء ، ونسبته إلى سليمان على وجه الكذب وجدد نبوته »².

وقال الأشموني في (منار الهدى) عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ :
« أي لم ينزل عليهما سحر ولا باطل ، وإنما أنزل عليهما الأحكام وأمرنا بنصرة الحق وإبطال الباطل »³.

وعلى هذا التخريج يكون النص قد نفى عن الملكين أن يكون قد أنزل عليهما السحر ، على الروايات المعروفة ، وحتى لو كانت « ما » موصولة ، وكانت الواو عاطفة ، فلا يسيغ أن يكون السحر قد أنزل عليهما أيضا ، لأنه حينئذ يكون السحر معطوفا على السحر ، وهذا لا يسيغ ، فلا يقال : يعلمون الناس السحر ويعلمونهم الذي أنزل على الملكين وهو السحر أيضا ، فما الفرق بين السحر والسحر؟ وقد سبق أن تناولنا أقوال العلماء والمفسرين الذين نقضوا حكاية أن يكون ملكان أنزلا بالسحر.

¹ . أبو زهرة ، محمد . زهرة التفاسير ، م : 1 ، ص : 337.

² الزحيلي ، وهبة . التفسير الوسيط ، دار الفكر ، ط : 1 ، سوريا ، 1422 هـ . 2001 م ، ج : 1 ، ص : 45 .

³ . الأشموني ، أحمد بن محمد بن عبد الكريم . منار الهدى في بيان الوقف والابتداء ، تح : شريف أبو العلاء العدوي ،

دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، لبنان ، 1422 هـ . 2002 م ، ص : 106.

ويرى القرطبي رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ أن (ما) نفي ،
والواو للعطف على قوله : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ ﴾ وذلك أن اليهود قالوا : إن الله أنزل
جبريل وميكائيل بالسحر ، فنفى الله ذلك ، وفي الكلام تقديم وتأخير ، والتقدير : وما كفر
سليمان وما أنزل على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر ببابل هاروت
وماروت ، فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾
هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل وأصح ما قيل فيها ولا يلتفت إلى سواه¹.

فالقربطبي رحمه الله يرى أن هاروت وماروت شيطانان ، وأنهما بدل من الشياطين ،
ويرى إمكانية إبدال الاثنین من الجمع لأن الاثنین قد يطلق عليهما اسم الجمع أو لأنهما كانا
الرأس في التعليم فنص عليهما دون أتباعهما أو خصا بالذكر لتمردهما.

وللقاسمي² تخريج بديع إذ يرى بأن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين
بالصلاح والتقوى في بابل ، مدينة بالعراق ، وكانا يعلمان الناس السحر ، ولتظاهرها
بالصلاح حسن اعتقاد الناس فيهما فظنوا أنهما ملكان من السماء ، والذي يعلمان بوحى من
الله ، وكان من مكرهما وتظاهرها أن كانا يحذران من يريد أن يتعلم بقولهما ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فَتَنَةٌ
فَلَا تَكْفُرْ ﴾ وذلك ليوهما الناس أن هذه علوم إلهية وصناعة روحانية كما يفعل ذلك

¹ . ينظر : القرطبي ، محمد بن احمد . الجامع لأحكام القرآن ، ج : 2 ، ص : 282.

² . ينظر : القاسمي ، محمد جمال الدين . محاسن التأويل ، ج : 2 ، ص : 210 . وينظر في ذلك أيضا : حموش ،

مأمون . التفسير المأمون ، (د د) ، ط : 1 ، سورية ، 1428 هـ . 2007 م ، ج : 1 ، ص : 350.

دجاجة هذا الزمان.

ومن المشاهد إلى يومنا هذا أن الكثير من السحرة والدجالين يتظاهرون بالصلاح والاستقامة والتقوى ، ويلبسون لباس العفة والطهارة ، ليوهموا الناس بفعل الخير ، وبهذا يكسبون ثقة البسطاء والدهماء ويضحكون عليهم ، ويوقعون بضحاياهم ، وكأن هذا الشأن سنة متبعة لدى هؤلاء. فإذا كان هاروت وماروت . كما يرى القاسمي . رجلين تظاهرا بالصلاح فهما من شياطين الإنس ، وبذلك يكونان شيطانين أبدلا من الشياطين كما ذكر القرطبي في إبدال الاثنين من الجمع.

الفصل الثالث:

إبلاغية الإقناع والتأثير في

سورة البقرة

تمهيد :

من أهداف الرسالة اللغوية الوصول إلى المخاطب قصد إقناعه والتأثير فيه ، فالإقناع والتأثير من أساسيات الوظيفة الإبلاغية للغة ، لأن الإبلاغ لا يقتصر على مجرد نقل الأخبار والمعلومات ، ولكنه يحمل عناصر تتجه إلى العقل وأخرى تتجه إلى الوجدان من أجل حمل المخاطب على تبني مضمون الرسالة الإبلاغية والعمل به ، « والمتأمل للخطاب القرآني حسب الغرض التواصلي الإبلاغي المستهدف يجده يتشكل من مجموعة من (المسارات / الأنماط) الرئيسة ، والتي من أهمها : الخطاب الإقناعي ...»¹ ، فالإقناع من أهم الغايات للخطاب القرآني ذلك لأن « الخطاب القرآني هو في صميمه خطاب «حقيقة» يهدف إلى تمكين الحقائق التعليمية التبيينية التشريعية في نفوس المتلقين عن طريق التأثير والإقناع »².

وسوف نخصص هذا الفصل لمباحث الإقناع والتأثير في الخطاب الإبلاغي في سورة

البقرة :

1 . تعريف الإقناع والتأثير :

1 . 1 . تعريف الإقناع والتأثير لغة :

1 . 1 . 1 . تعريف الإقناع لغة :

¹ . الجودي ، لطفي فكري محمد . جماليات الخطاب في النص القرآني ، مؤسسة المختار ، ط : 1 ، مصر ، 1435 هـ .

2014م ، ص : 103 .

² . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

قال ابن فارس : « الإقناع الإقبال بالوجه على الشيء ، يقال : أقنع له يقنع إقناعا . والإقناع مد اليد عند الدعاء ، وسمي بذلك عند إقباله على الجهة التي يمد يده إليها . والإقناع إمالة الإناء للماء المنحدر ... ويقولون : قنع قناعة إذا رضي . وسميت قناعة لأنه يقبل على الشيء الذي له راضيا . والإقناع : مد البعير رأسه إلى الماء ليشرب »¹ .

وفي المعجم الوسيط : « اقتنع بالفكرة أو الرأي : قبله واطمأن به »² .

مما سبق ذكره يتضح أن الإقناع في اللغة يدور على معاني الإقبال والميل والرضا والقبول والاطمئنان .

1.1.2. تعريف التأثير لغة :

جاء في القاموس المحيط : « أثر فيه تأثيرا : ترك فيه أثرا »³ . وجاء في تاج العروس للزبيدي : « التأثير : إبقاء الأثر في الشيء »⁴ .

وعلى هذا يكون التأثير في الإنسان هو إبقاء أثر في نفسه ، فإذا تكلم خطيب أو شاعر فبقي أثر من كلامه في نفوس سامعيه ، فهو قد أثر فيهم وهم قد تأثروا به . ويكون بذلك قد أحت تأثيرا ما في قلوبهم وعقولهم سلبا أو إيجابا .

1.2. تعريف الإقناع والتأثير اصطلاحا :

¹ . ابن فارس ، أحمد بن زكريا . معجم مقاييس اللغة ، ج : 5 ، ص : 33 .

² . مجمع اللغة العربية . المعجم الوسيط ، ص : 763 .

³ . الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب . القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، ط : 8 ، لبنان ، 1426 هـ . 2005 م ، ص :

341 .

⁴ . الزبيدي ، محمد مرتضى . تاج العروس ، ج : 10 ، ص : 14 .

الكثير من التعريفات تجمع بين المصطلحين في تعريف واحد ، وإن كان الإقناع يتجه صوب العقل بينما يتجه التأثير ناحية الوجدان ؛ فقد جاء في القاموس العربي الأول لمصطلحات علوم التفكير في مادة (إقناع) ما يأتي : « هو عرض وجهة النظر بأسلوب منطقي أو أسلوب عاطفي يؤثر في الأشخاص المستمعين أو المستهدفين ، والإقناع هو العرض الشفهي لوجهة النظر أمام الآخرين من أجل نقل الأفكار والمعلومات »¹.
وجاء في كتاب (فن الخطابة والإلقاء) : « الإقناع يعني غرس القناعة في نفوس من تحدثهم »².

ويقول محمد أبو زهرة : « مرمى الخطاب الإقناعي ليس هو الإلزام والإفحام فقط بل مرماه حمل المخاطب على الإذعان والتسليم وإثارة عاطفته »³.
وفي معجم تحليل الخطاب : « يمكن النظر إلى الإقناع باعتباره ناتج مسارات التأثير »⁴. ويقول في موضع آخر: « والإقناع أثر الفعل بالقول »⁵.

ويجمع محمد العمري بين التأثير والإقناع في قوله : « إن دراسة الخطاب الإقناعي دراسة شعريّة لا تعدم الشرعية بصفة مطلقة ، ولكنها تقف عند عنصر واحد من عناصر

¹ . العوفي ، عيسى سعد وعبد الرحمن علوي. القاموس العربي الأول لمصطلحات علوم التفكير ، دار دبيونو، ط : 1 ، الأردن ، 2010م ، ص : 58.

² . نعيم ، أنطوان وحيد . فن الخطابة والإلقاء ، دار الكتاب العربي ، (دط) ، لبنان ، 2010م ، ص : 162.

³ . أبو زهرة ، محمد . الخطابة ، مطبعة العلوم ، ط : 1 ، مصر ، 1353هـ . 1934م ، ص : 68.

⁴ . شارودو ، باتريك ودومينيك منغنو . معجم تحليل الخطاب ، ص : 417.

⁵ . المرجع نفسه ، ص : 418.

التأثير والإقناع التي يلجأ إليها الخطيب»¹.

وجاء في كتاب (نظريات في أساليب الإقناع) : « يشكل الإقناع ركيزة مهمة من ركائز العمل الإعلامي الذي يهدف إلى التأثير في تكوين الرأي العام وتغيير المعتقد والموقف والسلوك»².

ويقول الشهري : « فمن الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بما يراه ، أي إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي لديه »³.

مما سبق ذكره نلاحظ أن هذه التعريفات تدمج بين الإقناع والتأثير فتجعلهما كالشيء الواحد ، ولكننا نجد من الباحثين من فصل بين المصطلحين ، ففي كتاب (السياق وتوجيه دلالة النص) يتكلم الكاتب عن الإقناع والتأثير فيعدهما غايتين وراءهما غاية تبليغية ، وبذلك تتحول هاتان الغايتان إلى وسيلة لتحقيق هذه الغاية الإبلاغية التبليغية التي تهدف إلى تمكين مقتضى القول في نفس المتلقي ، ثم يحدد لكل منهما وجهته التي يقصدها في المتلقي فالتأثير يخاطب القلب والوجدان أي يخاطب في الإنسان إنسانيته والمشاعر المختلفة من الخوف والحذر والإشفاق وغيرها . أما الإقناع فيخاطب في الإنسان عقله المفكر الذي يختبر الفكرة ويتفحصها⁴.

¹ . العمري ، محمد . في بلاغة الخطاب الإقناعي ، دار إفريقيا الشرق ، ط : 3 ، لبنان ، 2002م ، ص : 8.

² . رزق ، علي . نظريات في أساليب الإقناع ، دار الصفاة ، ط : 1 ، لبنان ، 1414 هـ . 1994م ، ص : 11.

³ . الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . إستراتيجيات الخطاب ، ص : 444.

⁴ . ينظر : بليغ ، عيد . السياق وتوجيه دلالة النص ، ص : 215.

من هذا الكلام نستشف أن الكاتب يعي تماما التداخل الحاصل بين الإقناع والتأثير ،
فهما غايتان تتجه كل واحدة منهما إلى جهة معينة في الإنسان ، وتلتقيان معا لتكونا وسيلة
لغاية أكبر هي الغاية الإبلاغية.

وقد أصاب الكاتب في هذا التوجيه لأن الإبلاغ لا يتم بغير وسائل الإقناع والتأثير لحمل
المخاطب على تبني مضمون الخطاب وتغيير موقفه أو سلوكه أو معتقده وفق ما يوجهه
إليه الخطاب.

2 . وسائل الإقناع والتأثير :

الوسائل جمع وسيلة قال الراغب : « الوسيلة التوصل إلى شيء برغبة ، وهي
أخص من الوسيلة لتضمنها معنى الرغبة قال تعالى : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾
[المائدة : 35] ، وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم
الشرعية »¹.

وجاء في لسان العرب : « الوسيلة هي في الأصل ما يتوسل به إلى الشيء
ويتقرب به »².

فالوسيلة هي ما يتم الوصول به إلى غاية ويتوسل به إلى هدف منشود ووسائل الإقناع
والتأثير هي ما يستخدم من طرف المرسل من طرق وأساليب وآليات للوصول إلى إحداث
الإقناع والتأثير في المتلقي المستهدف من الخطاب.

¹ . الأصفهاني ، الحسين بن محمد الراغب . المفردات في غريب القرآن ، ج : 2 ، ص : 678.

² . ابن منظور ، محمد بن مكرم . لسان العرب ، ص : 4838.

وقد دُرِسَ هذا الموضوع في بحوث سابقة ، كل من زاوية معينة ، فقد تناول كتاب « من أساليب الإقناع في القرآن الكريم »¹ ما أسماه استراتيجيات الإقناع ، حيث عد ثلاث استراتيجيات ، هي :

. الإستراتيجيات الدينامية النفسية.

. الاستراتيجيات الثقافية الاجتماعية.

. استراتيجيات إنشاء المعاني.

كما بحث هذا الموضوع أيضا صاحب كتاب « أساليب الإقناع في القرآن الكريم » فذكر من الأساليب أسلوب الجدل ، والتصوير ، والقصص ، والتمثيل ، وأسلوب الاستفهام ، والتوكيد ، والتكرار ، والحذف².

كما يوجد كتاب آخر عنوانه « الأساليب اللغوية للإقناع في القرآن الكريم » والكتاب عبارة عن أطروحة دكتوراه نوقشت في كلية اللغات بجامعة القرآن الكريم بالسودان سنة 2007 ، من إعداد الباحث عبد الله علي علي الثوري ، ويوجد معلومات عن محتويات الكتاب في المركز الوطني للمعلومات التابع لرئاسة الجمهورية باليمن ، وقد تناول الباحث الكثير من الأساليب اللغوية التي رآها أساليب إقناعية ومنها : التقديم والتأخير ، والتكرار ،

¹ . ينظر : مصطفى ، معتمد بابكر . من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، كتاب الأمة ، ع : 95 ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط : 1 ، دولة قطر ، 1424 هـ . 2003 م ، ص : 32 وما بعدها .

² . ينظر : باطاهر ، بن عيسى . أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، دار الضياء ، ط : 1 ، الأردن ، 2000م ، ص : 57 وما بعدها . وقد اطلعت على الفهرس فقط مع صورة الكتاب ومعلومات النشر في موقع نيل وفرات كوم :

وضرب الأمثال ، والقسم ، وأسلوب الاستثارة ، والوعد والوعيد ، والعرض والإغراء ،
وأسلوب الحوار ، وأسلوب المحاجة ، والعرض القصصي إلخ¹ .

وقد ذكر الشهري عند الحديث عن إستراتيجية الإقناع ما أسماه آليات الإقناع² ، حيث

قسمها إلى قسمين :

القسم الأول ويتعلق بالعلامات غير اللغوية.

والقسم الثاني يتعلق باستعمال اللغة الطبيعية.

وفي بحثنا هذا سوف نتناول إبلاغية وسائل الإقناع والتأثير في سورة البقرة من خلال

النقاط الآتية :

. الحجاج.

. الحوار .

. الترغيب والترهيب.

1.2 . الحجاج :

1.1.2 . تعريف الحجاج لغة :

جاء في المعجم الوسيط : « حج إليه يحج حجا : قدم ، وحج المكان قصده ،

وحج البيت الحرام ، قصده للنسك ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ** ﴾

¹ . ينظر : ملخص هذه الدراسة في موقع المركز الوطني للمعلومات ، رئاسة الجمهورية ، اليمن :

<http://www.ymen.n.c.info/contents/studies/detqil.php?id:16687>.

² . ينظر : الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، ص : 454.

[آل عمران : 97] ويقال : حج بنو فلان فلانا : أكثروا التردد عليه ، وحج الجرح : سببه ليعرف غوره ويعالجه ، وحج فلانا أصاب حجاج عينيه ، وحجه غلبه : يقال حاجة فحجه¹.

وفي مفردات الراغب : « الحجة الدلالة المبينة للمحجة أي المقصد المستقيم والذي يقتضي صحة أحد النقيضين »².

وجاء في كتاب معجم اللغة العربية المعاصرة : « حج الشخص : غلبه بالحجة ... احتج بكذا : أسند إليه ، اتخذ حجة ... احتج عليه : أقام الحجة والبرهان ... تحاج القوم : تجادلوا وتناظروا ، تخاصموا مع بعضهم حاج الشخص : أقام الحجة والدليل ليثبت صحة أمره ، برهن بالحجة والدليل ليقنع الآخرين »³.

2.1.2. تعريف الحجاج اصطلاحا :

عرف محمد الولي الحجاج بقوله : « الحجاج هو توجيه خطاب إلى متلق ما لأجل تعديل رأيه أو سلوكه أو هما معا ، وهو لا يقوم إلا بالكلام المتألف من معجم اللغة الطبيعية »⁴.

ويضيف الباحث قائلا : « إن محاولة التحكم أو التأثير في الإنسان بواسطة اللغة

¹ .مجمع اللغة العربية بمصر . المعجم الوسيط ، ص : 156.

² .الأصفهاني ، الحسين بن محمد الراغب . المفردات في غريب القرآن ، ج : 1 ، ص : 141.

³ . عمر ، أحمد مختار . معجم اللغة العربية المعاصرة ، م : 1 ، ص : 444 . 445.

⁴ . الولي ، محمد . مدخل إلى الحجاج ، عالم الفكر ، ع : 2 ، م : 40 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،

الكويت ، أكتوبر ، ديسمبر 2011 ، ص : 11.

هو ما أدعوه حجاجاً»¹.

ويعتبر الحجاج عملية فكرية ذات هدف إقناعي انطلاقاً من تقديم مجموعة من الحجج والبراهين. وعلى هذا فإن الحجاج يتجسد في أنماط مختلفة من القول بدءاً من السفسطة إلى الخطابة فالجدل².

ويرى الدكتور طه عبد الرحمن بأن حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها ، ويرى أيضاً بأنه لا خطاب بغير حجاج³.

لقد جعل الدكتور طه عبد الرحمن العلاقة الحجاجية أصلاً في كل خطاب ، وكأنه يحدد لنا تعريفاً خاصاً بالخطاب على أنه لا ينفصل عن الحجاج ، وأن عميلة الفهم والاستجابة لا تتحقق إلا إذا كان هناك اعتراض ، فالاعتراض بناء لرأي مخالف للرأي الأول ، ولذلك فالخطاب عند طه عبد الرحمن لا يكون كذلك إلا إذا كان مشبعاً بالحجاج⁴.

إن الربط بين الخطاب والحجاج يجعل كل فنون القول قابلة لتكون حجاجية فليست

¹ . الولي ، محمد . مدخل إلى الحجاج ، عالم الفكر ، ع : 2 ، م : 40 ، ص : 12.

² . فايضة ، بن أحمد عالم . الحجاج في اللسانيات التداولية دراسة لنماذج من القرآن الكريم ، مجلة الكلمة ، ع : 75 ، السنة التاسعة عشر ، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث ، لبنان ، 1433 هـ . 2012 م ، ص : 42.

³ . عبد الرحمن ، طه . اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، ط : 1 ، لبنان ، 1998 ، ص : 226.

⁴ . ينظر : فايضة ، بن أحمد عالم . المرجع نفسه ، ص : 44.

الخطابة وحدها هي مضمار الحجاج ولكن يعد الشعر والقصة والمقال وكل فنون القول مضامير للحجاج « لأن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية ، وظيفة حجاجية »¹.

إن الحجاج هو « تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى إنتاج تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال ، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية ، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها »².

وفي تراثنا الإسلامي استعملت كلمة الحجاج مع كلمات أخرى كالمناظرة والجدل ، ومن بين من استعمل ذلك ابن خلدون في مقدمته حيث يقول : « وأما الجدل ، وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم ، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا ، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ومنه ما يكون صوابا ، ومنه ما يكون خطأ فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول »³.

ففي هذا التعريف يجعل ابن خلدون الجدل والحجاج والمناظرة بمعنى واحد ، ولكن غيره من الباحثين فرقوا بين هذه المصطلحات ، وقد تقدم تعريف الحجاج ، فبقي لنا أن نعرف المصطلحات الأخرى القريبة من مصطلح الحجاج

¹ . العزواي ، أبو بكر . اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع ، ط : 1 ، المغرب ، 1426 هـ . 2006 م ، ص : 8 .

² . المرجع نفسه ، ص : 16 .

³ . ابن خلدون ، عبد الرحمن . المقدمة ، تح : عبد الله محمد الدويش ، دار البلخي ، ط : 1 ، سورية ، 1425 هـ .

2004 م ، ج : 2 ، ص : 203 .

والمتداخلة معه.

2 . 1 . 3 . المناظرة :

جاء في المعجم الوسيط : « ناظر فلانا : صار نظيرا له ، وناظره باحثه وباراه في المحاجة ... تناظروا في الأمر : تجادلوا وتراوضوا ... المناظر : المجادل المحاج »¹.

والمناظرة لغة مشتقة من النظر ، ومن الانتظار ، ومن النظر بالبصيرة ومن النظر ، والمناظرة تكون ذاتية بتوجه القلب الناظر نحو الأشياء ابتغاء العلم ، وتكون مع الغير بالتوجه بينهما إظهارا للصواب².

وقال الشيخ أبو الزهرة : « المناظرة يكون الغرض منها الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت أنظار المتناقشين فيه »³.

ويعرف التهانوي المناظرة بأنها علم يعرف به كيفية آداب إثبات المطلوب ونفيه ، أو نفي دليله مع الخصم وموضوع هذا العلم البحث⁴.

ويقول الدكتور عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : « قد تدعو حاجه البحث المشترك

¹ . مجمع اللغة العربية بمصر . المعجم الوسيط ، ص : 932.

² . ينظر : العثمان ، محمد بن إبراهيم . أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة ، دار ابن حزم ، ط : 2 ، لبنان ، 1425 هـ . 2004 م ، ص : 13.

³ . أبو الزهرة ، محمد . تاريخ الجدل ، دار الفكر العربي ، (د ط) ، مصر ، (د ت) ، ص : 5.

⁴ . ينظر : التهانوي ، محمد علي . كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تح : علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط :

1 ، لبنان ، 1996 ، ج : 2 ، ص : 1652.

للتوصل إلى الحق ، وحاجة الإقناع بالحق . إلى استخدام وسيلة (المناظرة) وهي الجدل
بالتي هي أحسن «¹.

ثم يضيف الميداني قائلاً : « وهدف المناظرة هو في الأصل تعاون الفريقين المتناظرين
على معرفة الحقيقة والتوصل إليها »².

ويقول طاش كبرى زادة : « والمناظرة : تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما
تصحيح قوله ، وإبطال قول صاحبه ، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق »³.

ويقول الدكتور طه عبد الرحمن : « المناظرة هي النظر من جانبين في مسألة من
المسائل قصد إظهار الصواب فيها ، فالمناظر هو من كان عارضاً أو معترضاً ،
وكان لعارضه أو اعتراضه أثر هادف ومشروع في اعتقادات من يحاوره سعياً وراء الإقناع
والاقتناع برأي سواء ظهر صوابه على يد هذا أو على يد محاوره »⁴.

2. 1. 4 . تلخيص :

مما سبق نلخص إلى جملة من الأمور:

1 . المناظرة في الأصل تكون بين شخصين أو جانبين أو فريقين.

¹ . الميداني ، عبد الرحمن حسن حبيكة . ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال والمناظرة ، دار القلم ، ط : 4 ، سورية ،
1414 هـ . 1993 م ، ص : 361.

² . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

³ . زاده ، طاش كبرى . رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة ، تح : حاييف النبهان ، دار الظاهرية ، ط : 1 ،
الكويت ، 1433 هـ . 2012 م ، ص : 7.

⁴ . عبد الرحمن ، طه . في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص : 46 ، 47.

2. الغرض من المناظرة ليس الغلبة بحق أو بغير حق ، ولكن الوصول إلى الصواب، إذ يتم بالمناظرة إثبات دليل وإبطال ضده.

3. المناظرة تستخدم في البحث المشترك ، والإقناع بالحق ، وفي المناظرة يتعاون الفريقان على معرفة الحقيقة.

4. يكون قصد كل من المتناظرين إظهار الحق ، ولا يهم على يد من ظهر لأن هدف المناظر هو الإقناع والافتناع.

2. 1. 5. الجدل :

جاء في مقاييس اللغة : « الجيم والبال واللام أصل واحد ، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه ، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام »¹.

وقال الراغب : « الجدل هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة ، وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله ... ومنه الجدل فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه وقيل : الأصل الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة »². وفي الاصطلاح هو : « رد الخصم عن رأيه إلى غيره بالحجة »³.

ويرى الميداني أن : « الجدل هو حوار كلامي يتفهم فيه كل طرف من الفريقين

¹. ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن زكريا . معجم مقاييس اللغة ، ج : 1 ، ص : 433.

². الأصفهاني ، الحسين بن محمد الراغب . المفردات في غريب القرآن ، ج : 1 ، ص : 117.

³. الطوفي ، نجم الدين الحنبلي . علم الجدل في علم الجدل ، تح : : قولفهارت هاينريشس ، مطبعة كتابكم ، (د ط) ،

الأردن ، 1408 هـ . 1987 م ، ص : 4.

المتحاورين وجهة نظر الطرف الآخر ويعرض فيه كل طرف منهما أدلته التي رجحت لديه استمساكه بوجهة نظره ، ثم يأخذ بتبصر الحقيقة من خلال الانتقادات التي يوجهها الطرف الآخر على أدلته»¹.

وعرفه الجويني بأنه : « إظهار المتنازعين مقتضى نظارتهما على التدافع والتنافي بالعبارة ، أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة »².

وقال الشيخ أبو زهرة : « والجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم ، والتغلب عليه في مقام الاستدلال »³.

ويطلق مصطلح الجدل على « معنى إلزام الخصم سواء كان بحق أو بباطل »⁴.

وجاء في كتاب « التعريفات » للشريف الجرجاني : « الجدل هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات والغرض منه : إلزام الخصم ، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان »⁵.

¹ . الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة . ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، ص : 361.

² . الجويني ، إمام الحرمين . الكافية في الجدل ، تح : فوقية حسين محمود ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، (بط) ، مصر ، 1399 هـ . 1979 م ، ص : 21.

³ . أبو زهرة ، محمد . تاريخ الجدل ، ص : 5 .

⁴ . العثمان ، محمد بن إبراهيم . أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة ، ص : 11.

⁵ . الجرجاني ، الشريف على بن محمد . التعريفات ، تح : عبد الرحمن عميرة ، عالم الكتب ، ط : 1 ، لبنان ، 1416 هـ . 1996 م ، ص : 106 .

وفيه أيضا « الجدل : دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة ، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة بالحقيقة »¹.

وقد قسم العلماء الجدل إلى ممدوح ومذموم ، فأما الممدوح هو الذي استعمله المجادل لغيره لإحقاق الحق وإبطال الباطل ، أما المذموم فهو الذي استعمله المجادل في صرف الحق إلى الباطل².

2. 1. 6 . تلخيص :

مما سبق نخلص إلى جملة من الأمور :

1 . الجدل ينطوي على قصد المنازعة والمغالبة ، فالغرض لدى كل مجادل أن يغلب خصمه.

2 . إن التعريف المنقول عن الميداني لا يفترق كثيرا عن تعريف المناظرة ، ومبنى ذلك على أن الجدل والمناظرة شيء واحد ، ولكن العلماء فرقوا بينهما.

3 . إن القصد من الجدل ليس الوصول إلى الحقيقة ولكن إلزام الخصم بالحق أو بالباطل.

4 . إن كل مجادل يدفع عن رأيه لئلا يفسده الخصم ويبطله.

5 . إن الجدل منه ما هو ممدوح إذا كان غايته الوصول إلى الحق ، ومنه ما هو مذموم إذا

كان القصد منه المغالبة ولو بالباطل. ونلاحظ أن الجدل الممدوح هو عينه المناظرة إذا

¹ . الجرجاني ، الشريف على بن محمد . التعريفات ، ص : 106 .

² . ينظر : النملة ، عبد الكريم بن علي بن محمد . الشامل في حدود وتعريفات مصطلحات أصول الفقه ، مكتبة الرشد ،

ط : 1 ، السعودية ، 1430 هـ . 2009 م ، م : 1 ، ص : 174 .

كانت بين اثنين.

2. 1. 7 . الفرق بين المصطلحات الثلاثة :

تقدم تعريف الحجاج ، ثم عَرَفْنَا كلاً من المناظرة والجدل لتداخل هذه المصطلحات فيما بينها وللتفريق بين هذه المصطلحات نقول :

إن الحجاج أوسع من المناظرة والجدل ، وإن كان كل من المناظرة والجدل ينطوي على حجاج ، ولكن الحجاج لا يشترط فيه وجود طرفين متنازعين ، ولكن كل خطاب يصدر من مرسل إلى متلق ، فهو حجاج بناء على المقولة التي تقول : « إننا نتكلم عامة بقصد التأثير » لأن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية ، وظيفة حاجية¹.

أما المناظرة والجدل فإن من العلماء من جعلهما شيئاً واحداً ، ومنهم من فرق بينهما ، وقد ألمحنا إلى شيء من ذلك أثناء تلخيص تعريفات الجدل ، ونجمل ذلك هنا ، فالفرق بين المناظرة والجدل يكمن في قصد الفريقين ، ففي المناظرة يكون قصدهما الوصول إلى الحق سواء ظهر لدى هذا أو ذلك ، وأما في الجدل فإن قصد الفريقين الغلبة ، فكل واحد يريد التغلب على الآخر سواء بالحق أو بالباطل.

2. 1. 8 . إبلاغية الحجاج في سورة البقرة :

إن القول بأن كل خطاب يتضمن حجاجاً ، يجعلنا نقول إن السورة كلها تحمل حجاجاً ، ولذلك فإن بحثنا سوف ينصب على دراسة بعض آيات الحجاج في سورة البقرة.

¹ . ينظر : العزواي ، أبو بكر . اللغة والحجاج ، ص : 8.

2. 1. 8. 1. الأَدوات اللغوية :

2. 1. 8. 1. 1. أَلْفَاظ التعليل :

أَلْفَاظ التعليل هي الألفاظ التي تستعمل في تبرير أو تعليل الفعل بناء على سؤال ملفوظ

به أو مفترض¹.

ومن الألفاظ التي تستعمل في التعليل ، المفعول لأجله ، فهو مصدر يفيد العلية.

جاء في شرح المفصل : هو علة الإقدام على الفعل. وقال الشارح : « وإنما قلنا إنه

علة وعذر لوقوع الفعل لأنه يقع في جواب لم فعلت ؟ »².

ومن أمثله في سورة البقرة قوله تعالى : ﴿ وَذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ

مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْتَوْا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ

يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : 109].

ففي هذه الآية الكريمة قول الله تعالى : ﴿ حَسَدًا ﴾ وهو « مفعول لأجله

منصوب »³.

والحسد هو : « أن تكره النعمة التي أنعم الله بها على غيرك ، وتحب زوالها ،

¹ . ينظر : الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، ص : 478.

² . ابن يعيش ، موفق بن علي . شرح المفصل ، تح : أحمد السيد أحمد ، المكتبة التوفيقية ، (د ط) ، مصر ، (د ت) ،

م : 1 ، ص : 366.

³ . علوان ، عبد الله ، وآخرون . إعراب القرآن ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، (د ط) ، مصر ، 1427 هـ . 2006 م ،

ج : 1 ، ص : 91.

ولو تمكنت من إزالتها لأزلتها»¹.

وقد أوضحت هذه الكلمة ﴿حَسَدًا﴾ العلية والسبب.

جاء في البحر المحيط : « انتصاب ﴿حَسَدًا﴾ على أنه مفعول من أجله والعامل فيه

﴿وَدَّ﴾ ، أي : الحامل لهم على ودادة ردكم كفارا هو الحسد »².

وقال الرازي : « بين أن حبههم لأن يرجعوا عن الإيمان إنما كان لأجل الحسد »³ ،

فكلمة ﴿حَسَدًا﴾ في الآية سبب وتعليل لما نتج عنها وهو ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ

كُفَّارًا﴾ فهذه الودادة لرد المؤمنين كفارا هي نتيجة والسبب فيها الحسد ، فهي المعلول لعلة

الحسد.

فالمرسل هنا يبلغنا عن حالة نفسية أو مرض نفسي أصاب هؤلاء الناس ، وهو

الحسد ، ليقننا بخطرته ففيه من وجه إخبار عن الحالة التي أصابتهم ، ومن وجه آخر

فيه إقناع للمخاطب بخطورة الحسد حيث يؤدي بالحاسد إلى أن يود ، على علم وبينه ، أن

يرتد مسلم مؤمن ويعود في الكفر ، أي أنه يود له خسارة الدنيا والآخرة ، وهذا الخطاب

الإبلاغي يوضح حقيقة اليهود ، أهل الكتاب ، وما تنطوي عليه نفوسهم من كراهة للحق

وأهله.

¹ . عبد الرحمن ، ياسر . موسوعة الأخلاق والزهد والرفائق ، ج : 2 ، ص : 123.

² . أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي . البحر المحيط ، ج : 1 ، ص : 518.

³ . الرازي ، فخر الدين . التفسير الكبير ، ج : 3 ، ص : 264.

وقد يأتي لفظ التعليل مضمرا مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ

أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦﴾

[البقرة : 7 . 6] .

قال ابن عادل : « اعلم أنه . تعالى . لما بين في الآية الأولى أنهم لا يؤمنون أخبر في

هذه الآية أن السبب الذي لأجله لم يؤمنوا هو الختم »¹ .

وعلى هذا يكون بين الآيتين ترابط والتحام فالآية الأولى معللة بالثانية وفي هذا ما فيه

من بناء النتيجة على المقدمة ، والمسبب على السبب ، والمعلول على العلة ، ويظهر من

تفسير ابن عادل أن سبب كون الكفار لا يؤمنون سواء أنذروا أم لم ينذروا ، وأن إنذارهم

وعدمه سواء ، أنهم ختم على قلوبهم ، والختم والطبع يقال على وجهين . كما قال الراغب² :

الأول : مصدر ختمت وطبعت وهو تأثير الشيء كنقش الخاتم والطابع ، والثاني : الأثر

الحاصل عن النقش ، ويتجاوز بذلك تارة في الاستيثاق من الشيء والمنع منه اعتبارا بما

يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب نحو : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ .

والحجاج في الآية آليته مضمرة فكأنه قال : لا يؤمنون لأنهم ختم الله على قلوبهم ، وهو

ما يسمى بالوصل السببي أي ربط المقدمات بالنتائج ، وقد تكون النتيجة مقدمة لنتيجة

أخرى³ .

¹ . ابن عادل ، أبو حفص عمر بن علي . اللباب في علوم الكتاب ، ج : 1 . ص : 320 .

² . ينظر : الأصفهاني ، الحسين بن محمد الراغب . المفردات في غريب القرآن ، ج : 1 ، ص : 189 .

³ . ينظر : الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، ص : 480 .

فهذا الختم هو سبب عدم إيمانهم ، وعدم إيمانهم ناتج عن هذا الختم ، فالمرسل يبلغنا عن حال هؤلاء الكفار ، بما يزيل استغرابنا الذي قد ينشأ من البلاغ السابق الذي يخبر بأن هؤلاء الناس لا يؤمنون سواء أُنذروا أم لم يندروا ، فكأن أحدا يقول : لماذا لا يؤمنون على كل حال ؟ فيجاب بأن السبب والعلّة في ذلك إنما هو لأجل أنهم مختوم على قلوبهم ، وللختم على القلوب أسباب متعلّقة بالإنسان نفسه ، فإن العناد والإصرار على الباطل والتعامي عن الحجج والدلائل ، مما يسبب الختم على القلوب ، واجترأ بعض النفوس على الله وارتكاب المعاصي ، مما يسبب الختم على القلوب ، كذلك التقليد الأعمى للأباء والأجداد دون تفكير أو أعمال للعقل ، ودون تبصر بحقائق الأمور ، كله من أسباب الختم.

وتكمن إبلاغية الحجاج في التحذير من أسباب الختم على القلوب ، لأن الذين كفروا لم يؤمنوا بسبب الختم ، فعدم إيمانهم نتيجة لوجود الختم على قلوبهم ، وهذا الختم هو أيضا نتيجة لأسباب أخرى ، فكأن الخطاب يقول للمؤمنين : احذروا أسباب الختم على القلوب ، التي منعت الكفار من الإيمان ، فإن النتيجة الحاصلة لذلك أن من ختم على قلبه فلا يقبل هداية ولا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا.

ومن ألفاظ التعليل في سورة البقرة ، حرف الباء ، في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ

لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِلَيْكُمْ أَنْتُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ

عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿ [البقرة : 54] .

الباء في قوله تعالى : ﴿ بِاتِّخَاذِكُمْ ﴾ حرف جر يفيد السببية. ذكر ابن هشام في

مغني اللبيب أن من معاني حرف الجر (الباء) السببية فقال : « الرابع : (السببية) ،
نحو: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعَجَلِ﴾¹.

وجاء في كتاب النحو الوافي أن من معاني (الباء) : « السببية أو التعليل ، بأن يكون
ما بعدها سببا وعللة لما قبلها ، نحو : كل امرئ يكافأ بعمله »².

وفي هذا الخطاب تعليل وبيان لسبب الظلم الذي أوقعه قوم موسى
على أنفسهم إذ كان ذلك لأنهم اتخذوا العجل إلها ، وبهذا يكون قد بين هنا كبرى
سيئاتهم التي بها كفروا أنعم ربهم . وعلى هذا كان الحكم المذكور بأن يقتل البريء منهم
المجرم³.

فالعقوبة التي عوقب بها بنو إسرائيل لها سوابق ومقدمات كانت هذه العقوبة نتيجة لها.
فلو قال قائل : لم أمروا بقتل أنفسهم مع حرمة الدماء عند الله تعالى ؟
فتعليل ذلك في الخطاب بقوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾.

فهذا الظلم الشنيع الذي أقدم عليه قوم موسى كان شنيعا لأنه شرك ، وقد
قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان : 13] ، فإقدامهم على عبادة

¹ . الأنصاري ، جمال الدين بن هاشم . مغني اللبيب من كتب الأعراب ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة

العصرية ، (د ط) ، لبنان ، 1411 هـ . 1991 م ، ج : 1 ، ص : 120 . وينظر أيضا : الحمد ، على توفيق ، ويوسف
جميل الزعبي . المعجم الوافي في النحو العربي ، دار الجيل ، (د ط) ، لبنان ، (د ت) ، ص : 108 .

² . حسن ، عباس . النحو الوافي ، دار المعارف ، ط : 3 ، مصر ، (د ت) ، ج : 2 ، ص : 490 .

³ . ينظر : الهري ، محمد الأمين بن عبد الله . حقائق الروح والريحان ، م : 1 ، ص : 408 .

العجل ظلم عظيم ، فإن ذلك سبب وتعليل للحكم الذي كلفوا به لتتم توبتهم¹.

إن إبلاغية الخطاب الحجاجي في هذه الآية هي تحذير للمؤمنين من مغبة اتخاذ الأوثان معبودات من دون الله تعالى ، كما فعل ذلك أهل الكتاب ، فاستحقوا على فعلهم ذلك العقاب ، لأن الإشراك بالله تعالى جريمة نكراء لا تعدلها أي جريمة أخرى ، وفيه أيضا إقامة للحجة على اليهود من جهة الإخبار بغيب لا يعلمه الرسول . صلى الله عليه وسلم . قبل الوحي إليه ، وتذكير لهم بنعمة قبول توبتهم.

ومن ألفاظ التعليل في سورة البقرة «لعل» التي من معانيها « التعليل » كقوله تعالى :

﴿ فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه : 44] .

وكقول الشاعر :

تأن ولا تعجل بلومك صاحباً لعل له عذرا وأنت تلوم².

وقد جاء لفظ « لعل » في سورة البقرة في مواضع كثيرة حاملا معنى التعليل ومنه قوله

تعالى في خطاب بني إسرائيل : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ

وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : 63] .

قال ابن عادل : « قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي : لكي تتقوا فتنجوا من الهلاك في الدنيا

¹ . ينظر : الرازي ، فخر الدين . التفسير الكبير ، ج : 3 ، ص : 85 .

² . بابتي ، عزيزة خوال . المعجم المفصل في النحو العربي ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، لبنان ، 1413 هـ . 1992 م ،

والعذاب في العقبي «¹.

وعلى هذا تكون التقوى المطلوبة نتيجة ، ويكون ما أمروا به ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ هو السبب والعلة ، فمتى أتوا بالسبب وهو المطلوب تحققت لهم النتيجة ،
وهي التقوى والنجاة ، ويكون العكس بالعكس ، فإذا هم لم يأخذوا بما أمروا أن يأخذوا به
هلكوا ، وهذا حجاج غايته إبلاغ المؤمنين بأمرين : الأول : أنه لا يغرمهم ما عليه أهل
الكتاب فإنهم هالكون لبعدهم عما أمروا به. والثاني : تحذير للمؤمنين أن يقعوا فيما وقع فيه
أهل الكتاب حتى لا يهلكوا كما هلكوا.

ومن أدوات التعليل ما استعمل منها في الشرط ، والشرط هو : « تعليق شيء بشيء إذا
وجد الأول وجد الثاني ، وهو أسلوب لغوي له مكوناته وأركانه وهي أداة وفعلان الثاني منهما
يترتب حصوله على حصول الأول »².

نفهم من هذا التعريف ، أن الشرط فيه تعليل ، حيث يكون الأول مقدمة
لثاني وجودا وعدما ، فإذا وجد الأول ترتب عليه وجود الثاني ، وإذا لم يوجد الأول لا
يمكن وجود الثاني ، وهذا من باب التعليل والحجاج. لأن ترتيب أحد الأمرين على
الثاني يجعل من أحدهما حجة على وجود الآخر ، فإذا قال المرسل للمتلقي : إذا
نجحت أكرمته فإن فعل الإكرام ، وهو من قبيل الوعد لا يحصل إلا إذا حصل الشرط وهو
النجاح.

¹. ابن عادل ، أبو حفص عمر بن علي . اللباب في علوم الكتاب ، ج : 2 ، ص : 141.

². اللبدي ، محمد سمير نجيب . معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، ص : 114.

ومن أمثلة الشرط في سورة البقرة قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا

بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : 23] .

ف « الواو إستئنافية ، والكلام مستأنف مسوق للرد على من ارتابوا في القرآن تعنتا ولجاجة وإن شرطية تجزم فعلين »¹.

ففي هذه الآية يتوجه الخطاب إلى العرب قائلا لهم : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ

عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ ﴾ ، أي « من مثل ما جاء به إن زعمتم أنه من عند غير الله ، فعارضوه بمثل ما جاء به واستعينوا على ذلك بمن شئتم »².

وهذه الآية الكريمة « وإن سيقنت لبيان الإعجاز إلا أن الغرض منه إثبات النبوة »³.

وقال صاحب البحر : « ومناسبة الآية لما قبلها أنه لما أحتج تعالى عليهم بما يثبت الوجدانية ، ويبطل الإشراك ، وعرفهم أن من جعل لله شريكا فهو بمعزل عن العلم والتميز أخذ يحتج على من شك في النبوة بما يزيل شبهته »⁴.

إن المقام في هذه الآية مقام حجاج وقد استعملت فيه إن الشرطية أداة من أدوات الحجاج ، فالقرآن الكريم يخاطب العرب الذين ارتابوا في كون القرآن الكريم من عند الله

¹ . الدرويش ، محيي الدين . إعراب القرآن الكريم وبيانه ، دار العمامة ودار ابن كثير ، ط : 7 ، لبنان ، 1420 هـ .

1999م ، م : 1 ، ص : 66.

² . ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج : 1 ، ص : 108.

³ . الألوسي ، شهاب الدين محمود . روح المعاني ، ج : 1 ، ص : 192.

⁴ . أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي . البحر المحيط ، ج : 1 ، ص : 243.

ويبين لهم كيف يعلمون أنه من عند الله أو من عنده (أي الرسول) بأن يأتوا هم ومن يستعينون به بسورة من هذا ، وهم الفصحاء البلغاء المجيدون حوك الكلام من النثر والنظام والمتقربون في أفانين البيان المشهود لهم في ذلك بالإحسان ، فالقرآن الكريم أقام الحجة على العرب بعد أن أتاح لهم فرصة الإتيان بمثله : قائلًا لهم : « إن كنتم أيها العرب وغيركم من الجاحدين في شك من صدق القرآن ... وزعتم أنه من كلام البشر ، فأتوا بمثله »¹ .

إن العرب الذين ارتابوا في صدق النبي . صلى الله عليه وسلم . زعموا أن في مقدرتهم أن يقولوا مثل القرآن وقالوا : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ﴾ [الأنفال : 31] ، ولكن القرآن الكريم احتج عليهم بما يبطل دعواهم فقال : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّمِثْلِهِ ﴾ ، فلما لم يمكنهم ذلك دل ذلك على أن ﴿ مَجْنُونٌ دَاحِضَةٌ ﴾ [الشورى : 16] ، وأنه لله ﴿ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ ﴾ [الأنعام : 149] . وهذا حجاج استعملت فيه أداة الشرط «إن» مما يجعل النتيجة تترتب على المقدمة ، فالمقدمة هي عجزهم عن الإتيان بمثله رغم القدرة على البلاغة ، والنتيجة أنه ليس كلام بشر ولا يستطيعه البشر بل هو ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : 42] .

2.1.8.1.2 . أفعال اللغة :

إن الفعل اللغوي act de langage الذي يدعى أحيانا بالفعل الكلامي act de parole أو فعل الخطاب act de discours أحد المفاهيم الأساس في اللسانيات التداولية ، ويعود الفضل في تنظيره إلى أوستين Austin (1970) كما ساهم في تعميقه سورل searl

¹ . الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير ، ج : 1 ، ص : 110 .

(1972) ، والمقصود به الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلا بعينه (أمر ، طلب ، تصريح ، وعد ...) غايته تغيير حال المخاطبين ، إن المتلفظ المشارك coénonciateur لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلا إذا اعترف بالطابع القصدي لفعل المتلفظ¹. وقد أصبح مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري ، فضلا عن ذلك يعد نشاط ماديا نحويا يتوسل بأفعال قولية (locutoires Actes) إلى تحقيق أغراض إنجازيه (actes illocutoires) (كالطلب والأمر والوعد والوعيد... إلخ). وغايات تأثيرية (actes perlocutoires) تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا ، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب².

إن بعض أفعال الكلام قد يكون لها دور في الحجاج ، يقول عبد الهادي بن ظافر الشهري : « يرى (فان إيميرن وجروتندورست) أن الأفعال اللغوية تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج ، إذ يضطلع كل منها بدور محدد في الحجاج بين طرفي الخطاب »³.

والاستفهام من أنجح أنواع الأفعال اللغوية حجاجا ، فقد يكون الحجاج من خلال الأسئلة التي تنتمي إلى الاستفهام التقريري ، فالأسئلة أشد إقناعا للمرسل إليه ، وأقوى حجة

¹ . ينظر : مانغونو ، دومنيك . المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، تح : محمد يحياتن ، الدار العربية للعلوم

ناشرون ، ط : 1 ، لبنان ، 1428 هـ . 2008 م ، ص : 7 .

² . ينظر : صحراوي ، مسعود . التداولية عند العلماء العرب ، دار التنوير ، ط : 1 ، الجزائر ، 1429 هـ . 2008 م ،

ص : 54 . 55 .

³ . الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، ص : 481 .

عليه¹.

ومن الاستفهام التقريري في سورة البقرة قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [البقرة : 106 . 107] .

قال ابن عطية : « قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ﴾ ظاهره الاستفهام ومعناه التقرير »².

وقال ابن عاشور بأنه « مسوق لبيان حكمة النسخ والإتيان بالخير والمثل بيانا غير

مفصل على طريقة الأسلوب الحكيم »³ ،

وذلك أنه لما نبه على أن النسخ غير مفارق لتعويض المنسوخ بخير منه أو مثله ، أراد

الانتقال إلى كشف شبهة ، وهي أن منكرًا قد يقول وما هي الفائدة في النسخ حتى يحتاج إلى

التعويض ؟ وكان ما يقتضيه الظاهر أن يتصدى لبيان اختلاف المصالح ومناسبتها للأحوال

والأعصار ، وبيان تفاصيل الخيرية أو المثلية ، ولما كان التصدي لذلك لم تنتهياً له عقول

السامعين لعسر إدراكهم مراتب المصالح وتفاوتها ، فذلك ما يحتاج إلى تأصيل قواعد من

أصول شرعية وسياسية ، عدل بهم عن بيان ذلك وأجملت لهم المصلحة بالحوالة على قدرة

الله تعالى التي لا يشذ عنها ممكن مراد ، وعلى سعة ملكه المشعر بعظيم علمه ، وعلى

حاجة المخلوقات إليه ، فليس لهم رب سواه ، ولا ولي ويكفي ذلك دليلاً على أن يحملهم

¹ . ينظر : الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، ص : 483 . 484 .

² . ابن عطية ، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي . المحرر الوجيز ، ج : 1 ، ص : 194 .

³ . ابن عاشور ، محمد الطاهر . التحرير والتنوير ، ج : 1 ، ك : 2 ، ص : 663 .

على مصالحهم في سائر الأحوال¹.

لقد سبق هذا الاستفهام التقريري حجاجا لمن أنكر النسخ وفائدته ، فقد قيل ذلك بيانا على وجود النسخ ، فلله تعالى أن ينسخ ما يشاء ، ويعوضه بما يشاء ، سواء أكان النسخ للنص أم لحكمه أم للنص والحكم معا.

أما الحجج التي ساقها لإثبات النسخ فهي قوله : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ في هذا الاستفهام تقرير للمخاطبين بعلمهم بقدرة الله تعالى ، وهو تحويل لهم عن بيان فوائد النسخ إلى تسليم الأمر لله ، فهو على كل شيء قدير ، فإن الله تعالى أعلم بمصالح عباده ، وهو إجمال مقصود لقطع كثير من الجدل الذي قد يقوم لو فصل هذا الإجمال.

ثم زاد في تقديم الحجج عن طريق الاستفهام التقريري أيضا : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فهذه حجة أخرى تدعو المكلفين إلى الإمساك عن كثير من الخوض والمرء ، والتوكل على حكمة الله في تشريعه فهو من يملك السموات والأرض ، ويملك ما فيهن من المخلوقات ومنها الإنسان ، وهذا المالك أعلم بما ينفع مملوكيه ومملكته ، حتى وإن لم يبين لهم وجه المصلحة فهو أعلم بمصالحهم. وهو الولي الذي ليس لعباده ولي غيره ، فينبغي التسليم له فيما يحكم ويشرع لعباده.

وهذه الحجج كافية للمؤمن كي يدع عن الأمر الله تعالى معترفا بحكمه وحكمته ، والنص ينطوي على قيم إبلاغية موجهة للمؤمنين ، ومن ذلك تعليم المؤمنين صفات الله

¹. ينظر : ابن عاشور ، محمد الطاهر . التحرير والتنوير ، ج : 1 ، ك : 2 ، ص : 663 . 664.

تعالى ليؤمنوا بها وتعليمهم الثقة بالله تعالى فيما يحكم وفيما ينسخ ، وإرشادهم إلى أن الله تعالى أعلم بمصالحهم ، وأنه إذا أثبت حكماً ما أو نسخ حكماً آخر فإنه يريد بهم مصلحتهم ومنافعهم ، فهو وليهم والولي يأمر وليه بما فيه مصلحته.

وفي الخطاب إبلاغ بأن الله تعالى ينسخ ما يشاء من الآيات ويستبدلها بغيرها مراعاة لمصالح العباد ومنافعهم ، إذ هو الغني ، له ملك السموات والأرض ، وإنما المنتفع بنسخ حكم أو تثبيت آخر إنما هم العباد المخلوقون ، أما الملك فهو غني عن عباده.

2. 8. 1. 2 . الأدوات البلاغية :

2. 8. 1. 2 . الاستعارة :

جاء في المقاييس : « العين والواو والراء أصلان : أحدهما يدل على تداول الشيء يقال : تعاورت الريح رسماً ، حتى عفته أي تواظبت عليه »¹.
وفي منجد لويس معلوف : « استعار الشيء من فلان واستعار فلان الشيء : طلب منه أن يعيره إياه »².

وعرف أبو هلال العسكري الاستعارة في كتاب الصناعتين فقال : « الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض »³.

¹ . ابن فارس ، أحمد بن الحسين . معجم مقاييس اللغة ، ج : 4 ، ص : 184.

² . معلوف ، لويس . المنجد في اللغة ، ص : 537.

³ . العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله . كتاب الصناعتين ، تح : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،

المكتبة العصرية ، ط : 1 ، لبنان ، 1427 هـ . 2006 م ، ص : 240.

والاستعارة من المجاز اللغوي وهي تشبيه حذف أحد طرفية ، وعلاقتها دائما المشابهة وهي لفظ مستعمل في غير ما وضع له ، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي¹.

والاستعارة قد تفوق أساليب الحقيقة في الحجاج ، فالمرسل يفضل استعمالها لثقتة بأنها أبلغ من الحقيقة حجاجيا ، وهي تعرف « بكونها تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقى »².

ويربط الدكتور طه عبد الرحمن بين المجاز والحجاج إذ يقول : « حقيقة الحجاج ليست هي مجرد الدخول في علاقة استدلالية ، وإنما هي الدخول فيها على مقتضى المجاز ، بمعنى أن الذي يحدد ماهية الحجاج ، إنما هو « العلاقة المجازية » وليس العلاقة الاستدلالية وحدها : فلا حجاج بغير مجاز »³.

ويضيف الباحث قائلا : « وإذا صح أن المجاز هو الأصل في الحجاج ، صح معه أن العلاقة المجازية هي علاقة أصلية ينبني عليها سواها ولا تتبني على سواها فإذا تضمن الحجاج علاقة استدلالية فينبغي ردها إلى العلاقة المجازية »⁴.

¹ . ينظر : التونجي ، محمد . الجامع في علوم البلاغة ، دار العزة والكرامة ، ط : 1 ، الجزائر ، 1434 هـ . 2013 م ، ص : 172.

² . الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، ص : 495.

³ . عبد الرحمن ، طه . اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص : 232.

⁴ . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

ثم يردف بقوله : « لا يخفي على ذي بصيرة ، أن نموذج العلاقة المجازية هو العلاقة الاستعارية ... ومعلوم أن الاستعارة هي المجاز الذي يقوم على علاقة المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى القيمي ، وحيث إن المشابهة أدل من غيرها على التعالق بين هذين المعنيين فقد ظهر أن الاستعارة هي أدل ضروب المجاز على العلاقة المجازية »¹.

ويقسم الدكتور العزاوي الاستعارة إلى قسمين : الاستعارة الحجاجية و الاستعارة البديعية ويقول عن القسم الأول : « الاستعارة تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يشغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه ، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية والاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية ، فنحن نجد في اللغة اليومية ، وفي الكتابات الأدبية والسياسية والصحفية والعلمية »².

ويقول عن القسم الثاني : « أما الاستعارة غير الحجاجية أو البديعية ، فإنها تكون مقصودة لذاتها ، ولا ترتبط بالمتكلمين وبمقاصدهم وأهدافهم الحجاجية ، وإنما نجد هذا النوع من الاستعارة عند بعض الأدباء والفنانين الذين يهدفون من ورائه إلى إظهار تمكنهم من اللغة ، فالسياق هنا إذن هو سياق الزخرف اللغوي والتفنن الأسلوبي وليس سياق التواصل والتخاطب »³.

ويقول عبد الله صولة : « والاستعارة تحديدا تظهر فعاليتها الحجاجية في أنها تمثل

¹ . عبد الرحمن ، طه . اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص : 232.

² . العزاوي ، أبو بكر . اللغة والحجاج ، ص : 108.

³ . المرجع نفسه ، ص : 109.

درجة أعلى في الإقناع من درجة المعنى الحقيقي الذي جاءت تسد مسده»¹.

ومن أمثلة الاستعارة في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى

فَمَا رِيحَتْ بِحَرِّهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مَهْتَدِينَ ﴾ [البقرة : 16] .

ففي الآية استعارة تصريحية مرشحة « في قوله ﴿ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رِيحَتْ

بِحَرِّهِمْ ﴾ ، حيث استعار الشراء الذي هو بذل الثمن ، لتحصيل ما يطلب ، لاختيارهم

الضلالة بدل الهدى ، وشرح تلك الاستعارة وقواها بذكر الريح والتجارة ، لأن الترشيح ذكر

ما يلائم المستعار منه الذي هو الشراء هنا»².

وفي هذه الاستعارة ترتيب للنتيجة على المقدمة ، أما المقدمة فهي اشتراء

الضلالة بالهدى ، وفيها تشبيه لمن بدل الهدى واستعاض عنه بالضلالة بمن يشتري

ويبيع ، فهذا يدفع ثمنا مقابل سلعة ، والأول ترك الهدى مقابل الضلالة ، وأما النتيجة فهي

خسارة الربح ورأس المال جميعا ، لأن التاجر الذي تخسر تجارته ليس هو التاجر الذي

يفوته الربح مرة وبنال الربح مرة أخرى ، بل الذي تخسر تجارته هو ذلك الذي يخسر الربح

ورأس المال معا فيقع في الإفلاس.

وهذا الخطاب الإبلاغي يقنعنا بهذه الحجة بأن من ترك الهداية ورضي بالضلالة

¹ . صولة ، عبد الله . في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، مسكيلياني للنشر ، ط : 1 ، تونس ، 2011 ، ص : 93 .

² . الهرري ، محمد الأمين بن عبد الله . حدائق الروح والريحان ، م : 1 ، ص : 219 وينظر أيضا : الدرويش ، محيي

الدين . إعراب القرآن وبيانه ، ج : 1 ، ص : 55 .

فذلك هو الخاسر الحقيقي خسرانا مبينا. وذلك « لأنهم لما اشتروا الضلالة بالهدى فقد اشتروا ما لا ينفع وبذلوا ما ينفع فلا جرم أن يكونوا خاسرين »¹.

وقد جاء الترتيب بالفاء بين المقدمة والنتيجة ، قال ابن عاشور : « رتبت الفاء عدم الريح المعطوف بها وعدم الاهتداء المعطوف عليه على اشتراء الضلالة بالهدى »².

2. 2. 8. 1. 2 . التمثيل :

التمثيل من الأدوات البلاغية الناجحة في الحجاج والبرهنة ، و« هو عقد الصلة بين صورتين ليتمكن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه »³.

وقد تكلم الشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابه (أسرار البلاغة) وأسهب في بيان مناقب التمثيل وفوائده ومما قاله : « اعلم أن مما اتفق العقلاء عليه ، أن (التمثيل) إن جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهة ، وكساها منقبة ... ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصي الأفتدة صباية وكلفا وقسر الطباع على أن تعطئها محبة وشغفا »⁴.

¹ . ابن عاشور ، محمد الطاهر . التحرير والنوير ، ج : 1 ، ك : 1 ، ص : 299.

² . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

³ . الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، ص : 497.

⁴ . الجرجاني ، عبد القاهر . أسرار البلاغة ، تح : محمود محمد شاكر ، شركة القدس للنشر ، ط : 1 ، السعودية ،

1412 هـ . 1991 م ، ص : 115.

ثم يضيف الجرجاني قائلاً : « فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم ... وإن كان ذمّا كان مسه أوجع ... وإن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر»¹.

فالجرجاني يجعل من التمثيل أداة من أدوات الحجاج وإحدى آلياته الناجعة في عملية الإقناع والتأثير في المخاطبين.

والتمثيل لغة « من فعل مثل تمثيلاً الشيء لفلان : صورته له بالكتابة ونحوها حتى كأنه ينظر إليه »².

وقد تحدث سيد قطب عن التصوير في القرآن الكريم فقال : « التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة المحسنة عن المعنى الذهني والحالة النفسية »³.

وحسب تعبير سيد قطب فإن القرآن الكريم يجعل من الأشياء الذهنية المعنوية أشياء مصورة كأن الرائي ينظر إليها شاخصة أمامه ، وأداته في ذلك التمثيل بالصورة. والصورة عند محمد الولي توحى « بالشيء الملموس معبراً عنه في اللغة »⁴.

ويقول عبد الله صولة عن التعبير بالصورة : « إنه تعبير استبدالي يقوم فيه (الشيء المشاهد) أو (الملموس) أي الصورة بديلاً عن الفكرة أو المعنى أو المفهوم ... سواء جاء

¹ . الجرجاني ، عبد القاهر . أسرار البلاغة ، ص : 115.

² . عكاوي ، إنعام فوال . المعجم المفضل في علوم البلاغة ، ص : 424.

³ . قطب ، سيد . التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، ط : 16 ، مصر ، 1423 هـ . 2002 م ، ص : 36.

⁴ . الولي ، محمد . الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ، المركز الثقافي العربي ، ط : 1 ، لبنان ، 1990 م ،

ص : 19.

هذا التعبير بالصورة للكشف عن كوامن نفس المتكلم أو لمجرد الإمتاع أو للتأثير والمحاكاة والإقناع»¹.

ويقول جابر عصفور عن أهمية الصورة: «تتمثل أهمية الصورة الفنية إذن في الطريقة التي تفرض بها علينا نوعاً من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى، ونتأثر به»².

ثم يضيف قائلاً: «ويتم ذلك كله خلال نوع من الاستدلال، ينشط معه ذهن المتلقي، ويشعر إزاءه بنوع من الفضول، يدفعه إلى تأمل علاقة المشابهة أو التشابه التي تقوم عليها الصورة»³.

فالصورة إذن تهدف إلى إقناع المتلقي بفكرة من الأفكار أو معنى من المعاني. والصورة وسيلة للإقناع، ودراسة الأساليب القرآنية في التأثير والاستمالة تؤدي إلى فهم الصورة القرآنية على أنها طريقة في الإقناع تتوسل بنوع من الإبانة والتوضيح وتعتمد على لون من الحجاج والجدل، وتحرص على إثارة الانفعالات في النفوس، على نحو يؤثر في المتلقي ويستميله إلى القيم الدينية السامية التي يعبر عنها القرآن الكريم»⁴.

¹. صولة، عبد الله. الحجاج في القرآن، دار الفارابي، ط: 2، لبنان، 2007م، ص: 481.

². عصفور، جابر. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط: 3، لبنان، 1992، ص: 327، 328.

³. المرجع نفسه، ص: 328.

⁴. ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فالغاية من التصوير إذن هي « تبليغ المعنى في أحسن صورة وجعل المتلقين يقتنعون به من خلال الصورة الحسية التي يظهر عليها ويخرج فيها »¹.

والخلاصة أن التمثيل باستعمال الصور البلاغية من تشبيه ومجاز واستعارة هو من أدوات الحجاج البلاغية.

ومن أمثلة التشبيه في سورة البقرة قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة : 17] .

يقول الشيخ ابن عاشور : « أعقبت تفاصيل صفاتهم بتصوير مجموعها في صورة واحدة ، بتشبيهه حالهم بهيئة محسوسة وهذه طريقة تشبيه التمثيل ، إلحاقا لتلك الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة ، لأن النفس إلى المحسوس أميل »².

لقد تحدثت السورة قبل هذه الآية عن صفات المنافقين وما هم فيه من تخبط ابتداء من قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : 8] ،

إلى قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ بِحَرْنُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة : 16] ، وفي هذه الآية بينت ما هم فيه من تخبط بين الإيمان والكفر ، بين الهداية والضلال ، بين الحق والباطل ، وإتماما للبيان وتقريراً لجميع ما تقدم جاء بهذه الصورة البيانية . واستدلالات على ما يتضمنه مجموع تلك الصفات من سوء الحالة وخيبة السعي وفساد

¹ . صولة ، عبد الله . الحجاج في القرآن ، ص : 489 .

² . ابن عاشور ، محمد الطاهر . تفسير التحرير والتنوير ، ج : 1 ، ك : 1 ، ص : 302 .

العاقبة جاء بهذا التشبيه لأن من فوائد التشبيه قصد تفضيح المشبه. وهذا التشبيه جاء فيه ذكر المشبه والمشبه به وأداة التشبيه وهي لفظ مثل¹.

وهو من نوع التشبيه التمثيلي وحقيقته أن يكون وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد أي إن حال المنافقين في نفاقهم وإظهارهم خلاف ما يسترونه من كفر ، كحال الذي استوقد ناراً ليستضيء بها ، ثم انطفأت فلم يعد يبصر شيئاً. والتشبيه التمثيلي يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين ، ويريك للمعاني المتمثلة في الأذهان شبيهاً في الأشخاص المائتة ويريك الحياة في الجماد².

وفي الآية تشبيه للإيمان بالنور والكفر بالظلمة ، قال الفخر الرازي : « فأما تشبيه الإيمان بالنور والكفر بالظلمة فهو في كتاب الله تعالى كثير ، والوجه فيه أن النور قد بلغ النهاية في كونه هادياً إلى المحجة وإلى طريق المنفعة وإزالة الحيرة ، وهذا هو حال الإيمان في باب الدين »³. لقد بين الفخر الرازي أن التشبيه في هذه الآية بين الإيمان والنور من جهة ، والكفر والظلمة من جهة أخرى ثم يعلل تشبيه الإيمان بالنور على أن الإيمان هو الغاية في باب الدين « فشبه ما هو النهاية في إزالة الحيرة ووجدان المنفعة في باب الدين بما هو الغاية في باب الدنيا »⁴.

¹. ينظر : ابن عاشور ، محمد الطاهر . تفسير التحرير والتنوير ، ج : 1 ، ك : 1 ، ص : 302.

². ينظر : الدرويش ، محي الدين . إعراب القرآن وبيانه ، ج : 1 ، ص : 56.

³. الرازي ، فخر الدين . التفسير الكبير ، ج : 2 ، ص : 82.

⁴. المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

وفي الآية حجاج حيث برهن على أن الإيمان هو النور بكون الإيمان وهو شيء معنوي يكون سببا في النجاة من الحيرة والقلق والاضطراب وهو في ذلك مثل النور الذي يستطيع به الشخص أن يسير إلى مقصده دون خوف أو تعثر أو ارتطام بشيء ، فالهداية التي في الإيمان تشبه الاهتداء بالنور .

وعلى هذا فالخطاب الإبلاغي هنا يوجه من يعقل إلى تحقيق الهداية لنفسه وإنقاذها من حيرتها بالإيمان ، لأن « الفرد بغير دين ولا إيمان ريشة في مهب الريح لا تستقر على حال ، ولا تعرف لها وجهة ، ولا تسكن إلى قرار مكين »¹ ، فحتى لا يكون الإنسان ريشة في مهب الريح وحتى يستقر على قرار مكين فلا بد أن يكون مؤمنا ، « وكذلك القول في تشبيه الكفر بالظلمة ، لأن الضال عن الطريق المحتاج إلى سلوكه ، لا يرد عليه من أسباب الحرمان والتحير أعظم من الظلمة ، ولا شيء كذلك في باب الدين أعظم من الكفر ، فشبه أحدهما بالآخر »².

وها هنا حجاج حيث برهن على أن الكفر هو الظلمة ، لأن الكفر يوقع صاحبه في التخبط والحيرة ، وكذلك الظلمة فإن من وقع فيها لا يستطيع أن يهتدي سبيله ، فهو في الأرض حيران ، لا يقر له قرار .

هذا ووقع الظلمة أشد إذا كان الإنسان في النور ثم وقع في الظلمة ، وهو غاية في البيان ، لأن الذي كان من قبل في الظلمة لا يحس بفقدان النور بخلاف الذي كان في النور

¹ . القرضاوي ، يوسف . الإيمان والحياة ، دار الشهاب ، (د ط) ، الجزائر ، (د ت) ، ص : 9 .

² . الرازي ، فخر الدين . التفسير الكبير ، ج : 2 ، ص : 82 .

ثم أصبح في الظلمة ، وهذه حجة كافية ، واردة لكل منافق متخبط كي ينجو بنفسه بالفرار من الظلمة إلى النور ، كما أن هذا الخطاب الإبلاغي تحذير لكل مؤمن من الوقوع في الذي وقع فيه المنافقون من الحيرة والتخبط.

2. 1. 8. 3 . السلام الحجاجية :

السلم الحجاجي هو عبارة عن مجموعة غير فارغة من المقولات ، مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين :

1 . كل قول يقع في مرتبة ما في السلم يلزم عنه ما يقع تحته ، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع المقولات التي دونه.

2 . كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين ، كان ما يعطوه مرتبة دليلا أقوى منه¹.

جاء في كتاب بلاغة الإقناع في المناظرة : يقول ديكر : « إن أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة ترتيبية (للحجج) نسميه سلما حجاجيا مما يعني بأن الحجج حينما تتفاوت ضمن نفس الحقل الحجاجي تكون سلما حجاجيا »².

ويرى الشهري أن فعل الحجج يتمثل في تدافع الحجج وترتيبها حسب قوتها ، إذ لا يلبث ، غالبا ، إلا الحجة التي تفرض نفسها على أنها أقوى الحجج في السياق ، ولذلك

¹ . الرقبي ، رضوان . الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله ، عالم الفكر ، ع : 2 ، م : 40 ، المجلس الوطني

للثقافة والفنون والآداب ، أكتوبر . ديسمبر 2011م ، ص : 93.

² . عادل ، عبد اللطيف . بلاغة الإقناع في المناظرة ، دار الأمان ، ط : 1 ، المغرب ، 1413 هـ ت 2013 م ، ص :

يرتب المرسل الحجج التي يرى أنها تتمتع بالقوة اللازمة التي تدعم دعواه ، وهذا الترتيب هو ما يسمى بالسلم الحجاجي¹.

وللسلم الحجاجي قوانين أهمها ثلاثة :

1 . قانون النفي : فإذا كان « قول ما (أ) مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة ، فإن نفيه أي (- أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة »².

2 . قانون القلب : و « يرتبط هذا القانون أيضا بالنفي ... ومفاد هذا القانون ، أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سهم الأقوال الإثباتية ... ويمكن التعبير عن هذه الفكرة بطريقة أخرى فنقول : إذا كانت إحدى الحججتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة ، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة »³.

3 . قانون الخفض : يعتبر هذا القانون تعبيراً صريحاً عن فكرة أن النفي اللغوي يعني « أقل من »⁴.

ويضرب العزاوي المثل على ذلك بقوله : « فعندما نستعمل جملاً من قبيل :

. الجو ليس بارداً .

¹ ينظر : الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، ص : 499 ، 500.

² . العزاوي ، أبو بكر . اللغة والحجاج ، ص : 22.

³ . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

⁴ . موشر ، جاك وأن ريبول ، القاموس الموسوعي للتداولية ، ص : 306.

.لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل.

فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارس وشديد (المثال الأول) أو أن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل (المثال الثاني) وسيؤول القول الأول على الشكل التالي :

.إذا لم يكن الجو باردا ، فهو دافئ أو حار.

وسيؤول القول الثاني كما يلي :

.لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل¹.

ويتحقق الحجاج بالسلم الحجاجي باستعمال أدوات لغوية ، وآليات شبه منطقية كالتالي²:

.الأدوات اللغوية ، كالروابط الحجاجية مثل : (بل ، لكن ، حتى ، فضلا عن أن ، ليس كذا فحسب) .

.السمات الدلالية ، ودرجات التوكيد.

.الصيغ الصرفية (أفعال التفضيل ، صيغ المبالغة) .

.المفهوم : الموافقة ، المخالفة.

.حجة الدليل .

وهذا نموذج من سورة البقرة نتبين منه دور الروابط الحجاجية في تحقيق السلم

الحجاجي :

¹ .العزوي ، أبو بكر . اللغة والحجاج ، ص : 25.

² .ينظر : الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، ص : 507 . 508.

. يقول الله تعالى : « ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ

السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ

فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿ [البقرة : 177] .

قال ابن عاشور : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ متصل بقوله تعالى :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ مَا وَوَلَّيْتُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ ﴾ [البقرة : 142] ، وأنه ختام

المحاجة في شأن تحويل القبلة¹ ، وهذا الخطاب « مراد منه تلقين المسلمين الحجة على

أهل الكتاب في تهويلهم على المسلمين إبطال القبلة التي كانوا يصلون إليها »² .

وقد استعمل لفظ « لكن » وهو أحد الروابط الحجاجية حيث « تفيد الاستدراك وهو رفع

ما يتوهم ثبوته ، نحو الكتاب ممزق لكنه مفيد ، أو أن تنسب لما بعدها حكما يخالف الحكم

الثابت لم قبلها ، نحو : الماء عكر لكنه طاهر »³ .

وقد جاء حرف « لكن » رابطا بين قضيتين مختلفتين ، الأولى منفية بـ « ليس » ،

حيث إن « ليس » : « تنفي اتصاف اسمها بمضمون خبرها »⁴ . فالقضية الأولى فيها نفي

¹ . ابن عاشور ، محمد الطاهر . التحرير والتنوير ، ج : 2 ، ك : 1 ، ص : 128 .

² . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

³ . الحمد ، على توفيق ويوسف جميل الزعبي . المعجم الوافي في النحو العربي ، ص : 283 .

⁴ . المرجع نفسه ، ص : 297 .

أن يكون البر هو التوجه قبل المشرق والمغرب ، والقضية الثانية هي القضية المثبتة التي جاءت بعد « لكن » ومضمون هذه القضية إثبات البر لمن اتصف بالخصال المذكورة في الآية من قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... ﴾ الآية ، فهذا الحجاج ينفي دعوى ادعاها أهل الكتابين ، حيث زعموا أن التوجه إلى شرق المسجد الأقصى أو غربه هو البر ، فأبطل الخطاب هذا الزعم.

وفي الخطاب توجيه إبلاغي إلى المؤمنين ، حيث يرشدهم إلى ما هو أسمى من مجرد التوجه إلى قبلة ما ، فكأن المعنى المراد هو ليس المهم أن تتوجهوا هاهنا أو هناك ، بل المهم ما سأذكره لكم من خصال البر الجامع الشامل للإيمان والعمل والإحسان.

وهذا الحجاج حجاج ترتيبي ، حيث رتب النتيجة « ن » وهي هنا قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ، على مقدمات ، وهي ما ذكر في الآية من خصال البر ، فالنتيجة ، إذن ، هي هداية الله تعالى لمن اتصف بخصال البر الحقيقية ، إلى الصدق والتقوى وذلك هو سبيل النجاة ، وترتيب الحجج هنا يكون كالآتي :

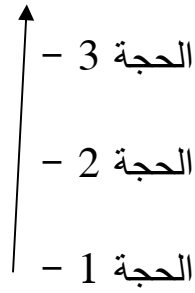
3 . البر طريق الهداية والتقوى .

2 . البر لا يتحقق إلا بالاتصاف بصفات وخصال معينة.

1 . البر لا يكون بمجرد التوجه إلى جهة ما .

وهذا الترتيب يكون على الشكل الآتي :

النتيجة (ن)



وهكذا يكون ترتيب الحجج من نفي الإدعاء الأول ، وهي حجة نفي ، ثم إثبات الحجة الحجة الثانية ، فالوصول إلى الحجة الثالثة ، ونتيجتها هي الهداية والتقوى.

وقد استعمل في هذا الحجاج قانون القلب ، حيث أننا أمام سلمين : سلم النفي ، وسلم الإثبات ، وفي السلم الأول نجد نفي البر عن التوجه قبل المشرق والمغرب ، فيكون مؤداه نفي النتيجة « ن » عن مجرد التوجه إلى المشرق والمغرب ، وفي المقابل نجد السلم الثاني ينسب البر لمن يتصف بالخصال المذكورة في الخطاب ومؤداه إثبات النتيجة « ن » لمن يتصف بتلك الخصال .

ومن أدوات اللغة التي تقوم بدور حجاجي أسماء التفضيل و« اسم التفضيل : صفة تؤخذ من الفعل لتدل على أن شيئين اشتركا في صفة ، وزاد أحدهما على الآخر فيها ... وقد يكون التفضيل بين شيئين في صفتين مختلفتين ، فيراد بالتفضيل حينئذ أن أحد الشيئين قد زاد في صفته عن الشيء الآخر في صفته كقولهم : الصيف أشد حرا من الشتاء في برده »¹.

ويكمن « دور أفعال التفضيل الحجاجي في أنه يتضمن صيغا تمكن المرسل من إيجاد

¹ الغلاييني ، مصطفى . جامع الدروس العربية ، دار ابن الجوزي ، ط : 1 ، مصر ، 2010م ، ص : 150.

العلاقة بين أطراف ليس بينها أي علاقة بطبعتها ، كما أنه يمكنه من ترتيب الأشياء ترتيباً معيناً ، فبدون استعماله ما كان لها أن تترتب «¹.

ومن أمثلة أفعال التفضيل في سورة البقرة قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَفِيهِ قُلٌّ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة : 217] .

وهذه الآية الكريمة جاءت جواباً لسائل سأل : أيحل القتال في الشهر الحرام ؟ سواء أكان هذا السائل أصحاب النبي . صلى الله عليه وسلم . أم غيرهم . فجاء الجواب « القتال في الشهر الحرام أمره كبير ووزره عظيم ، ولكن هناك ما هو أعظم وأخطر منه ، وهو ما ذكره بقوله : ﴿ وَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾² . وقد رتب الحجج على هذا الترتيب :

3 . والفتنة أكبر من القتل .

2 . الصد عن سبيل الله والكفر به ، وإخراج المسلمين من ديارهم أكبر عند الله .

1 . القتال في الشهر الحرام أمره كبير .

وعليه فإن (ن) تكون كالاتي : إذا كان القتال في الشهر الحرام أمره كبير ، فقد أتيتم ما هو أكبر منه ، حين فتنتم عباد الله المؤمنين عن دينهم ، وصددتموهم عن المسجد الحرام وأخرجتموهم منه ظلماً وعدواناً .

¹ . الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، ص : 528 .

² الهروي ، محمد الأمين بن عبد الله . حقائق الروح والريحان ، م : 3 ، ص : 264 .

ويمكن ترتيب هذه الحجج على الشكل الآتي :



وعلى هذا تكون الفتنة وهي فتنة المؤمنين عن دينهم بالشبهات والتعذيب وما إلى ذلك ، أكبر من القتل ، و تكون في أعلى درجات السلم .

ووجه الاحتجاج هنا أن ما ادعاه المشركون من فظاعة قتل بعضهم في الشهر الحرام بأيدي سرية من المسلمين أمر فظيع لأنه في الشهر الحرام ، ولكن فتنة المسلمين عن دينهم ، وصددهم عن بيت الله وإخراجهم منه أشد فظاعة ، ولذلك استعمل أفعال التفضيل للدلالة على أن هذه الأمور المذكورة كلها قد اشتركت في فظاعة الأمر ولكنها لم تستو في ذلك بل هناك أمر أفظع من أمر وأعلاها في الفظاعة فتنة الناس عن دينهم ومحاولة ردهم إلى الكفر ، إذن فقد عمل اسم التفضيل هنا في تقوية بعض الحجج على البعض الآخر ، وجعل بعض هذه الحجج في أعلى درجات السلم الحجاجي .

2 . 2 . الحوار :

2 . 2 . 1 . الحوار لغة :

جاء في معجم مقاييس اللغة : « حار إذا رجع ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَن لَّنْ يَمُورَ ﴾ (١٤)

بَلَّغَ ﴿ [الانشقاق : 14 . 15] ، والعرب تقول: « الباطل في حور » أي رجع ونقص ، وكل نقص ورجوع حور ... والهور: مصدر حار حورا رجع ويقال : « نعوذ بالله من الحور بعد الكور » وهو النقصان بعد الزيادة ... وتقول: كلمته فما رجع إليّ حُورًا وحِورًا ومحورة وحويرا¹.

وجاء في المعجم الوسيط : « حاوره محاوره وحوارا : جاوبه وجادله وفي التنزيل العزيز: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ [الكهف : 37] ... تحاوروا : تراجعوا الكلام بينهم ، وتجادلوا وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ [المجادلة : 1] ... الحوار: حديث يجري بين شخصين أو أكثر...»².

2. 2 . 2 . الحوار اصطلاحا:

جاء في معجم المصطلحات الأدبية : « الحوار (Dialogue) : تعني الكلمة محادثة أو تجاذبا لأطراف الحديث ، وهي تستتبع تبادلا للآراء والأفكار ، وتستعمل في الشعر والقصة القصيرة والروايات والتمثيلات »³.

وفي كتاب (معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي) : « الحوار : dialogue . debate ، الحوار : التجاوب ، وهو عملية اتصال بين طرفين أو أكثر ، وهي تعتمد

¹ . ابن فارس ، أحمد بن الحسين . معجم مقاييس اللغة ، ج : 2 ، ص : 117 .

² . مجمع اللغة العربية بمصر . المعجم الوسيط ، ص : 205 .

³ . فتحي ، إبراهيم . معجم المصطلحات الأدبية ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، (دط) ، تونس ، 1986 ، ص :

المخاطبة أو التساؤل حول أمر ما باعتباره نافذة من النوافذ الأساسية لصناعة المشتركات التي لا تنهض حياة اجتماعية سوية بدونها ، إنها عملية تفكير مشترك بصوت مسموع هدفها تبادل المعارف ومقابلتها للوصول إلى حقائق مشتركة»¹.

ويقول محمد الكتاني : « وللجدل والحوار مستويات متفاوتة من سنخ الجدل ، تدل عليها ألفاظ المناظرة والمحاجة والمناقشة ، والمضمون واحد ، وإن تعددت أساليبه ، وهو تبادل الآراء مع الغير ، مخالفة او مفاوضة أو بحثا عن الحق أو تأييدا للاعتقاد»².

والملاحظ أن الكاتب يجعل من مصطلحات : المناظرة ، المحاجة ، المناقشة داخل مضمون الجدل والحوار ، وقد مر بنا بعض هذه المصطلحات في الحديث عن الحجاج حيث ميزنا بين تلك المصطلحات وأوضحنا ما بينها من فروق.

ويضيف الكتاني متحدثا عن الحوار فيقول : « أما الحوار فهو المحادثة بين شخصين يتحدث أحدهما ويجيبه الثاني ، أو يرد عليه ويراجعه ، إما على أساس المساءلة والإجابة ، وإما على أساس إبداء الرأي من جهة ومراجعته من طرف الجهة الأخرى»³.

وقد شاع استعمال الحوار في المصادر التربوية بصفة خاصة باعتباره طريقة من طرق

¹ . الزيدي ، طه أحمد . معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي ، دار النفائس ، ط : 1 ، الأردن ، 1430 هـ .

2010م ، ص : 111 . 112.

² . الكتاني ، محمد . ثقافة الحوار في الإسلام ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط : 1 ، المغرب ،

1428 هـ . 2007م ، ص : 12.

³ . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

التعليم الفعالة ، خاصة أن ذلك قد تم إثباته عن طريق بحوث ودراسات ميدانية تجريبية ، وهو في هذا المجال وغيره يدور حول مراجعة وتبادل الآراء والأفكار بين طرفين بهدف الوصول إلى الحقيقة ، فالحوار إذن طريقة تقوم على المناقشة المتبادلة بين طرفين ، ويتخللها أسئلة وأجوبة. والحوار أسلوب يعمل على نقل المعلومة لا بطريق الخبر ، وإنما من خلال السؤال والجواب ، أو رأيين يلتقيان أو يفترقان من خلال الشيء ونقيضه¹.

وأسلوب الحوار أسلوب قرآني أصيل ، فإن من أبرز الأساليب الحكيمة والبلغية التي استعملها القرآن الكريم في إقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى ، وعلى صدق الرسل الكرام فيما يبلغونه عن خالقهم : أسلوب الحوار والجدال والمناقشة من أجل الوصول إلى الحق عن اقتناع عقلي وارتياح نفسي واطمئنان وجداني، ولا أدل على هذا من أن مادة (القول) وما اشتق منها كقال ، يقول ، قل ، قالوا ، يقولون ، قولوا ، قيل ... إلخ ، وهذه المادة تدل على التحوار ومراجعة القول ، قد تكررت في القرآن الكريم أكثر من ألف وسبعمائة مرة².

2 . 2 . 3 . إبلاغية الحوار في سورة البقرة :

إن القرآن الكريم قد اعتمد على أسلوب الحوار في عملية الإقناع ، وليس على القسر والإكراه ، وهذا أمر واضح في نصوص القرآن الكريم ، حيث إن « الإقناع هو الهدف من كل العمليات التي كان يقوم بها القرآن الكريم في عقول الناس وقلوبهم ، الإقناع الذي يؤكد

¹ . ينظر : علي ، سعيد إسماعيل . الحوار منهاج وثقافة ، دار السلام ، ط : 1 ، مصر ن 1429 هـ ت 2008 م ، ص :

² . طنطاوي ، محمد سيد . أدب الحوار في الإسلام ، دار نهضة مصر ، (دط) ، مصر ، 1997 م ، ص : 3 .

الجديد في العقول والقلوب ، ويهزم القديم في نفوس الناس «¹.

وكما استعمل القرآن الحوار مع طوائف الناس لإقناعهم بالهدى الذي جاء به ، وإرشادهم إلى الحق الذي أنزل لأجل إحقاقه ، وإبعادهم عن الباطل الذي أنزل لأجل إزهاقه ، فإنه كذلك نقل إلينا حوارات دارت بين الأشخاص ، كحوارات الأنبياء مع أقوامهم ، وكحوار صاحب الجنتين مع صاحبه².

ومن هذه الحوارات ، ذلك الحوار الذي سجله القرآن الكريم وقد دار بين إبراهيم . عليه الصلاة والسلام . والملك الطاغية النمروود³ ، الذي ادعى أنه إله من دون الله ، وقد جاء ذكر ذلك الجوار في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۗ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : 258] .

إن هذا الحوار كغيره من حوارات الأنبياء مع أقوامهم يكشف عن استخدام المنهج العقلي

¹. ينظر : علي ، سعيد إسماعيل . الحوار منهاجا وثقافة ، ص : 58.

². ورد هذا الحوار في سورة الكهف عند قوله تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمْ بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَبْعًا ﴾ [الكهف : 32] .

³. لم يرد ذكر الملك بهذا الاسم في القرآن الكريم ، وإنما ذكره المفسرون في كتبهم ، ينظر : ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج : 1 ، ص : 525 ، والبغوي ، الحسين بن مسعود . معالم التنزيل ، م : 1 ، ص : 315 ، وابن جزري ، محمد بن أحمد . التسهيل لعلوم التنزيل ، تح : محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، لبنان ، 1415 هـ . 1995 م ، ج : 1 ، ص : 122.

في المناقشة والحوار ، من أجل نزع الخاطئ من الأفكار الذي يزيّف الحق ، وزرع الصالح الصادق منها المصور للحق. وقد دار هذا الحوار بين إبراهيم . عليه السلام . الذي كان يمثل صاحب العقل الصافي النير ، الذي يملك دليلا قويا على عظيم قدرة الله ، وبين الملك الذي كان يمثل صاحب عقل متحجر لا يبصر الحق الذي يسطع أمام الأعين¹.

قال ابن عاشور وهو يربط هذه الآية بما قبلها بأن هذا الكلام جرى مجرى الحجة على مضمون الجملة الماضية أو المثال لها ، فإنه لما ذكر أن الله يخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور وأن الطاغوت يخرجون الذين كفروا من النور إلى الظلمات ، ساق ثلاثة شواهد على ذلك هذا أولها وأجمعها لأنه اشتمل على ضلال الكافر وهدى المؤمن. وهذا الحوار فيه استدلال مسوق لإثبات وحدانية الله تعالى وإبطال إلهية غيره لانفراده بالإحياء والإماتة وانفراده بخلق العوالم المشهودة².

وفي الحوار دليل أيضا على أن إبراهيم . عليه السلام . « هو الذي بدأ بالدعوة إلى التوحيد »³ ، وهذا يعني أن الحوار كان بمبادرة من إبراهيم مما يدل على أنه . عليه السلام . كان يستعمل الحوار وسيلة إبلاغية لتوصيل صوت الحق إلى الآخرين ، وكما حاور هذا الملك ، كذلك حاور والده⁴ ، وحاور بعض عبدة الكواكب⁵.

¹ . علي ، سعيد إسماعيل . الحوار منهاجا وثقافة ، ص : 64.

² . ابن عاشور ، محمد الطاهر . التحرير والتتوير ، ج : 3 ، ص : 31.

³ . المرجع نفسه ، ص : 33.

⁴ . ينظر : سورة مريم ، الآيات : 41 . 48.

⁵ . ينظر : سورة الأنعام ، الآيات : 75 . 81.

والحوار بوصفه وسيلة لإبلاغ الدعوة استعمله الأنبياء كلهم ، فنوح وهود وصالح ولوط وشعيب كل حاور قومه بهدف إبلاغ الدعوة وبيان الحق لقوم ينكرونه ويدفعونه بالباطل. وقد ذكر الله هذه الحوارات في سور كثيرة منها : الأعراف ، هود ، إبراهيم ، مريم ، الأنبياء ، الشعراء ، وغيرها.

وفي سورة البقرة حوارات متعددة ، ومنها هذا الحوار بين إبراهيم والنمرود ، وقد احتج إبراهيم بحجة واضحة يدركها كل عاقل وهي أن الرب الحق هو الذي يحيي ويميت ، فإن كل أحد يعلم بالضرورة أنه لا يستطيع إحياء ميت فلذلك ابتداء إبراهيم الحجة بدلالة عجز الناس عن إحياء الأموات.

وأراد إبراهيم بأن الله يحيي أي إنه يخلق الأجسام الحية من الإنسان والحيوان وهذا معلوم بالضرورة. وهذه حجة أولى لإبراهيم على خصمه ، ولأن الإحياء له علاقة بالإماتة ، حيث إن الإحياء بداية لحياة الحي ، والإماتة نهاية لحياته ، فقد أعقبه بدلالة الإماتة.

وقضية الحياة والموت قضية شغلت البشر منذ القديم ، وبقي السؤال يطرح : كيف يموت الحي وأين تذهب روحه ؟ وقد تناولت الأديان والفلسفات هذا الموضوع بكثير من البحث والدرس ، والذي جاءت به الديانات السماوية أن الله هو الذي يحيي ويميت ، فالله هو الباقي دون غيره الذين لا حياة لهم أصلا كالأصنام إذ لا يعطون الحياة غيرهم وهم فاقدها ، ودون من لا يدفع عن نفسه الموت مثل هذا الذي حاج إبراهيم.

والحديث عن الحياة والموت يسوق إلى الحديث عن البعث والنشور ، وقد ساق القرآن

الكريم هذا الحوار على مسامح منكري البعث لإثباته ، لأن الذي حاج إبراهيم كان منكرا للبعث مثلهم وهذا موضع العبرة من سياق الآية¹.

ويتواصل الحوار بين إبراهيم وهذا الطاغية الذي حاجه في ربه وبإدله المحجة « وفي تسمية كلامه حجة إنما هو من قبيل المماثلة اللفظية أو هو حجة في نظره السقيم الذي أفسد تفكيره وأضله »².

وهكذا « أجاب ذلك الملك بنقض الاختصاص الذي ذكره خليل الله لرب العالمين وهو أنه وحده الذي يحيي ويميت ، فقال ذلك الضال : أنا أحيي وأميت أيضا ، ومرمى قوله أنه إذا كان ربك يا إبراهيم يحيي ويميت واستحق الربوبية لذلك ، فأنا أيضا أحيي وأميت فأستحق هذه الربوبية »³.

ومراد هذا المدعي أنه يحيي بالتخلية من وجب عليه القتل ويميت بالقتل من شاء ممن هو حي ، وهي كما هو واضح حجة واهية لأنه « اعتمد في المعارضة على العبارة دون المعنى ، عادلا عن وجه الحجة بفعل الحياة للميت أو الموت للحي على سبيل الاختراع الذي ينفرد به تعالى ولا يقدر عليه سواه »⁴. ولكن إبراهيم استمر في حوارهِ على نحو آخر ، فلم يدخل معه في ممارسة في شأن المقصود بالإحياء والإماتة لأنه رآه بليد الذهن والفكر ،

¹ . ابن عاشور ، محمد الطاهر . التحرير والتنوير ، ج : 3 ، ص : 33.

² . أبو زهرة ، محمد . زهرة التفاسير ، ص : 956.

³ . المرجع نفسه ، ص : 958.

⁴ . ينظر : الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن . مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار العلوم ، ط : 1 ، لبنان ،

1427 هـ . 2006 م ، ج : 2 ، ص : 137.

ولذلك انتقل به إلى حجة أخرى فقال : ﴿ فَأَيُّ اللَّهِ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ

الْمَغْرِبِ ﴾ قال له إبراهيم ذلك لأن « هذه الحجة لا تجري فيها المغالطة ولا يتيسر للكافر أن

يخرج عنها بمخرج مكابرة ومشغبة وكانوا أهل تنجيم »¹.

وقد قيل في انتقاله من حجة إلى أخرى وجهان² :

أحدهما : أن ذلك لم يكن انتقالا وانقطاعا عن إبراهيم ، فإنه يجوز من كل حكيم إيراد حجة

أخرى على سبيل التأكيد بعد تمام ما ابتدأه من الحجاج وعلامة تمامه ظهوره من غير

اعتراض بشبهة لها تأثير عند التأمل والتدبر لموقعها من الحجة المعتمد عليها.

الثاني : أن إبراهيم إنما قال ذلك ليبين أن من شأن من يقدر على إحياء الموتى

وإماتة الأحياء أن يقدر على إتيان الشمس من المشرق فإن كنت قادرا على ذلك فأنت بها من

المغرب.

وهكذا نرى أن الحجة الثانية ليست مفصولة عن الأولى ، بل تقع معها في الحقل

الحجاجي نفسه ، ولكن الثانية أقوى من الأولى ، ولذلك انقطع عندها الكافر ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي

كَفَرَ ﴾³ ، « وإنما فعل إبراهيم ذلك لأنه لو تشاغل معه بأني أردت اختراع الموت والحياة من

غير سبب ولا علاج لاشتبه على كثير ممن حضر فعدل إلى ما هو أوضح »³.

¹ . الهرري ، محمد الأمين بن عبد الله ، حقائق الروح والريحان ، م : 4 ، ص : 37.

² . ينظر : الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن . مجمع البيان في تفسير القرآن ، ج : 2 ، ص : 138.

³ . ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

وهكذا ينتهي هذا الحوار بانتصار الحق الذي جاء به إبراهيم على الباطل الذي تمسك به الملك ، وتأتي الحوصلة بعد ذلك ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ، « وإنما انتفى هدي الله القوم الظالمين لأن الظلم حائل بين صاحبه وبين التنازل إلى التأمل في الحجج وإعمال النظر فيما فيه نفع »¹.

ونستطيع أن نخلص إلى جملة من القيم الإبلاغية من خلال هذا الحوار وهي :

1 . يبلغنا الخطاب عن حوار دار بين نبي من أنبياء الله وملك كافر ، وفي هذا دعوة إلى اتخاذ الحوار وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله خاصة وأن الله تعالى ذكر هذا الحوار بعد قوله الكريم : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة : 256] ، فالمطلوب من المسلمين أن يعتمدوا الحوار أسلوباً حضارياً في نشر الإسلام وتبليغه للناس ، خصوصاً في هذا الزمان الذي تقارب فيه الناس بفضل وسائل الاتصال والمعلوماتية الحديثة ، فالحوار من شأنه أن يكون وسيلة إبلاغية فعالة في إيصال دعوة الله إلى الناس .

2 . في الخطاب تعليم لكيفية الحوار ، وإبراهيم . عليه السلام . كان يعلم جهل وحمق هذا المكابر ، وقد بدا ذلك واضحاً من جوابه الأول الدال على قصر النظر وخفة العقل وانعدام الحكمة ، ومع ذلك نرى إبراهيم لا يلتفت إلى ذلك ، ولا يبدو منه ازدراء للخصم أو انتقاص من شأنه ، أو إسماعه شيئاً مما يسيء ، وهذا أدب سام ، وإنما سايره في الحوار ، وأتاه بحجة أخرى أقوى لدحض شبهته وشبهة من يكون قد التبس عليه الأمر من الحاضرين ،

¹ . ابن عاشور ، محمد الطاهر . التحرير والتنوير ، ج : 3 ، ص : 34 .

وهذه طريقة راقية في الحوار ، تتسم بالهدوء والحكمة حتى مع المعاندين ، ولا شك أن إبراهيم توصل إلى درجة الإقناع بحجته ، ولكن الغرور الذي سيطر على الخصم كان يمنعه من الاستجابة ، وإن أقر في دخيلة نفسه بحقيقة ما يقول إبراهيم ، وقد قال الله عنه وعن أمثاله : ﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأُتِيَقِنْتَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل : 14] .

3 . في هذا الحوار سلم حجاجي حيث تترتب الحجج فيه على المنوال الآتي :

ن : الله هو الإله الحق الذي لا إله غيره .

ح2 : الله يأتي بالشمس من المشرق .

ح1 : الله يحيي ويميت .

فإن (ح1) متضمنة في (ح2) ، و(ح2) أقوى من (ح1) ، ولذلك لم يستطع الخصم دفع (ح2) ، بينما ادعى دفع (ح1) .

والمعنى : بما أن (ح2) ثابتة بلا مدافع ، وهي أن الله تعالى يتحكم في سيرورة الأجرام الكبرى في الكون ، فإن (ح1) ثابتة بدليل التضمن ، لأن الذي يقدر على التحكم في الأجرام الكبرى هو أقدر على التحكم في الأجسام الصغرى ، وإذا كان الله تعالى يتحكم في الأجرام الكبرى والمخلوقات الصغرى ، أي أنه يتحكم في الذرة والمجرة فالنتيجة إذن أن الله تعالى هو الإله الحق دون سواه .

وبمفهوم القلب نستطيع القول : إن إبراهيم قدم في هذا الحوار الحجج لنتيجتين مختلفتين :

ن1 : وهي النتيجة التي ذكرت من قبل وهي أن الله تعالى هو الإله الحق .

ن2 : وهي أن الملك ليس إلهًا وإنما هو بشر .

ففي (ن1) إثبات وإحقاق لحقيقة ، وفي (ن2) إبطال لما يخالفها ، وهذا يعني أن ثبوت الأولى إبطال للثانية.

وبمفهوم القلب يكون السلم كالاتي :

ن : الملك بشر ضعيف وليس إليها.

ح2 : الملك ما دام لا يتحكم في الشمس فهو لا يحيي ولا يميت.

ح1 : الملك لا يتحكم في سيرورة الشمس في الفلك.

لقد أقام إبراهيم الحجة على خصمه من وجهين مختلفين : فأثبت بالوجه الأول أن الله تعالى هو الإله الحق. وأبطل بالوجه الآخر ما يدعيه المكابر من كونه هو أيضا إله.

2.3 . الترغيب والترهيب :

من الوسائل التي استعملها القرآن الكريم في الإقناع والتأثير ، أسلوب الترغيب والترهيب ، وهو أسلوب يتجه إلى وجدان المخاطب وعواطفه ، لاستثارته ودفعه إلى ما يكون فيه خيره وصلاحه وإبعاده عما يكون فيه شره وهلاكه.

وسوف نتناول في هذا المبحث إبلاغية الترغيب والترهيب في سورة البقرة.

2.3.1 . الترغيب:

2.3.1.1 . الترغيب لغة:

جاء في المعجم الوسيط : « رغب فلان رغبا ورغبة ورغبة : حرص على الشيء وطمع فيه ، ورغب إليه : ابتهل وضرع وطلب . ويقال : رغب إليه في كذا وكذا : سأله إياه ،

ورغب عن الشيء : تركه متعمدا وزهد فيه ، ورغب بنفسه عن الشيء : ترفع عنه ...»¹.
وفي مختار الصحاح : « رغب فيه أرادته وبابه طرب ، ورغب أيضا وارتغب فيه مثله ،
ورغب عنه لم يرده ويقال : رغبه فيه ترغيبا وأرغبه فيه أيضا »².
وفي المعجم الوجيز : « ورغَّيه في الشيء : جعله يرغب فيه »³.

2. 1. 3. 2 . الترغيب اصطلاحا :

عرف عبد الكريم زيدان في كتابه (أصول الدعوة) الترغيب بقوله : « نقصد بالترغيب كل
ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه »⁴.
والترغيب ذكر ما يفيد في حمل الناس على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى
لنيل السعادة في الدنيا والآخرة⁵.

وهو « أسلوب قرآني يعالج في النفس البشرية حبها للخير وحرصها عليه واستكثارها
منه »⁶.

¹ . مجمع اللغة العربية بمصر . المعجم الوسيط ، ص : 356.

² . الرازي ، محمد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، ص : 112.

³ . مجمع اللغة العربية بمصر . المعجم الوجيز ، مطابع الدار الهندسية ، ط : 1 ، مصر ، 1400 هـ . 1980 م ، ص :
269.

⁴ . زيدان ، عبد الكريم . أصول الدعوة ، (دد) ، ط : 3 ، (دب) ، 1396 هـ . 1976 م ، ص : 421.

⁵ . ينظر : القحطاني ، سعيد بن علي بن وهف . الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، (دد) ، ط : 2 ، (دب) ، 1413 هـ .
1992 م ، ص : 487.

⁶ . محمود ، علي عبد الحليم . فقه الدعوة إلى الله ، دار الوفاء ، ط : 2 ، (دب) ، 1411 هـ . 1990 م . ص : 230.

والتريغيب « من أنجع الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم والسنة النبوية في الدعوة إلى الله ، لما له من قرب وتفاعل في النفس البشرية »¹.

ومعنى التريغيب أيضا : « تحبيب الإنسان في عبادة الله تعالى وفعل الخير وعمل الصالحات ومكارم الأخلاق ... وقيادته في ذلك بزمام الرغبة فيما رتب الله على ذلك من حسن الجزاء وجزيل المثوبة في الدنيا والآخرة »².

2. 3. 2 . الترهيب :

2. 3. 2 . 1 . الترهيب لغة :

جاء في مختار الصحاح : « رهب : خاف وبابه طرب »³.

وفي المعجم الوجيز : « رهبه رَهَبًا ورهبة ورُهَبًا : خافه. أرهب فلانا : خوفه وفزعه »⁴.

وفي منجد لويس معلوف : « أرهبه : خوفه ، يقال : « أرهب منه الناس بأسه ونجدته »

أي إن بأسه ونجدته حملا الناس على الخوف منه »⁵.

2. 3. 2 . 2 . الترهيب اصطلاحا :

¹ . السبعائي ، طه عبد الله محمد . أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ، دار الكتب العلمية ، (دط) ، لبنان ، (دت) ، ص : 111.

² . القرضاوي ، يوسف . المنتقى من كتاب التريغيب والترهيب للمنذري ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ط : 3 ، مصر ، 1422 هـ . 2001 م ، ج : 1 ، ص : 11.

³ . الرازي ، محمد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، ص : 116.

⁴ . مجمع اللغة العربية بمصر . المعجم الوجيز ، ص : 279.

⁵ . معلوف ، لويس . المنجد ، ص : 282.

جاء في كتاب (أصول الدعوة) : « الترهيب كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه »¹.

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي : « ومعنى الترهيب : تخويف الإنسان من البعد عن الله تعالى وإضاعة فرائضه والتفريط في حقه سبحانه وحقوق عباده ... وسوق الناس إلى الوقوف عند حدود الله بسوط الرهبة مما أعده الله لمن عصاه ... من عذاب الدنيا والآخرة »².

والترهيب هو ذكر ما يفيد في حمل الناس على ترك الجرائم والذنوب ، والتحذير من المعاصي والإصرار عليها³. وأسلوب الترهيب أسلوب قرآني يعالج في النفس البشرية حبها للأمن والسلامة وإيثارها البعد عن الخوف والخطر ، وذلك من خلال تخويفها وتهديدها⁴ ، والترهيب « يدخل في العملية الإقناعية بحدود ومقادير دقيقة من أجل ردع النفس عن الرذائل والشر ودفعها عما لا ينفعها »⁵.

2 . 3 . 4 . أسس فكرة الترغيب والترهيب :

فكرة الترغيب والترهيب فكرة أساسية في الدين ، وقد يعبر عنها بكلمتي (التبشير والإنذار) ، وهما من المهام الأساسية لرسول الله . عليهم الصلاة والسلام . فإن عليهم أن يبلغوا

¹ . زيدان ، عبد الكريم . أصول الدعوة ، ص : 421 .

² . القرضاوي ، يوسف . المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري ، ج : 1 ، ص : 11 .

³ . ينظر : القحطاني ، سعيد بن علي بن وهف . الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، ص : 496 .

⁴ . ينظر : محمود ، علي عبد الحليم . فقه الدعوة إلى الله ، ص : 232 .

⁵ . السبعواوي ، طه عبد الله محمد . أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ، ص : 118 .

رسالات الله تعالى ، ويبشروا الطائعين وينذروا العصاة ، قال الله عز وجل : ﴿رُسُلًا

مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء : 165] ، وقال لرسوله محمد . صلى الله عليه وسلم . :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [البقرة : 119].

وتقوم فكرة الترغيب والترهيب على أساسين هاميين هما :

أولاً : الأساس الديني ، ويتعلق بعقيدة الثواب والعقاب ، وهذه العقيدة أساسية في دين الله

تعالى ، بل هي أساسية في كل مذهب أخلاقي ، إذ لا معنى للأخلاق بلا إلزام ولا جزاء.

وترتيب الجزاء على العمل يجعل النفس تسارع إليه وتحرص عليه.

ثانياً : الأساس النفسي ، لأن الرغبة والرغبة فطريتان عند الإنسان ، فهو بطبيعته يرغب فيما

يحب ، وينفر مما يكره ، فطبعي أن يستفيد المنهج التربوي الإسلامي من هاتين النزعتين ،

ويستثمرهما في دفع الإنسان نحو الخير وصدّه عن الشر¹.

2 . 3 . 5 . أقسام الترغيب والترهيب :

إن كلا من الترغيب والترهيب يأتي على قسمين مادي ومعنوي ، وبذلك يكون لدينا أربعة

أقسام هي :

1 . الترغيب المادي : والمقصود به ما كان محسوساً من الأموال والأولاد والذهب والفضة ،

وغير ذلك من الخيرات والنعيم في الدنيا والآخرة ، ولما كان هذا النوع له أثره في النفوس فقد

جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم ترغّب في أعمال الخير والبر ، منها ما يتكلم عن

¹ . ينظر : القرضاوي ، وسف . المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري ، ج : 1 ، ص : 11 . 12 .

الترغيب المادي الدنيوي كقوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ

حَيَوَةً طَيِّبَةً ۗ ﴾ [النحل : 97] ، ومنها ما يتكلم عن الترغيب المادي الآخروي كقوله تعالى :

﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّنْ سُندُسٍ

وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۗ ﴾ [الكهف : 31]¹.

2 . الترغيب المعنوي : وهو تلك الغايات التي تعد الماديات وسيلة للوصول إليها ، كالسعادة

والاطمئنان والراحة والسمعة الحسنة ومحبة الآخرين واحترامهم ، وكرؤية الله في الجنة

ومرافقة نبيه . صلى الله عليه وسلم . في الفردوس الأعلى ، ومن الترغيب المعنوي في الدنيا

قوله تعالى : ﴿ وَيَسْبِدَلْتَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۗ ﴾ [النور : 55] ، ومن الترغيب المعنوي في

الآخرة قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۗ ﴾ [مريم : 75]².

3 . الترهيب المادي : إن القرآن الكريم استعمل أسلوب الترهيب المادي بما يصلح البشر

ويقوم أخلاقهم ويهذب نفوسهم ، ليعيشوا السعادة الحقيقية ، ومن أمثلة الترهيب المادي في

الدنيا قوله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَجْهِ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ۗ ﴾ [النور

: 2] ، ومن أمثلة الترهيب المادي في الآخرة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا

سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيمًا حَكِيمًا ۗ ﴾

¹ . ينظر : السبعاوي ، طه عبد الله محمد . أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ، ص : 111 . 113 .

² . ينظر : المرجع نفسه ، ص : 115 . 116 .

4 . الترهيب المعنوي : وهو ما فيه أذى للنفس والسمعة والكرامة ، ومما جاء في القرآن

الكريم من قبيل الترهيب المعنوي الدنيوي قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً

ضَنْكًا ﴾ [طه : 124] ، ومما جاء فيه من الترهيب المعنوي قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ

يُرْدُونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة : 85]².

2 . 3 . 6 . إبلاغية الترغيب والترهيب في سورة البقرة :

2 . 3 . 6 . 1 . إبلاغية الترغيب المعنوي :

2 . 3 . 6 . 1 . 1 . الترغيب المعنوي في الدنيا :

يقول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة : 257] .

الولي هو المتولي لما يكون سببا لصلاح أوليائه واستقامة أمورهم في كل ما يطلبونه ،

وقد جعل الله نفسه وليا للمؤمنين على التخصيص ، مما يفيد أن أظافه بهم فيما يتعلق

بالدين أكثر من أظافه بغيرهم ، فالله سبحانه ولي المؤمنين في الدنيا ، يوفقهم ويشرح

صدورهم للهداية والتوفيق لمحبتته وطاعته ، فيخرجهم بذلك من الظلمات إلى النور ، وهذا من

أظافه وحسن صنيعه بهم جزاء لهم على إنباتهم وتقواهم³.

¹ . ينظر : السبعوي ، طه عبد الله محمد . أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ، ص : 119 . 121 .

² . ينظر : المرجع نفسه ، ص : 122 .

³ . ينظر : الدوسري ، عبد الرحمن بن محمد . صفوة الآثار والمفاهيم ، م : 3 ، ص : 476 .

ونرى أن الآية الكريمة تتضمن ترغيباً معنوياً للمؤمنين ، إذ إن إخراجهم من الظلمات إلى النور هو إخراج لهم من « ظلمات الشكوك والإشراك وجميع أنواع الشبهات والشهوات إلى نور الهداية والرشاد ، فينور بصائرهم ويجليها من كل ظلمة ، ظلمة الطبع ، وظلمة الجهل ، وظلمة الهوى ، وظلمة الشهوة ، وظلمة القول والعمل »¹.

وهذا الخطاب الإبلاغي فيه ترغيب معنوي في الدنيا للمؤمنين ، حيث بين لهم أن جزاء الإيمان والصلاح ولأية الله لهم ، وإخراجه لهم من ظلمات الشرك والكفر والنفاق في القول والعمل إلى أنوار الهداية والصلاح والاستقامة.

2. 3. 6. 1. 2. الترغيب المعنوي في الآخرة :

يقول الله عز وجل : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : 112].

في هذه الآية الكريمة رد الله عز وجل « على كل من اليهود والنصارى برد قاطع ، وذلك لإثبات قاعدة دينية عامة فقال : ﴿ بَلَىٰ ﴾ وهي كلمة تذكر في الجواب لإثبات نفي سابق ، فهي مبطللة لقولهم ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا ﴾ [البقرة : 111] يعني ﴿ بَلَىٰ ﴾ إنه يدخلها من لم يكن هوداً ولا نصارى »².

لقد بين الخطاب القرآني في هذه الآية أن رحمة الله ليست مقصورة على شعب دون

¹ . الدوسري ، عبد الرحمن بن محمد . صفوة الآثار والمفاهيم ، م : 3 ، ص : 476.

² . المرجع نفسه ، م : 2 ، ص : 340.

شعب ، ولا أمة دون أمة ، وإنما رحمة الله مبذولة لكل من يعمل لها عملها الذي بينه بقوله ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ يعني « أخلص اتجاهه لله ، وكذا مقاصده وأعماله ، ولم يسلم وجهه لغير الله ، فكانت أعماله على وفق شريعة الله أولاً ، وخالصة لوجه الله ثانياً »¹ .

ثم بين الله تعالى ما ينتظر هؤلاء من الخير في الآخرة ، وهو من باب الترغيب المعنوي ، حيث نفى عنهم الخوف والحزن الذي يصيب غيرهم فقال تعالى : ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ، وهو ترغيب معنوي أخروي ، وهذا الخطاب الإبلاغي فيه حث على الإيمان والعمل الصالح والإخلاص لله تعالى والإحسان ، وهذا عاقبته الأمن يوم الوعيد من العذاب الشديد ، والسلامة من الرعب والمخاوف والأحزان .

2 . 3 . 6 . 2 . إبلاغية الترغيب المادي :

2 . 3 . 6 . 3 . 1 . الترغيب المادي في الدنيا :

يقول الله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ

وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : 268] .

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُم ﴾ أي « في الإنفاق على لسان نبيكم . صلى الله تعالى عليه

وسلم . ﴿ مَّغْفِرَةً ﴾ لذنوبكم ... ﴿ وَفَضْلًا ﴾ أي رزقا وخلفا ... فتكون المغفرة إشارة إلى

منافع الآخرة ، وهذا إشارة إلى منافع الدنيا »² .

¹ . الدوسري ، عبد الرحمن بن محمد . صفوة الآثار والمفاهيم ، م : 2 ، ص : 340 .

² . الألوسي ، شهاب الدين محمود . روح المعاني ، ج : 3 ، ص : 41 .

ويرى الرازي أن الفضل يحتل وجوها وأحسنها « أنه مهما عرف من الإنسان كونه منقفا لأمواله في وجوه الخيرات مالت القلوب إليه فلا يضايقونه في مطالبه ، فحينئذ تنفتح عليه أبواب الدنيا ، ولأن أولئك الذين أنفق عليهم يعينونه بالدعاء والهمة فيفتح الله عليه أبواب الخير »¹.

وقال الشيخ أبو زهرة : « وأما الفضل وهو النماء والزيادة فإن ذلك يتحقق بالصدقات ، لأنها تحدث البركة في الرزق فيكون القليل في يد المتصدق كثيرا بتوفيق الله تعالى ، وبتوجيه من الله إلى السبل الناجحة ، وإبعاده عما يذهب فيه المال ضياعا »².

في هذه الآية الكريمة خطاب إبلاغي يتضمن ترغيب المؤمنين في الإنفاق في سبيل الله تعالى ، ويعددهم بأنه يخلف لهم ما أنفقوه ، وفي هذا دفع لوسواس الشيطان الذي يخوف الإنسان إذا أراد الإنفاق ويحذره من الفقر ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ . كما أن فيه تحبيب الإنفاق إلى النفس ، لأنها متى علمت أنها إذا أنفقت شيئا من المال في سبيل الله تعالى كتب لها به أجر كبير مضاعف ، وأخلف لها ما أنفقته ، فهذا يدفعها إلى بذل المال في سبيل الله تعالى عن رغبة وطوعية.

2 . 3 . 2 . 6 . 2 . 2 . الترغيب المادي في الآخرة :

يتمثل هذا النوع من الترغيب في الوعد من الله تعالى . الذي لا يخلف الميعاد . بخيرات مادية في الآخرة ، كالثمار والأزواج والجنان والأرائك والأساور والثياب وأنواع الشراب ،

¹ . الرازي ، فخر الدين . التفسير الكبير ، ج : 7 ، ص : 72 .

² . أبو زهرة ، محمد . زهرة التفاسير ، م : 1 ، ص : 108 .

وغير ذلك ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيَسِّرِ الْبَيْتَ لِمَن يَدْعُوهُ إِلَىٰ حُرْمَتِهِ لِيَشْهَدُوا مَحَلَّتِ لَهُمْ وَبِشْرِّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَن لَّهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : 25] .

جاء في تفسير فتح البيان : « لما ذكر تعالى جزاء الكافرين عقبه بجزاء المؤمنين ، ليجمع بين الترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، كما هي عادته سبحانه في كتابه العزيز ، لما في ذلك من تنشيط عباده المؤمنين لطاعته ، وتنشيط عباده الكافرين عن معاصيه »¹ . إذ في هذه الآية « تبشير الله تعالى عباده المؤمنين بجنات تجري من تحتها الأنهار لهم فيها أجمل الفواكه والثمار وأطهر الزوجات ، في خلود ونعيم مقيم »² .

قال الخازن : « والبشارة إيراد الخبر السار على سامع يستبشر به ويظهر السرور على بشرة وجهه لأن الإنسان إذا فرح بشيء ظهر ذلك على بشرة وجهه »³ .
وقال ابن القيم : « جمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار ، ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ، ونعيم القلب وقرّة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه »⁴ .

¹ . القنوجي ، صديق بن حسن . فتح البيان في مقاصد القرآن ، ج : 1 ، ص : 109 .

² . حموش ، مأمون . التفسير المأمون ، ج : 1 ، ص : 160 .

³ . الخازن ، علاء الدين بن إبراهيم . تفسير الخازن ، ج : 1 ، ص : 32 .

⁴ . ابن القيم ، شمس الدين محمد بن أبي بكر . التفسير القيم ، تح : رضوان جامع رضوان ، دار ابن الهيثم ، ط : 1 ،

مصر ، 1426 هـ . 2005 م ، ص : 139 .

إن هذا الخطاب الإبلاغي يتضمن ترغيباً مادياً أخروبياً ، حيث وعد الله عباده المؤمنين بالجنات ، وهي الحدائق الخضراء ، وقد سميت الجنة جنة « لفرط التفاف أغصان أشجارها وتستورها بالأشجار »¹ ، وفي هذه الجنات ، ما فيها من الخيرات والأزواج ، وهي ملذات حسية ، إذ إن معظم اللذات الحسية مقصورة على المساكن والمطاعم والمناجح حسبما يقضي به الاستقراء ، ولما كان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات ، حيث إن كل نعمة وإن جلت إذا كان يعقبها الزوال والاضمحلال ، فإنها منغصة غير صافية من شوائب الألم ، بشر الله بها المؤمنين وبدوامها تكميلاً للبهجة والسرور².

وهذا الخطاب الإبلاغي فيه دعوة إلى الإيمان والعمل الصالح الذين ينال بهما المؤمن . بعد رحمة الله . ما ينال من هذه اللذات الحسية من جنات وثمار وأزواج ، فذلك لا يتحقق له إلا إذا أَرْضَى اللهُ تَعَالَى بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ .

2 . 3 . 6 . 3 . إبلاغية الترهيب المعنوي :

2 . 3 . 6 . 3 . 1 . الترهيب المعنوي في الدنيا :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة : 114] .

هذه الآية الكريمة تتضمن إبلاغاً عن شيء وقع ، ويقع في كل زمان ومكان ، وهو منع

¹ . الهرري ، محمد الأمين . حدائق الروح الريحان ، م : 1 ، ص : 241 .

² . ينظر : المرجع نفسه ، ص : 247 .

مساجد الله من أن يذكره فيها العابدون ، وتخريبها.

وفي الآية « وعيد لكل من منع مساجد الله تعالى وسعى في خرابها ، ووصف لمن يفعل ذلك بأن لا أحد أظلم منه ولا أكثر اعتداء ، وقد نزلت في مشركي العرب ، وقيل : في ملوك من آشور والروم قاموا في أزمان متفرقة قبل ميلاد المسيح بتخريب بيت المقدس وسبي اليهود »¹.

والآية عامة في جميع المساجد . لدلالة الجمع المضاف إلى الله تعالى على ذلك . فيشمل الوعيد كل مخرب لمسجد من المساجد ، أو مانع من إقامة العبادة فيه ، بتعطيله أو منع المتأهل لها منها ، والخراب المذكور في الآية يحمل على معنيين الحسي بهدمها والمعنوي بتعطيلها ومنع المسلمين من إظهار شعائرتهم ، وتعليم أحكام شريعتهم وتأليف كلمتهم².

كما تضمنت الآية إبلاغا عن العقوبة المستحقة لمن يمنع المساجد ويسعى في خرابها.

قال أبو زهرة : « ولقد قرر الله تعالى لهم عقوبة الدنيا ، بأن ينزل الله على هذا المانع الظالم عقابا دنيويا صارما ، وهو أنهم لا يدخلونها »³.

¹ . ابن طاهر ، الحبيب . فقه العبادات على المذهب المالكي ، دار مكتبة المعارف ، ط : 1 ، لبنان ، 1431 هـ .

2010م ، ص : 218 .

² . ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

³ . أبو زهرة ، محمد . زهرة التفاسير ، م : 1 ، ص : 372 .

وقال ابن كثير : « هذا خبر معناه الطلب ، أي : لا تمكنوا هؤلاء إذا قدرتم عليهم من دخولها إلا تحت الهدنة والجزية »¹ ، و« ذكر الله تعالى عقابا دنيويا آخر وهو أنهم يلحقهم الخزي بعد استعلائهم والذل بعد استكبارهم »².

وهكذا فإن هذا الخطاب الإبلاغي يحمل ترهيبا معنويا في الدنيا لمن أقدم على هذا العمل المخزي ، وهو منع مساجد الله وتخريبها ، والغرض التحذير من هذا العمل المشين لأن عاقبته وخيمة في الدنيا مع ما ينتظر من عذاب الآخرة.

2.3.6.3.2 . الترهيب المعنوي في الآخرة :

يقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسُقَيْنَاهُمُ الْمَاءَ كَمَا تُسْقَى الْعِبَادُ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ

اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿ [البقرة : 167] .

قال الزحيلي : « أي : وقال التابعون : نتمنى أن تكون لنا رجعة إلى الدنيا ، فننتبرأ منهم كما تبرعوا منا ، وتركونا في الشدة والضلال »³.

والآية دليل على أن المعبودات التي عبدها الناس من دون الله تتبرأ ممن عبدها يوم القيامة وتتصل منهم ، لأن كل واحد يومئذ مشغول بنفسه ينتظر ما يؤول إليه أمره . وفي الآية إبلاغ عن مصير الذين اتخذوا من دون الله أندادا ، حيث يتحسرون على ما فاتهم و« الحسرة شدة الندامة ، حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب وهو الذي لا منفعة فيه ،

¹ . ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج : 1 ، ص : 270 .

² . أبو زهرة ، محمد . زهرة التفاسير ، م : 1 ، ص : 372 .

³ . الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير ، م : 1 ، ج : 2 ، ص : 431 .

يقال : حسر فلان يحسر حسرة وحسرا ، إذا اشتد ندمه على أمر فاته ¹.

والحسرة عذاب نفسي معنوي ، وهو ترهيب معنوي في الآخرة ، والغرض الإبلاغي من هذا الترهب المعنوي هو تحذير المؤمنين وغيرهم من مغبة الإشراف بالله تعالى ، فإن عاقبة ذلك ندم شديد حين يرى المشرك العذاب ، وتأكله الحشرات على ما فات حيث يدخل النار فلا يخرج منها.

2 . 3 . 6 . 4 . إبلاغية الترهب المادي :

2 . 3 . 6 . 4 . 1 . الترهب المادي في الدنيا :

يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧٨) فَإِن

لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَإِن تُبْتِغُوا فَلَئِمَّ رُءُوسُ ءَأْمَوَالِكُمْ وَلَا تظَلْمُونَ وَلَا تظَلْمُونَ ﴿

[البقرة : 278 . 279] .

قال ابن كثير : « وهذا تهديد ووعيد أكيد ، لمن استمر على تعاطي الربا بعد هذا الإنذار ² .

وقال القرطبي : « قوله تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ هذا وعيد إن لم

يذروا الربا ، والحرب داعية القتل ... وقيل : المعنى إن لم تنتهوا فأنتم حرب لله ورسوله أي أعداء ³ .

¹ . الرازي ، فخر الدين . التفسير الكبير ، ج : 4 ، ص : 235 .

² . ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج : 1 ، ص : 553 .

³ . القرطبي ، محمد بن أحمد . الجامع لأحكام القرآن ، ج : 4 ، ص : 404 .

ونقل القرطبي عن ابن خويزمنداد قوله : « ولو أن أهل بلد اصطلحوا على الربا استحلالا كانوا مرتدين ، والحكم فيهم كالحكم في أهل الردة ، فإن لم يكن ذلك منهم استحلالا ، جاز للإمام محاربتهم »¹.

وهذا الترهيب لهم في الدنيا ، وهو ترهيب مادي ، وفي الخطاب إبلاغ بخطورة الربا ، لأن العقوبة إنما تعظم بعظم المخالفة ، ولم يذكر الله تعالى الإيذان بالحرب في شيء من المعاصي غير الربا ، لما فيه من خطورة على الأفراد والمجتمعات.

إن الربا « قد خرب البيوت العامرة ، وشتت الأسر الكريمة ، وأورث القلوب غلا وحقدا ، وماذا وراء ذلك إلا سفك الدماء وإزهاق الأرواح »².

إن الربا « يدمر المجتمعات الإنسانية ، بإفساد أخلاق أهلها ، وقتل الصفات الفاضلة فيهم ، وإحياء الصفات الذميمة ، بحيث تصبح المجتمعات الإنسانية مرتعا للكراهية والحقد والبغضاء ، وميدانا للتنافس المذموم الذي تغتال فيه القيم وتعرى فيه الشهوات »³.

2. 3. 2 . 4 . 6 . 2 . الترهيب المادي في الآخرة :

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ نَمُنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴿ [البقرة : 174] .

¹ . القرطبي ، محمد بن أحمد . الجامع لأحكام القرآن ، ج : 4 ، ص : 404 .

² . طبارة ، عفيف عبد الفتاح . الخطايا في نظر الإسلام ، دار العلم للملايين ، ط : 12 ، 2003 ، ص : 149 .

³ . الأشقر ، عمر سليمان . الربا وأثره على المجتمع الإنساني ، دار الشهاب ، (دط) ، الجزائر ، (دت) ، ص : 18 .

المراد بهذه الآية علماء اليهود لأنهم كتموا ما أنزل الله في التوراة من صفة محمد . صلى الله عليه وسلم . ونعته ووقت نبوته ، وهذا السبب وإن كان خاصا فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وهو يشمل كل من كتم ما شرعه الله وأخذ عليه الرشا¹ .
فالكلام . إذن . في كل من يكتمون ما أنزل الله من الكتاب سواء أكانوا مؤمنين لا يبلغون دعوة الله ، ولا يبينون ما اشتمل عليه الكتاب من الأحكام التي يجب إعلانها وبيانها للناس ، أم كانوا من اليهود أو النصارى الذين يعلمون أمر النبي . صلى الله عليه وسلم . وما يجيء به من أحكام ويكتمونها ، وقد توعد الله تعالى هؤلاء الكاتمين بأربعة أنواع من العقوبات الأخروية :

العقاب الأول : أنهم ما يأكلون من الثمن الذي أخذوه إلا النار تلهب بطونهم .

والعقاب الثاني : أنهم ينالهم غضب الله تعالى ، وغضب الله الواحد القهار فيه إيلام لأهل الضمائر وإنذار شديد لأهل الشر .

والعقاب الثالث : أن الله تعالى لا يزكيهم أي لا يطهرهم من ذنوبهم .

والعقاب الرابع : أن لهم عذابا أليما أي مؤلما ، نتيجة لغضب الله تعالى² .

وهذا الوعيد فيه ترهيب مادي أخروي ، وفيه إبلاغ بخطورة كتمان الحق والدين الذي أنزله الله تعالى ، لأن ذلك افتراء على الله ، وتدليس على الناس ، وتزوير للحقائق ، حتى يظن الناس أن ما أخبروا به هو الدين الحق ، وما غيب عنهم ليس بدين الله تعالى ، وهذا

¹ . ينظر : القنوجي ، صديق بن حسن . فتح البيان في مقاصد القرآن ، ج : 1 ن ص : 345 .

² . ينظر : أبو زهرة ، محمد . زهرة التفسير ، م : 1 ، ص : 512 . 514 .

افتراء على الله تعالى ، فالذين أمروا بالتبليغ من العلماء والدعاة يجب عليهم أن يبلغوا دين الله تعالى كاملا غير منقوص ، فمن تلاعب بالدين وزور حقائقه وكذب على الله مقابل عرض زائل من أعراض الدنيا ، فلينتظر ما أخبر به هذا الخطاب الإبلاغي الذي تضمن الترهيب المادي والوعيد الشديد يوم القيامة ، في مقابل هذا العمل وكتمان الحق وتبديل دين الله.

الفصل الرابع:

إبلاغية الاتساق والانسجام

في سورة البقرة

تمهيد :

يعد الاتساق والانسجام من أهم المعايير النصية ، يقول الدكتور عبد الرحمن بو درع :
« عندما نتحدث عن الانسجام والتماسك في النص ، فإنما نتحدث عن معيارين رئيسيين من
معايير بناء النص أو ما يدعى بالنصية (textuality) »¹.

وفي هذا الفصل سيتطرق البحث إلى موضوع إبلاغية الاتساق والانسجام في سورة
البقرة ، وسوف يبحث في مفهوم هذين المعيارين وآليات كل منهما ووسائله في السورة
الكريمة.

1 . إبلاغية الاتساق في سورة البقرة :

1 . 1 . تعريف الاتساق :

1 . 1 . 1 . تعريف الاتساق لغة :

جاء في لسان العرب في مادة (وسق) : « وسق الليل واتسق ، وكل ما
انضم فقد اتسق ، والطريق يأتسق ويتسق أي ينضم ... واتسق القمر : استوى ،
وفي التنزيل : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۝١٦ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ [الانشقاق :
16 . 18] ، قال الفراء : وما وسق أي وما جمع وضم ، واتسق القمر :
امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشر وأربع عشر ... والوسق : ضم الشيء

¹ . بو درع ، عبد الرحمن . في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم ، بحث

مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية ، كرسي القرآن وعلومه ، جامعة الملك سعود ، السعودية ، 1434 هـ .

2013 ، ص : 30.

إلى الشيء»¹.

وجاء في مفردات الراغب : « وسق : الوسق جمع المتفرق ، يقال : وسقت الشيء

إذا جمعته ... وقوله ﴿ وَأَيْلٍ وَمَا وَسَقَ ﴾ قيل : وما جمع من الظلام ... ووسقت الشيء

جمعته ... والاتساق الاجتماع والاطراد»².

وجاء في كتاب الغريبين في القرآن والحديث : « الوسق ضمك الشيء إلى

الشيء بعضه إلى بعض ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَيْلٍ وَمَا وَسَقَ ﴾ أي : ما جمع

وضم ، ويقال للذي يجمع الابل ويطردها واسق ... وقد وسقتها فاستوسقت أي اجتمعت أي

انضمت»³.

مما تقدم نخلص إلى أن مادة (وسق) تحمل عدة معان هي : الجمع ، والضم ،

والاستواء ، والامتلاء ، والاجتماع ، والاطراد ، وجمع المتفرق ، وضم الشيء إلى الشيء.

1.1.2. تعريف الاتساق اصطلاحاً :

جاء في معجم تحليل الخطاب : « تدل كلمة اتساق منذ كتاب (*cohesion in*

english) م . أ . ك . هاليداي و ر . حسن (1976) على مجموع الوسائل اللسانية الرابطة

بين عناصر الجملة وبين الجمل . والتي تسمح لمفوض ما شفوي أو كتابي بأن يبدو في

¹ . ابن منظور ، محمد بن مكرم . لسان العرب ، ص : 4836 . 4837.

² . الأصفهاني ، الحسين بن أحمد الراغب . المفردات في غريب القرآن ، ص : 678.

³ . الهرري ، أحمد بن أحمد . الغريبين في القرآن والحديث ، تح : أحمد فريد الزبيدي ، المكتبة العصرية ، ط : 1 ، لبنان ،

1419 هـ . 1999 م ، ج : 6 ، ص : 1999 . 2000.

شكل نص «¹.

ويقول محمد خطابي : « يقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص / خطاب ما ، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكتوبة لجزء من خطاب ، أو خطاب برمته «². إن « الاتساق هو الذي يضمن تماسك النص وتمييزه عن اللانص «³. وهذا المصطلح قد يسميه بعضهم (التماسك) وهو يشير « إلى الأدوات الكلامية التي تسوس العلاقات المتبادلة بين التراكيب الضمن جمالية أو بين الجمل «⁴. كما قد يسميه البعض (السبك) ، وقد جاء تعريفه في كتاب « النص والخطاب والإجراء » بما نصه : « السبك cohesion وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية surface على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق . progressive occurrence بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي sequential connectivity وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط «⁵.

¹ .شارودو ، باتريك ودومينيك منغنو . معجم تحليل الخطاب ، ص : 100.

² .خطابي ، محمد . لسانيات النص . مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص : 5.

³ .ناعوس ، بن يحيى طاهر . تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص ، دار القدس العربي ، (دط) ، الجزائر ، (دت) ، ص : 208.

⁴ .سشايفر ، جون ماري . النص ، ضمن كتاب : العلاماتية وعلم النص ، تر : منذر عياشي ، المركز الثقافي العربي ، ط : 1 ، المغرب ، 2006 ، ص : 132.

⁵ .دي بو جراند ، روبيرت . النص والخطاب والإجراء ، تر تمام حسان ، عالم الكتب ، ط : 2 ، مصر ، 1428 هـ . 2007م ، ص : 103.

إن مفهوم الاتساق « يقوم على ملاحظة ووصف وسائل التماسك والتلاحم بين العناصر المشكلة لنص ما من بدايته إلى نهايته برصد الضمائر ، الإحالات ، الإشارات ، الحذف ، التكرار ، والعطف ، للقول بأن النص يشكل كلا واحدا »¹.

1 . 2 . 1 . إبلاغية أدوات الاتساق في سورة البقرة :

مما سبق من التعريفات يتضح لنا أن الاتساق يقوم على أدوات تربط بين أجزاء النص ليكون كلا واحدا ، وهذه الأدوات هي : الإحالة ، والاستبدال ، والحذف ، والوصل ، والاتساق المعجمي الذي يضم كلا من التضام والتكرار².

وفي هذا المبحث سنتناول الجوانب الإبلاغية التي تتحقق بأدوات الاتساق مطبقين ذلك على نماذج من سورة البقرة :

1 . 2 . 1 . إبلاغية الإحالة في سورة البقرة :

تعرف الإحالة بأنها « عملية تربط بين الجمل والعبارات والنصوص ، فهي تعني العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها أو متأخرة »³.

والعناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها. وكل لغة طبيعية تتوفر على عناصر الإحالة ، وهي

¹ . بخولة ، بن الدين . الاتساق والانسجام النصي الآليات والروابط ، دار التنوير ، ط : 1 ، الجزائر ، 2014 ، ص :

.11

² . ينظر : ناعوس ، بن يحيى طاهر . تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص ، ص : 209.

³ . بخولة ، بن الدين . المرجع نفسه ، ص : 12.

الضمائر ، وأسماء الإشارة ، وأدوات المقارنة ، ولا بد من التطابق الدلالي بين المحيل والمحال إليه¹.

وتنقسم الإحالة إلى نوعين² :

1 . إحالة داخل النص (endaphara) وتسمى الإحالة النصية (textual).

2 . إحالة خارج النص (exophara) وتسمى الإحالة المقامية (situational).

والإحالة النصية . داخل النص . تنقسم بدورها إلى :

1 . إحالة على السابق وتسمى قبلية (anaphora) ، وهي تعود على مفسر سبق التلفظ

به ، وهي أكثر الأنواع دورانا في الكلام.

2 . إحالة على اللاحق وتسمى بعدية (cataphora) ، وهي تعود على عنصر إشاري

مذكور بعدها في النص.

وهذه نماذج للإحالة في سورة البقرة مع الوقوف على ما تتضمنه من القيم الإبلاغية :

1 . يقول الله تعالى : ﴿ الْم ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : 1 . 2] .

إن في اسم الإشارة (ذلك) إحالة نصية بعدية لأنها تحيل إلى (الكتاب) المذكور بعدها

في النص ، وفي الضمير (الهاء) في (فيه) إحالة نصية قبلية حيث يحيل هو أيضا إلى

(الكتاب) المذكور قبله.

¹ . ينظر : خطابي ، محمد . لساميات النص ، ص : 17 .

² . ينظر : عيفي ، أحمد . نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق ، ط : 1 ، مصر ، 2001 ،

وقد تكلم المفسرون في المراد بالكتاب المحال إليه ، وذكروا وجوها ، وهذا ملخص ما

ذكره الفخر الرازي¹ :

1 . الله تعالى أنزل الكتاب أي القرآن بعضه بعد بعض ، فنزل قبل سورة البقرة سور كثيرة ،

فقوله (ذلك) إشارة إلى تلك السور التي نزلت قبل هذه السورة.

2 . وعد الله رسوله في أول البعثة بأن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماحي و(ذلك) هنا إشارة

إلى ذلك الكتاب الموعود به.

3 . يشير (ذلك) إلى الكتاب الذي أخبر به موسى وعيسى بنى إسرائيل ، أنه ينزل على نبي

من ولد إسماعيل .

4 . يشير (ذلك) إلى الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ

الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف : 4] .

5 . الإشارة إلى ما تضمنته (الم).

وقد استعمل اسم الإشارة (ذلك) للإشارة إلى الكتاب وهو قريب مع أنه يستعمل للإشارة

إلى البعيد ، والغرض منه التعظيم.

قال الألوسي : « الإشارة بذلك للتعظيم وتنزيل البعد الرتبي منزلة البعد الحقيقي »² . وزاد

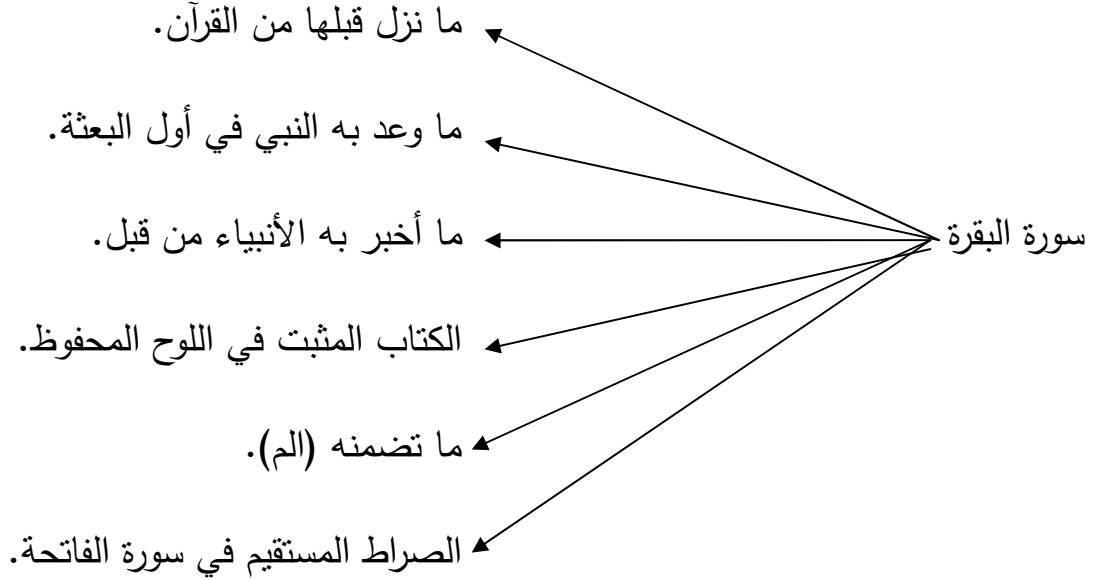
الألوسي توجيهها آخر للإشارة ب (ذلك) إلى الصراط المستقيم في الفاتحة كأنهم لما سألوا

الهداية لذلك قيل لهم : الصراط الذي سألتهم الهداية إليه هو ذلك الكتاب ، ثم قال بعد ذلك :

¹ . ينظر : الرازي ، فخر الدين . التفسير الكبير ، ج : 2 ، ص : 14 .

² . الألوسي ، شهاب الدين محمود . روح المعاني ، ج : 1 ، ص : 105 .

وهذا إن قبلته يتبين به وجه ارتباط سورة البقرة بسورة الحمد على أتم وجه¹. وبذلك يكون اسم الإشارة (ذلك) قد ربط بين سورة البقرة وبين ما سبق ذكره على النحو الآتي :



وبهذا تكون السورة مرتبطة بما قبلها وما بعدها ويكون هناك ارتباط بين النص القرآني

كله. ومما تضمنتها الآية من القيم الإبلغية ما يأتي :

1 . تعظيم القرآن الكريم بالإشارة إليه بالبعيد دلالة على قدسيته وسمو مكانته ، وأنه الكتاب المهيم الذي نسخت به الكتب السابقة ، فلا يقبل الله ديناً إلا دينه ولا شرعاً إلا شرعه ولا حكماً إلا حكمه ، وهو حجة الله على خلقه ، فمن أخذ به نجا ومن تركه هلك.

2 . يبلغنا الخطاب أن هذا الكتاب وهو القرآن الكريم هو الصراط المستقيم ، الذي لا تلتبس

به الأهواء ، وقد قال الله تعالى عن الصراط المستقيم : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ ﴾

وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ [الأنعام : 153]

¹ . ينظر : الألوسي ، شهاب الدين محمود . روح المعاني ، ج : 1 ، ص : 105 .

فمن اهتدى بهديه واستنار بنوره رشد ، ومن أعرض عنه واتبع سواه ضل وغوى .

3 . يبلغنا الخطاب أن هذا الكتاب القرآن الكريم ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ فلا ريب في أنه وحي الله

تعالى لرسوله محمد . صلى الله عليه وسلم . وقد عرفوا الوحي بأنه « إلقاء الله الكلام

أو المعنى في نفس الرسول بخفاء وسرعة ؛ بملك أو دون ملك ... وهو إعلام خاص خفي

سريع من الله تعالى لرسوله وأنبياءه »¹ .

وكل ما جاء في هذا الكتاب الكريم من أمر أو نهي أو حلال أو حرام أو ترغيب أو

ترهيب أو وعد أو وعيد فهو وحي الله لرسوله ، وما الرسول إلا مبلغ ، وفي هذا رد على

كل زاعم أنه من تأليف الرسول محمد كما ادعى

المشركون العرب قديما والمستشرقون وأذئابهم في العصر الحديث² .

2 . يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ختم الله

عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ [البقرة 6 . 7] .

ففي الآية الكريمة جملة من الإحالات إلى محال عليه واحد وكلها إحالات نصية قبلية :

فقد استعمل الموصول (الذين) وصلته (كفروا) ثم أحال عليه بمجموعة من الإحالات

كلها بالضمير المتصل (هم) إلا واحدة بواو الجماعة (لا يؤمنون).

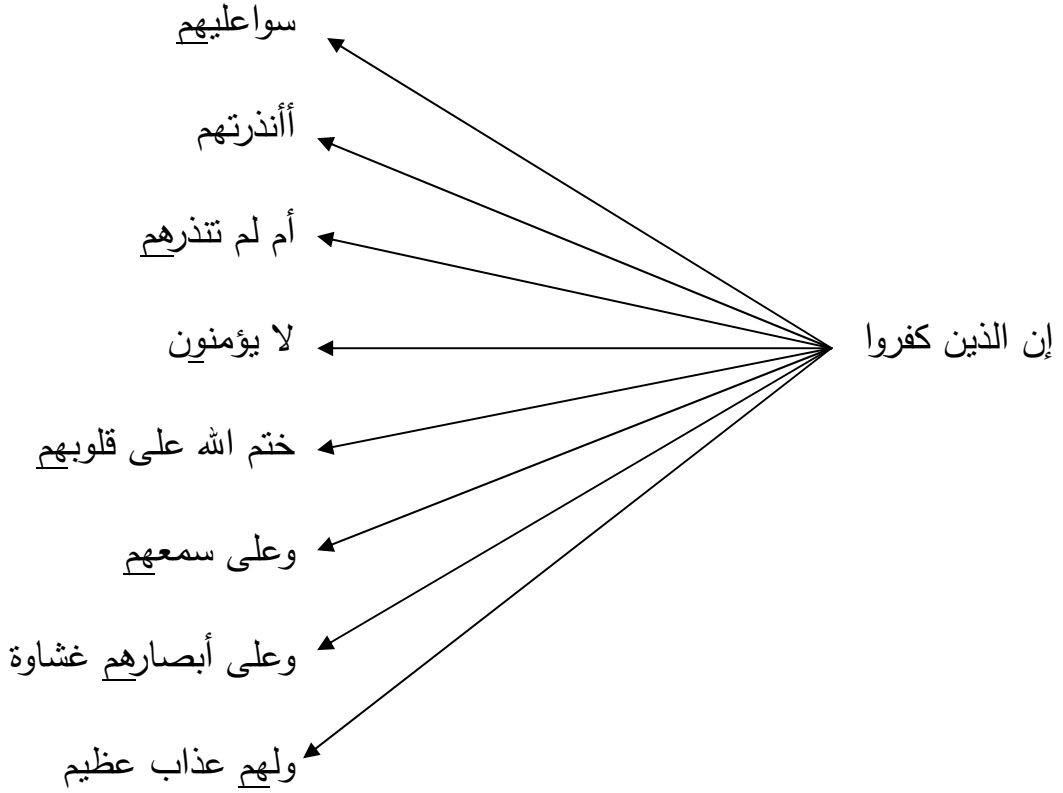
وقد أفادت هذه الإحالات الاختصار والتركيز على محور الكلام (الذين كفروا) ، وبينت

¹ . عتر ، حسن ضياء الدين . وحي الله ، دار المكتبي ، ط : 1 ، سورية ، 1419 هـ . 1999 م ، ص : 98 .

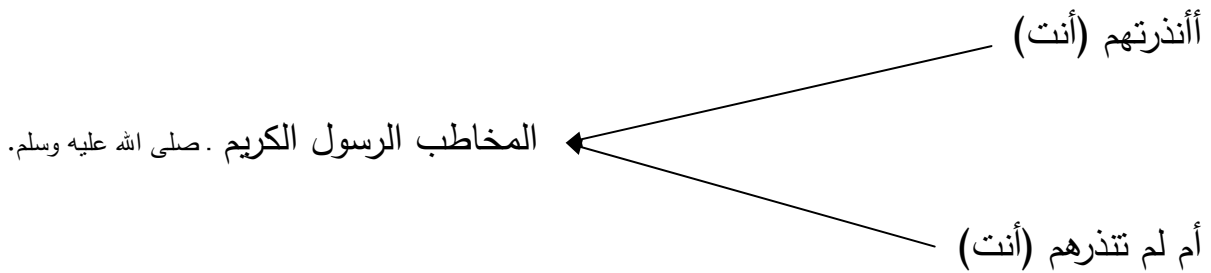
² . ينظر : المرجع نفسه ، الفصل الثالث : نقض مزاعم المستشرقين في الوحي ، ص : 139 وما بعدها .

ما يتصف به من التعنت وعدم قبول الحق ، ثم بينت شيئاً من أحوالهم وعرجت على ذكر مصيرهم.

وهذا الشكل يوضح هذه الإحالات :



كما نجد الإحالة المقامية في قوله (أنذرتهم) و(أم لم تنذرهم) حيث يحيل الضمير (أنت) المتصل في الأول والمستتر في الثاني على شخص الرسول الكريم . صلى الله عليه وسلم . إذ هو المعني بالخطاب ، فكلتا الإحالتين تحيل إلى خارج النص على النحو التالي :



وفي هاتين الآيتين إبلاغ من الله لعباده بحقيقة صنف من الناس ، وهم أهل العناد والمكابرة الذين لا تنفع معهم حجج ولا أدلة ، فهم يبصرون الحق ويتعامون عنه ، ويسمعون نداءه في أنفسهم وفي الآفاق ويصمون آذانهم ، إن هؤلاء أغلقوا منافذ الاهتداء والحكمة ، ولذلك لا ينفع معهم إنذار ، فسواء أُنذرتهم الرسول أم لم ينذرتهم فإن ذلك لا يجدي ، لأنهم قطعوا عن أنفسهم طريق الهداية ، وفي هذا إرشاد وتوجيه للمؤمنين بأن لا يقع منهم طمع في إيمان المكابرين ، كما أنه تحذير للعباد حتى لا يسدوا عن عقولهم منافذ التبصر والتدبر.

1 . 2 . 2 . إبلاغية الاستبدال في سورة البقرة :

الاستبدال (substitution) عملية من عمليات الترابط النصي ، تتم داخل النص على المستوى النحوي المعجمي ، بين كلمات أو عبارات من النص ، حيث يتم تعويض عنصر في النص بعنصر آخر ، وهو يعد مصدرا أساسيا من مصادر اتساق النصوص¹.

وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع²:

1 . استبدال اسمي (nominal substitution) ويتم باستخدام عناصر لغوية اسمية مثل :
(آخر ، أخرى ، آخرون ، نفس ...).

2 . استبدال فعلي (verbal substitution) ويمثله استخدام الفعل (يفعل) مثل : هل تظن أن الطالب المكافح ينال حقه ؟ أظن أن كل طالب مكافح يفعل . فكلمة (يفعل) فعلية استبدلت

¹ . ينظر : بخولة ، بن الدين . الاتساق والانسجام النصي الآليات والروابط ، ص : 18 . كما ينظر أيضا : خطابي ،

محمد . لسانيات النص ، ص : 19 .

² . ينظر : عفيفي ، أحمد . نحو النص ، ص : 123 وما بعدها .

ب (ينال حقه).

3 . استبدال قولي (clausal substitution) حيث يتم استبدال كلمة بقول مثل قوله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ ﴾ [الكهف : 64] ، فإن كلمة (ذلك) جاءت بدلا من الآية السابقة عليها

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ﴾ [الكهف : 63] .

وهذه نماذج للاستبدال في سورة البقرة ، نبين دورها في التماسك النصي ، وما تضمنته

من القيم الإبلاغية :

1 . يقول الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ

الهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ

أُخْرَى ﴾ [البقرة : 185] .

هذه الآية الكريمة في بيان بعض أحكام صيام رمضان ، والصيام هو « الإمساك عن

شهوتي البطن والفرج ، وما في حكمهما من اتباع هوى النفس كالمكيفات من شرب الدخان

وغيره ، وهو أي صوم رمضان واجب بالكتاب والسنة والإجماع »¹ ، ونجد الاستبدال

الاسمي (nominal substitution) في كلمة (أخر) أي فمن كان منكم مريضا أو مسافرا

فأفطر في رمضان ، فعليه (عدة) أي صيام عدد ما أفطر من رمضان للمرض أو السفر(من

¹ . الجعلي ، عثمان بن حسنين بري . سراج السالك شرح أسهل المسالك ، دار الفكر ، (دط) ، لبنان ، 1420 هـ .

أيام (أخر) أي من أيام غير رمضان قضاء عما أفطر في رمضان¹ ، فكلمة (أخر) استبدلت من أيام رمضان التي أفطرها. وعلى هذا يتحقق الربط بين آخر الآية وما سبقها.

وقد تضمنت الآية قيما إبلاغية هي :

1 . التتويه بفضل رمضان حيث فضله الله بإنزال القرآن الكريم فيه ، وجعله موسما للصيام وهو من الأركان التي بني الإسلام عليها ، فقد جاء في الصحيحين عن ابن عمر . رضي الله عنهما . قال سمعت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يقول : « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان »².

2 . يبلغنا الخطاب أن القرآن الكريم أنزل لهداية الناس فكل من أخذ به هدي إلى صراط مستقيم.

3 . يبلغنا الخطاب بوجوب صوم رمضان لمن كان حاضرا صحيحا ، والترخيص للمريض والمسافر بالإفطار ، ثم قضاء أيام أخرى بدل الأيام التي أفطرها وهذا من سعة رحمة الله.

لقد مر بن نموذج للاستبدال الاسمي (nominal substitution) ، وهذا نموذج للاستبدال الفعلي (verbal substitution) :

¹ . ينظر : الهري ، محمد الأمين . حدائق الروح والريحان ، م : 3 ، ص : 153 . 154.

² . ينظر : عبد الباقي ، محمد فؤاد . اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، دار إحياء الكتب العربية ، (دط) ، مصر ،

(دت) ، ص : 4.

2 . يقول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا

شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ

وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ [البقرة : 23 . 24] .

في هذه الآية استبدال فعلي (verbal substitution) حيث استبدل الفعل (فأتوا) والفعل

(وادعوا) بالفعل (تفعلوا) في قوله ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴾ .

قال القاسمي : « ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴾ أي ما أمرتم به من الإتيان بالمثل بعد ما بذلتم في

السعي غاية المجهود ¹ .

وقد تضمنت الآية قيما إبلاغية وهي :

1 . إثبات نبوة محمد . صلى الله عليه وسلم . وأن القرآن الكريم كله من عند الله تعالى ،

وليس لمحمد . صلى الله عليه وسلم . سوى الإبلاغ ، وقد تحداهم أن يأتوا بسورة من مثل هذا

القرآن ، أو من مثل هذا الرسول الأُمِّي ² ، إن كانوا صادقين فيما يدعون .

2 . تحدى القرآن العرب وغيرهم ، ولا يزال يتحدى ، ومنذ أن نزل القرآن الكريم إلى يوم

الناس هذا وإلى أبد الآبدين ، لم يثبت . ولن يثبت . أن أحدا استطاع أن يأتي بسورة من مثل

سور القرآن الكريم ، وهذا غاية في التحدي والإعجاز .

¹ . القاسمي ، جمال الدين . محاسن التأويل ، ج : 2 ، ص : 73 .

² . ينظر : ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج : 1 ، ص : 108 .

3 . تضمن الخطاب إبلاغا تحذيريا شديدا لمن لم يؤمن بهذا الوحي ، بأنه سيكون وقودا
تسعر به الجحيم ، وهذا في غاية الترهيب والتخويف.

وهذا نموذج للاستبدال القولي (clausal substitution) :

3 . يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تُسْكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّعُنْدُوهُنَّ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة :

. [231]

في هذه الآية الكريمة استبدال قولي (clausal substitution) حيث استبدل ﴿ وَلَا

تُسْكُوهُنَّ ضِرَارًا ﴾ بـ ﴿ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾ قال ابن كثير : « كان الرجل يطلق المرأة ، فإذا قاربت

انقضاء العدة راجعها ضرارا ، لئلا تذهب إلى غيره ، ثم يطلقها فتعتد »¹.

وفي التفسير المنير : « ومن يفعل هذا الفعل الممنوع وهو الإمساك على سبيل الإضرار

والعدوان فقد ظلم نفسه »².

وقد تضمن الخطاب قيما إبلاغية هي :

1 . يبلغنا الخطاب بحرمة الإضرار بالآخرين ، والمخصوص بالذكر في الخطاب المرأة ،

التي كان يقع عليها ظلم كبير فمنع الله ذلك ، وأمر بالإمساك بالمعروف أو التسريح

بإحسان.

2 . يبلغنا الخطاب أن الشرع الحكيم يوجب بناء العلاقة الزوجية بناء صحيحا سليما بعيدا

¹ . ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج : 1 ، ص : 475.

² . الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير ، م : 1 ، ج : 2 ، ص : 722.

عن التلاعب ؛ لأن الأصل في الزواج أن يكون للسكن والاطمئنان لا للضرر والإضرار.

3. يبلغنا الخطاب أن الإسلام صان حقوق المرأة ، وخاصة تلك المتعلقة بالأسرة ، وضبط

ذلك ضبطا دقيقا ، حتى لا تكون المرأة ضحية التعسف والظلم.

1. 2. 3. إبلاغية الحذف في سورة البقرة :

جاء في (معجم المصطلحات الألسنية) المادة 760 : « إيجاز الحذف ويتم بحذف كلمة

واحدة أو أكثر من جملة دون الإضرار بالاتصال اللغوي مع وجود قرينة تبين المحذوف »¹.

ويقول دي بوجراند : « الحذف ellipsis وهو استبعاد العبارات السطحية التي يمكن

لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعمل بواسطة العبارات

الناقصة »².

والحذف هو إسقاط عنصر من عناصر التركيب ولا يكون ذلك إلا إذا كان ما بقي من

العناصر بعد الحذف كافيا في أداء المعنى³.

ويرى (هاليداي ورقية حسن) أن الحذف لا يختلف عن الاستبدال إلا بكون الحذف

استبدالاً بالصفير أي إن علاقة الاستبدال تترك أثراً ، وهو وجود أحد عناصر الاستبدال ،

بينما علاقة الحذف لا تخلف أثراً إذ لا يحل محل المحذوف شيء⁴.

¹. مبارك ، مبارك . معجم المصطلحات الألسنية ، دار الفكر اللبناني ، ط : 1 ، لبنان ، 1995 ، ص : 94.

². دي بوجراند ، روبرت . النص والخطاب والإجراء ، ص : 301.

³. ينظر : عفيفي ، أحمد . نحو النص ، ص : 125.

⁴. ينظر : خطابي ، محمد . لسانيات النص ، ص : 21.

ويقسم (هاليداي ورقية حسن) الحذف إلى أقسام هي :

1 . الحذف الاسمي (nominal ellipsis) ويقصد به حذف اسم داخل المركب الاسمي مثل :

أي قميص ستشتري ؟ هذا هو الأفضل ؟ أي هذا القميص .

2 . الحذف الفعلي (verbal ellipsis) أي إن المحذوف يكون عنصرا فعليا مثل :

. ماذا كنت تتوي ؟

. السفر . أي أنوي السفر .

3 . الحذف داخل ما يشبه الجملة (clausal ellipsis) مثل :

. كم ثمن هذا القميص ؟

. خمسة جنيهات¹ .

وقد تناول علماء العربية الحديث عن الحذف ، ومنهم الجرجاني حيث يقول : « القول

في الحذف : هو باب دقيق المسلك ، لطيف المآخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك

ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجذك أنطق ما

تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين² .

وهذه نماذج للحذف في سورة البقرة مع ما تضمنت من القيم الإبلاغية :

1 . يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾

¹ . ينظر : عفيفي ، أحمد . نحو النص ، ص : 127 .

² . الجرجاني ، عبد القاهر . دلائل الإعجاز ، تح : محمود محمد شاكر ، شركة القدس ، ط : 3 ، مصر ، 1413 هـ .

1992م ، ص : 146 .

في هذه الآية حذف اسمي (nominal ellipsis) حيث حذف المفعول الثاني لـ ﴿ اَتَّخَذْتُمْ ﴾ ، قال ابن عاشور : « وحذف المفعول الثاني لاتخذتم لظهوره وعلمهم به ولشناعة ذكره ، وتقديره : معبودا أو إلها ¹ ، وقد اتخذ بنو إسرائيل العجل إلها تشبها بالكنعانيين وهم الفنيقيون سكان سواحل بلاد الشام ، وكانوا عبدة أوثان ، وكان العجل مقدسا عندهم ، وهم أمة سامية ² .

وفي هذا الخطاب قيم إبلاغية هي :

1 . في الخطاب إبلاغ بخطورة أن يتحول الموحد مشركا ، وهذا ما فعل بنو إسرائيل ، فالخطاب يذكرهم بجرمهم القديم ، الذي ارتكبوه عندما ذهب موسى لمناجاة ربه ، حيث اتخذوا العجل إلها ، وهم كانوا في مصر ملازمين لوصية إبراهيم ويعقوب بلزوم التوحيد ، فانتقلوا انتقالا عجيبا إلى الشرك ³ .

وقد فعلوا ذلك متأثرين بالكنعانيين الوثنيين ، وهذا أمر شنيع أن يتحول الموحد عن التوحيد ، وينزل إلى درك الشرك ، فيعبد عجلا بعد أن عرف الحق وعبد الله.

2 . في الخطاب إبلاغ للمسلمين عن بعض طبائع اليهود ، ليعرفوا كيف يتعاملون معهم ، فيبيلعنا الخطاب عن تقلب هذا النوع من البشر وعدم وفائهم ، إذ لم يطل غياب موسى في

¹ . ابن عاشور ، محمد الطاهر . التحرير والتنوير ، ك : 1 ، ق : 2 ، ص : 500 .

² . ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

³ . ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

المناجاة . أربعين ليلة . ولكنهم لم يصبروا حتى يعود إليهم بالشرعية ، فعبدوا العجل ؛ وقد ألمح ابن عاشور إلى أن استعمال القرآن (من) في قوله ﴿ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ للدلالة على أنهم نقضوا الأمانة بعد وقت يسير من ذهاب موسى¹ ؛ وهذا يدل على خطورة التعامل مع هذا الصنف المتقلب من الناس الذين لا يدوم لهم عهد ولا يطول لهم وفاء.

2 . يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَاَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة : 60] .

في هذه الآية حذف فعلي (verbal ellipsis) حيث حذف الفعل (ضرب) والتقدير « فضرب فانفجرت »².

قال ابن كثير : « يقول الله تعالى : واذكروا نعمتي عليكم في إجابتي نبيكم موسى عليه السلام حين استسقاني لكم وتيسيري لكم الماء وإخراجه لكم من حجر معكم وتفجيري الماء منه في اثنتي عشرة عينا لكل سبط من أسباطكم عين قد عرفوها فكلوا من المن والسلوى واشربوا من الماء الذي أنبعته لكم من غير سعي منكم وابدوا الذي سخر لكم ذلك »³.

¹ . ينظر : ابن عاشور ، محمد الطاهر ، التحرير والتنوير ، ك : 1 ، ق : 2 ، ص : 499 .

² . ينظر : أبو حيان ، محمد بن يوسف . البحر المحيط ، ج : 1 ، ص : 390 .

³ . ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج : 1 ، ص : 177 .

وفي الآية كذلك حذف اسمي (nominal ellipsis) في قوله ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ والتقدير

على ما ذكر ابن كثير : كلوا (من المن والسلوى) واشربوا (من الماء)¹.

ومما تضمنه الخطاب من القيم الإبلاغية أن فيه إبلاغ عن عظيم قدرة الله تعالى الذي جعل الحجر ينفجر بالماء ليرتوي بنو إسرائيل ، وما أطعمهم به من شهى الطعام وطيبه من المن والسلوى ، وكل ذلك من دلائل قدرة الله تعالى وعظمته ، مما يزيد المؤمنين إيماننا بربهم العظيم ، وفي الخطاب إبلاغ بصدق نبوة محمد . صلى الله عليه وسلم . هذا النبي الأمي ما كان له من علم بشؤون بني إسرائيل الخاصة والعامة لولا أنه أوحى إليه ، ففي الخطاب إخبار عن بعض دقائق يوميات بني إسرائيل في سيناء ، فمن الذي أطلع هذا النبي الأمي عن هذه الأمور لولا وحي السماء.

3 . يقول الله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ

عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة : 89] .

في الآية الكريمة حذف جملة (clausal ellipsis) حيث حذف جملة الجواب « فجواب (لما) محذوف ؛ والتقدير : كذبوا واستهانوا بمجيئه ووجدوه ، وصدوا عنه وحاربوه بكل ما استطاعوا من أساليب الغدر والخيانة. كل هذه المعاني أفادها حذف الجواب. ولو ذكر لاقتصر عليه »².

¹ . ينظر : ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج : 1 ، ص : 177.

² . أبو شادي ، مصطفى عبد السلام . الحذف البلاغي في القرآن الكريم ، مكتبة القرآن ، (دط) ، مصر ، (دت) ، ص :

وقال الزمخشري : « وجواب (لما) محذوف وهو نحو : كذبوا به واستهانوا بمجيئه ، وما أشبه ذلك »¹.

وفي الخطاب إبلاغ للمسلمين ، ليعرفوا حقيقة أهل الكتاب الذين كفروا بمحمد . صلى الله عليه وسلم . والكتاب الذي أنزل إليه ، وكانوا قبل نزوله يستتصرون به على أعدائهم ، فينصرهم الله تعالى ، فهذا الكتاب الذي كانوا يستتصرون به لما نزل كفروا به وبالرسول الذي أرسل به ، وهذه إحدى الطباع المتأصلة فيهم ، غدر وخيانة وعدم وفاء وعدم التزام بدين الله تعالى ، كما يتضمن الخطاب إبلاغ تحذير للمسلمين كي لا يقع منهم مثل الذي وقع من أهل الكتاب.

1 . 2 . 4 . إبلاغية الوصل في سورة البقرة :

الوصل مظهر من مظاهر الاتساق النصي ، وهو يختلف عن كل علاقات الاتساق السابقة ، لأنه لا يتضمن إشارة موجهة نحو البحث عن المفترض فيما تقدم أو ما سيلحق مثل الإحالة والاستبدال والحذف².

فالوصل هو تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منتظم ، فالنص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا ، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص³.

¹ . الزمخشري ، جار الله محمود . تفسير الكشاف ، ج : 1 ، ص : 296.

² . ينظر : خطابي ، محمد . لسانيات النص ، ص : 22.

³ . ينظر : المرجع نفسه ، ص : 22.

وينقسم الوصل إلى :

1 . الوصل الإضافي : حيث يتم الربط بالأداتين (و . أو).

2 . الوصل العكسي : ويعني عكس ما هو متوقع ويتم بتعابير مثل : لكن ، غير أن .

3 . الوصل السببي : ويتم هذا الوصل بعبارات مثل : بالتالي ، لهذا السبب ، إذاً ، من أجل هذا ، بسبب ذلك ... إلخ.

4 . الوصل الزمني : ويربط بين جملتين متقاربتين زمانا ، ومن أدواته (ثم)¹ . وهذا التقسيم يعزى إلى (هاليداي ورقية حسن)² .

أما دي بوجراند فقد تكلم عن الوصل وسماه الربط (junction) ، وقال عنه : « وهو يتضمن وسائل متعددة لربط المتواليات السطحية بعضها ببعض بطريقة تسمح بالإشارة إلى العلاقات بين مجموعات من معرفة العالم المفهومي للنص »³ .

ويقسم دي بوجراند الربط (الوصل) إلى أقسام هي :

1 . مطلق الجمع حيث يستخدم في ذلك مثل (الواو ، أيضا ، بالإضافة إلى).

2 . التخيير ، ويستخدم فيه أداة (أو).

3 . الاستدراك ، ويمكن استخدام (لكن ، بل ، مع ذلك).

¹ . ينظر : خطابي ، محمد . لسانيات النص ، ص : 25 ، وبخولة ، بن الدين . الاتساق والانسجام النصي الآليات والروابط ، ص : 22 .

² . ينظر : بخولة ، بن الدين . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

³ . دي بوجراند ، روبيرت . النص والخطاب والإجراء ، ص : 302 .

4 . التفرّيع ، ويستخدم فيه (لأن ، مادام ، من حيث ، ولهذا)¹.

هذا وإن وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل ، وجعل المتواليات متماسكة².

وهذه نماذج من سورة البقرة نتبين فيها أنواعا من الوصل وما تضمنته من القيم

الإبلاغية :

1 . يقول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ

قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿ [البقرة : 3 . 4] .

ذكر الله تعالى في هذه الآيات صفات المتقين من الإيمان بالغيب وإقام الصلاة وإيتاء

الزكاة ، والإيمان بما أنزل الله من الكتب والإيمان بالدار الآخرة³. وقد وصل بين هذه

الصفات بالواو ، وهو من الوصل الإضافي ، كما أنه يدخل في ما سماه دي بو جراند

مطلق الجمع ، وقد ساعد هذا الربط على التماسك بين الجمل.

أما من الناحية الإبلاغية فقد تضمن الخطاب ذكر صفات المؤمنين المتقين لبيانها لمن

يريد الاتصاف بها ، كما أنها تميز المؤمنين عن غيرهم من الأصناف الأخرى ، كالكفار ،

والمنافقين ، وأهل الكتاب ، كما أبلغنا الخطاب أن هذه الصفات لازمة لمن أراد الهدى

والفلاح.

¹ . ينظر : دي بو جراند ، روبرت . النص والخطاب والإجراء ، ص : 302 ، ص : 282 ، وعفيفي ، أحمد . نحو

النص ، ص : 129 .

² . ينظر : خطابي ، محمد . لسانيات النص ، ص : 26 .

³ . ينظر : الجزائري ، أبو بكر جابر . أيسر التفاسير ، م : 1 ، ص : 22 .

2 . يقول الله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ

فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ضُمُّ بَكْمٍ عَنِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَةٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ

يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ [البقرة : 17 . 19] .

في هذا الخطاب نجد الوصل بحرف العطف (الواو) بين :

1 . جملة ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ وجملة ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

2 . الكلمات (ظلمات) ، (رعد) ، (برق) .

3 . جملة ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ وما سبقها .

وهذا الربط من قبيل الوصل الإضافي على تقسيم (هاليداي ورقية حسن) ومن قبيل

مطلق الجمع على تقسيم (دي بو جراند) .

كما نجد الوصل بـ (أو) التي ربطت بين المتلئين :

1 . ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ﴾ _____ (أو) _____ 2 . ﴿ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾

وهو من الوصل الإضافي ، كما أنه يدخل ضمن صنف التخيير عند (دي بو جراند) .

قال أبو السعود : « وهو عطف على الأول على حذف المضاف ... أي كمثل ذوي

صيب ، وكلمة (أو) للإيذان بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه الشبه وبصحة التمثيل

بكل واحدة منهما وبهما معا »¹ .

¹ . أبو السعود ، بن محمد العمادي . تفسير أبي السعود ، ج : 1 ، ص : 91 .

وقد ضرب الله تعالى « هذا المثل للمنافقين لبيان ما يظهرون من الإيمان مع ما يبطنون من النفاق ، لا يثبت لهم به أحكام الإسلام كمثل المستوقد الذي أضاءت ناره ثم طفت¹ . والحرف (أو) في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ « حرف شك لقصد التخيير بين المتلين ، أي مثلهم بهذا أو بهذا »² .

وقد تضمن الخطاب إبلاغا يحذر من النفاق ، حيث بين من خلال المتلين ما يعيشه المنافق من حيرة وقلق واضطراب ، وأنه ليس مرتاحا ولا مطمئنا ، لأن الراحة والاطمئنان لا يكونان إلا في الإيمان .

3 . يقول الله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة : 57] .

في هذا الخطاب استعمل أداة الربط (لكن) وهي تستخدم في الوصل العكسي عند (هاليداي ورقية حسن) ، أما عند (دي بو جراند) فتستعمل للاستدراك ، ومعنى الاستدراك هو تعقيب الكلام على ما يتوهم منه ثبوته أو إثبات ما يتوهم نفيه ، أو هو مخالفة حكم ما بعد (لكن) لحكم ما قبلها³ .

جاء في زهرة التفاسير « أي ما نقصهم سبحانه وتعالى شيئا من أسباب الحياة والقوة والسلطان ، ولكنهم جحدوا شكر ما أنعم الله تعالى به عليهم ، فكفروه ، فكانوا هم الظالمين

¹ . القنوجي ، صديق بن حسن . فتح البيان في مقاصد القرآن ، ج : 1 ، ص : 98 .

² . المرجع نفسه ، ص : 100 .

³ . ينظر : اللبدي ، محمد سمير نجيب . معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، ص : 81 .

لأنفسهم ... وأكد الله سبحانه وتعالى عليهم أنهم هم الظالمون لأنفسهم وذلك بالاستدراك في قوله (لكن) إذ معنى الاستدراك عن ظلم الله تعالى لهم ببيان أن ظلمهم لأنفسهم لا من الله سبحانه وتعالى «¹.

وهكذا تحقق بالوصل العكسي أو بالاستدراك تماسك بين طرفي الآية.

والخطاب يبلغنا بوجوب شكر الله تعالى على نعمه التي يسديها لعباده ، وتحذير من كفران النعم وجحودها. كما في الخطاب إبلاغ عن بعض أحوال أهل الكتاب ، وكيف قابلوا نعم الله بالكفران ، فكان ذلك سببا لزوال ملكهم ونزع الرسالة منهم لتحملها أمة أخرى.

4 . يقول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ

الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة : 275] .

في هذا الخطاب استعمل ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ﴾ التي تفيد السبب للربط بين طرفي الكلام ؛ فكان قائلا يقول : لماذا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ؟ فيقال له

جوابا : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا ﴾ أي : « لا يقومون من المس الذي بهم بسبب أكلهم الربا »².

وفي الخطاب إبلاغ بشناعة الربا ، وتحذير من التهاون به ، وبيان لخطورة عاقبته. كما تضمن الخطاب إبلاغا بحرمة التلاعب بدين الله ، فالله وحده سبحانه هو الذي يحل ويحرم وليس ذلك للعباد في شيء ، وما على العباد إلا الاستجابة والإذعان.

¹ . أبو زهرة ، محمد . زهرة التفاسير ، م : 1 ، ص : 240.

² . أبو السعود ، بن محمد العمادي ، تفسير أبي السعود ، ص : 412.

5 . يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : 126] .

في هذه الآية الكريمة وصل زمني ، حيث استعمل أداة الربط (ثم) ، وقد ربطت بين

قوله تعالى : ﴿ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ﴾ أي في الدنيا وقوله تعالى : ﴿ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ﴾ أي في

الآخرة ، فتحقق التماسك بين الجملتين .

قال ابن كثير : « وقوله ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ أي ثم ألجئه بعد

متاعه في الدنيا وبسطنا عليه من ظلها إلى عذاب النار وبئس المصير . ومعناه أن الله

ينظرهم ويمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر »¹ .

وفي الخطاب إبلاغ تحذير للذين يزعمون النسبة إلى إبراهيم ، ولا يعملون العمل الصالح

الذي يرضي الله تعالى . فكونهم من سلالة إبراهيم ، أو على صلة بنسبه ، ولم يكونوا على

ملته ، فذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً . فكل من كفر بالله تعالى فإنه ينال نصيبه من

الدنيا ، ثم إذا كانت القيامة أخذه الله بالعذاب الأليم نظير كفره ، فما ينال به الإنسان الثواب

في الآخرة هو الإيمان والعمل الصالح المفضي إلى رضوان الله تعالى .

1 . 2 . 5 . إبلاغية التكرار في سورة البقرة :

التكرار ، ويسمى إعادة اللفظ (récence) وهو شكل من أشكال الاتساق المعجمي .

ويتطلب التكرار إعادة عنصر معجمي أو وجود مرادف له أو شبه مرادف ، وهذا التكرار

¹ . ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج : 1 ، ص : 301 .

يصنع ترابطاً بين أجزاء النص¹.

وصور التكرار متنوعة وهي :

1 . التكرار الكلي وهو نوعان :

أ . التكرار مع وحدة المرجع (المسمى واحد).

ب . التكرار مع اختلاف المرجع (المسمى متعدد).

2 . التكرار الجزئي ؛ ويقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه ولكن بشكل آخر.

3 . المرادف.

4 . شبه التكرار ، ويتحقق في مستوى التشكل الصوتي وهو أقرب إلى الجناس الناقص.

5 . تكرار لفظ الجملة².

وهذه نماذج للتكرار في سورة البقرة ، وما تضمنته من القيم الإبلغية :

1 . يقول الله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ أُمَّةٌ

بِهِ ثُمَّ أَقْلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة : 79] .

قال ابن كثير : « الويل : الهلاك والدمار »³ . وفي الآية الكريمة تكرار لفظة (ويل)

ثلاث مرات للتوبيخ والتقريع وتقبيح جريمتهم وهي التحريف⁴.

¹ . ينظر : عفيفي ، أحمد . نحو النص ، ص : 106 .

² . ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

³ . ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج : 1 ، ص : 205 .

⁴ . ينظر : الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير ، م : 1 ، ج : 1 ، ص : 221 .

وهذا التكرار من نوع التكرار الكلي ، حيث تكررت كلمة (ويل) مع وحدة المرجع ، وهذا من أدوات التماسك النصي ، إذ ساعد هذا التكرار على الربط بين أجزاء الآية.

وقد تضمن الخطاب إبلاغا بخطورة تحريف الدين وتبديله ، وأخذ الرشا في مقابل ذلك ، كما يدل تكرار (ويل) على النقمة والسخط الشديد على هذا العمل المشين وأصحابه.

2 . يقول الله تعالى : ﴿ يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ

فَأَرْهَبُونَ ﴾ [البقرة : 40] . ويقول الله تعالى : ﴿ يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي

فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة : 47] .

لقد وقع تكرار في هاتين الآيتين لقوله تعالى : ﴿ يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ

عَلَيْكُمْ ﴾ .

قال ابن عاشور : « أعيد خطاب بني إسرائيل بطريق النداء مماثلا لما وقع في خطابهم الأول قصد التكرير للاهتمام بهذا الخطاب وما يترتب عليه »¹ . ثم أضاف قائلا : « وللتكرير هنا نكتة جمع الكلامين بعد تفريقها »² .

وقال أبو السعود : « كرر التذكير للتأكيد ولربط ما بعده من الوعيد الشديد به »³ .

إن هذا التكرار من نوع تكرار الجملة ، وقد وقع به الربط بين النداء الأول والنداء الثاني كما

¹ . ابن عاشور ، محمد الطاهر . التحرير والتنوير ، ك : 1 ، ق : 2 ، ص : 482 .

² . المرجع نفسه ، ص : 483 .

³ . أبو السعود ، بن محمد العمادي . تفسير أبي السعود ، ج : 1 ، ص : 170 .

أنه تأكيد لما في النداء الأول.

ويتضمن الخطاب إبلاغا لبني إسرائيل ليتذكروا نعمة الله على أسلافهم ، وكيف اختارهم الله تعالى لا لجنسهم كما يزعمون ، ولكن للتوحيد الذي كانوا عليه ، بينما كل الأمم المحيط بهم في ذلك الزمان ، كالمصريين والرومان واليونان والفرس والكنعانيين وغيرهم ، كانوا وثنيين يعبدون الأصنام والكواكب ، إلا بني إسرائيل فإنهم خصوا بالأنبياء والرسالة والتوحيد¹. وهذا التفضيل مدعاة لشكر الله تعالى الذي اختارهم وفضلهم ، وإن من شكر الله تعالى أن يؤمنوا برسوله . صلى الله عليه وسلم . ويتبعوه ويطيعوه.

3 . يقول الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا

عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة : 201] .

في الآية تكرار كلي مع اختلاف المرجع ، فاللفظ واحد ، والمسمى مختلف ، وذلك في لفظة (حسنة) في (الدنيا) ، و(حسنة) في (الآخرة) ، فإن « حسنة الآخرة الجنة بإجماع »². أما حسنة الدنيا فقد قيل فيها جملة من الأقوال ذكرها ابن عطية وهي : العافية والصحة وكفاف المال ، والعلم والعبادة ، والمرأة الحسناء. ثم قال ابن عطية : « واللفظة تقتضي هذا كله وجميع محاب الدنيا »³. ولما اختلف المعنى واتحد اللفظ كان هذا التكرار من نوع التكرار الكلي مع اختلاف المرجع.

¹ . ينظر : أبو زهرة ، محمد . زهرة التفاسير ، م : 1 ، ص : 222 .

² . ابن عطية ، عبد الحق بن غالب . المحرر الوجيز ، ج : 1 ، ص : 277 .

³ . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

وقد تضمن النص إبلاغا توجيهيا ، حيث بين في الآية السابقة أن من الناس من همه الدنيا فقط ، ولا يبالي بالآخرة ، والآخرة خير وأبقى ، ولكن ﴿ وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ [البقرة : 200] . أما الموفقون فهم الذين يرجون الحسنتين معا ، فيسألون حسنة الدنيا وحسنة الآخرة ، وهذا الذي يوجه إليه القرآن ، فيرغب المؤمنين في الحرص على الآخرة لأنها خير وأبقى ، ولا يمنعهم من طلبه حسنة الدنيا ، وذلك من الاعتدال الذي أسس له القرآن الكريم والسنة النبوية ، لا غلو ولا تقصير ، لا إفراط ولا تفريط .

1 . 2 . 6 . إبلاغية التضام في سورة البقرة :

يعد التضام (collocation) من وسائل الاتساق النصي المعجمي ، وهو يعني توارد زوج من الكلمات نظرا لارتباطهما بعلاقة ما .

والعلاقات التي تحكم التضام متنوعة وهي¹ :

1 . التضاد مثل (ميت / حي) ، (متزوج / أعزب) ، (ذكر / أنثى) ، ومنه ما يتسم بعلاقة العكسية مثل : (باع / اشترى) ، (زوج / زوجة) ، ومنه التضاد الاتجاهي مثل : (أعلى / أسفل) ، (يأتي / يذهب) .

2 . التناظر : مثل العلاقة بين الكلمات (خروف ، فرس ، قط ، كلب) بالنسبة لكلمة حيوان .

3 . علاقة الجزء بالكل : كعلاقة اليد بالجسد .

وهذه العلاقات تخلق في النص ما يسمى بالتضام ، فتصنع تماسكا نصيا بدلالاتها

¹ . ينظر : عفيفي ، أحمد . نحو النص ، ص : 114 .

وقد وقع التضام في سورة البقرة في آيات كثير منها :

1 . يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ ۚ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تُؤْمِنُ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا أُعْجَبَتْكُمْ أَوْلِيَّتِكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۚ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة : 221] .

في هذه الآية نجد التضام بين (مؤمن / مشرك) ، (مؤمنة / مشركة) ، (مؤمن / مؤمنة) ، (مشرك / مشركة) ، (أمة / عبد) ، (الجنة / النار) ، (المشركين / المشركات) ، وهذا التضام ساعد على اتساق النص وتماسك أجزاء الآية.

وجاء في التفسير الوسيط في معنى هذا النص الكريم : ولا تتزوجوا المشركات حتى يؤمن ، فنكاحهن . وهن مشركات . حرام لا ينعقد ، ويعتبر وطؤها زنى ، ولأمة مؤمنة يتزوجها المسلم خير من مشركة حرة كانت أم أمة ، ولو أعجبتكم لجمال أو مال أو حسب ، والآية تقرر أن المرأة المملوكة الرقيقة إذا آمنت رفعها إيمانها فوق المشركة . والمراد بالمشركين في الآية الكفار مطلقا ، سواء كانوا يعبدون غير الله ، أو من أهل الكتاب ، أو لا يدينون بدين ، والآية تحرم تزويج المؤمنات . حرائر كن أو إماء . بكفار على أي دين كانوا . وقد وجه النهي عن إنكاحهن إلى الأولياء ، مما يدل على أنه لا يجوز عقد النكاح إلا بولي . وقد علل القرآن هذا النهي بأن هؤلاء المذكورين من المشركين والمشركات يدعون إلى الكفر

المؤدي إلى النار ، أي فلا تصاهروهم حتى لا يفتنوكم ويفتنوا ذريبتكم¹.

وفي هذا إيلاغ بأهمية الدين وضرورته للحياة الاجتماعية ، فحياة الناس الخاصة منها والعامة لا تصلح إلا إذا أقيمت على تعاليم الدين.

2 . يقول الله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَنْتُمْ

الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ [البقرة : 187] .

في هذا النص نجد التضام بين الكلمات (كلوا / اشربوا) ، (الأبيض / الأسود) ، (الفجر / الليل). وفيه إيلاغ تعليمي بتحديد وقت الصوم والفرط خلال شهر رمضان.

قال المراغي : « أي ويباح لكم الأكل والشرب والمباشرة عامة الليل حتى يظهر بياض النهار من سواد الليل ، ويتبين بطول الفجر الصادق ... ثم استمروا في صيامكم إلى ابتداء الليل بغروب قرص الشمس »² ، وهذا أمر تعبد الله به عباده ، وفيه تعليم بكيفية التعامل مع الوقت ، وتعليم للانضباط وعدم التسبب إذ فيه « تعويد الأمة النظام في المعيشة ، فهم يفطرون في وقت واحد ، لا يتقدم واحد على آخر »³.

إن ما مر بنا ما هو إلا نماذج للاتساق النصي في سورة البقرة ، وهي نماذج يقاس عليها غيرها وهو كثير ، مما يدل على تماسك النص القرآني ، وتحقق معيار الاتساق فيه ، وهو من المعايير السبعة للنصية ، وقد انصب الاهتمام على القيم الإبلاغية في النصوص

¹ . ينظر : مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . التفسير الوسيط ، ص : 360 . 361 .

² . المراغي ، أحمد مصطفى . تفسير المراغي ، ج : 2 ، ص : 79 .

³ . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

2 إبلاغية الانسجام في سورة البقرة :

1.2. تعريف الانسجام :

1.1.2. تعريف الانسجام لغة :

جاء في لسان العرب : « سجت العين الدمع والسحابة الماء تسجّمه وتسجّمه سجما وسجوما وسجمانا ، وهو قطران الماء وسيلانه ، قليلا أو كثيرا ... وانسجم الدمع والماء ، فهو منسجم ، إذا انسجم ، أي انصب ، وسجت السحابة مطرها تسجيما وتسجاما إذا صبته يقال : دائما تسجامها ... وأسجت السحابة : دام مطرها »¹.

من خلال هذا التعريف نخلص إلى أن مفهوم الانسجام يدور على معان هي : الانصباب ، والسيلان ، والدوام ، وهذا يوحي بالاستمرارية والتتابع مما له علاقة وطيدة بمفهوم الانسجام الاصطلاحي.

2.1.2. تعريف الانسجام اصطلاحا:

جاء في القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان عند الكلام عن الانسجام ما نصه : « إنه لا يتعلق بمستوى التحقق اللساني ، ولكنه بالأحرى بتصور المتصورات التي تنظم العالم النصي بوصفه متتالية تتقدم نحو نهاية »².

¹ . ابن منظور ، محمد بن مكرم . لسان العرب ، ص : 1947.

² . ديكر ، أوزوالد وجان ماري سشايفر . القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، ص : 541.

وعبر عنه دي بو جراند بالالتحام coherence فقال : « وهو يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي conceptual connectivity واسترجاعه ، وتشتمل وسائل الالتحام على :

- 1 . العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص .
- 2 . معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف .
- 3 . السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية ¹ .

ويذكر الدكتور محمد العبد في كتابه (النص والخطاب والاتصال) جملة من التعريفات للانسجام الذي يسميه الحبك ، فينقل عن (سوفنسكي) قوله : « يقضى للجمل والمنطوقات بأنها محبوكة ، إذا اتصلت بعض المعلومات فيها ببعض ، في إطار نصي أو موقف اتصالي ، اتصالا لا يشعر معه المستمعون أو القراء بثغرات أو انقطاعات في المعلومات»² .

وينقل محمد العبد تعريفا لـ (ليفاندوفسكي) يقول فيه : « ليس الحبك محض خاصة من خواص النص ، ولكنه أيضا حصيلة اعتبارات معرفية (بنائية) عند المستمعين أو القراء »³ .
وبعد أن ذكر الدكتور العبد مجموعة من التعريفات لخصها قائلا : « تدل الحدود السابقة

¹ .دي بو جراند ، روبرت . النص والخطاب والإجراء ، ص : 103 .

² . العبد ، محمد . النص والخطاب والاتصال ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، ط : 1 ، مصر ، 1426 هـ .

2005م ، ص : 91 .

³ . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

مع غيرها على أن الحبك في جوهره تنظيم مضمون النص تنظيما دلاليا منطقيا. تسلسل المعاني والمفاهيم والقضايا على نحو منطقي مترابط هو أس حبك النص والنص الذي يوصف بأنه لا معنى له هو النص الذي لا يستطيع مستقبلوه أن يعثروا فيه على مثل هذا التسلسل»¹.

أما جميل عبد المجيد فيتحدث عن الانسجام بأنه « يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص textual world ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم concepts والعلاقات relation الرابطة بين هذه المفاهيم »².

بعد نقلنا لهذه التعريفات نخلص إلى أن الانسجام متعلق بالجانب الدلالي للنص ، ويبحث في تعالق أجزاء النص دلاليا ، بحيث تتحقق الاستمرارية الدلالية في النص من أوله إلى آخره دون انقطاع أو ثغرات.

وعلى هذا فإن بحثنا في إيلاغية الانسجام في سورة البقرة سيتدرج عبر مراحل في جملة من النقاط هي :

1 . اسم السورة أو عنوانها وعلاقته بمضمونها.

2 . موضوع السورة وفيه نبحت عن :

ا . الموضوع المحوري.

¹ . العبد ، محمد . النص والخطاب والاتصال ، ص : 92.

² . عبد المجيد ، جميل . البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (دط) ، مصر ،

1998م ، ص : 141.

ب . الموضوعات الفرعية.

3 . العلاقات الداخلية ، وفيه نتناول ما بين أجزاء السورة وموضوعاتها من العلاقات التي

تجعل الأجزاء كلا متكاملًا.

4 . العلاقات الخارجية ، ونبحث فيه عن العلاقات بين السورة وغيرها من السور.

2 . 2 . إبلاغية أدوات الانسجام في سورة البقرة :

2 . 2 . 1 . اسم السورة (عنوانها):

سميت السورة الكريمة (سورة البقرة) وهو اسم توقيفي ثبت عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . جاء في كتاب فضائل القرآن للفرياني : عن أبي هريرة . رضي الله عنه . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر فإن الشيطان ليفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة »¹.

ولما كانت التسمية توقيفية ثابتة عن النبي . صلى الله عليه وسلم . فإننا يمكننا اعتماد التسمية عنوانا للسورة ، ويمكننا أيضا أن نبحث عن العلاقة بين العنوان ومضمون النص . وللعنوان أهمية كبيرة في فهم النص ، وفي النصوص الحديثة أصبح العنوان ضرورة

¹ . قال المحقق في الهامش : أخرجه الإمام مسلم في صحيحه 6 / 68 ، باب استحباب الناقل في البيت ، وأخرجه النسائي في كتاب فضائل القرآن ، ص : 76 بتمامه والسند نفسه ، وأخرجه أحمد بن حنبل في المسند 2 / 284 بتمامه عن أبي هريرة ، وأخرجه الترمذي في سننه 4 / 232 ، حديث رقم (3037) ، ينظر : الفرياني ، جعفر بن محمد . كتاب فضائل القرآن ، تح : يوسف عثمان فضل الله جبريل ، مكتبة الرشد ، ط : 1 ، السعودية ، 1409 هـ . 1989م ، ص :

ملحة ومطلبا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه في البناء العام للنصوص¹.

وقد احتل العنوان مكانة متميزة في الأعمال الإبداعية الأدبية والدراسات النقدية المعاصرة ، باعتباره عتبة لها علاقات جمالية ووظيفية مع النص ، نظرا لموقعه الاستراتيجي في كونه مدخلا أساسيا لقراءة العمل الأدبي².

ويرى محمد فكري الجزار أن « العنوان للكتاب كالاسم للشيء ، به يعرف وبفضله يتداول ، يشار به إليه ، ويدل به عليه ، ويحمل وسم كتابه ، وفي الوقت نفسه يسمه العنوان . بإيجاز يناسب البداية . علامة ليست من الكتاب جعلت له ؛ لكي تدل عليه »³.

ويقول الدكتور جميل حمداوي : « يعد العنوان من أهم العتبات النصية الموازية المحيطة بالنص الرئيس ، حيث يساهم في توضيح دلالات النص ، واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية إن فهما وإن تفسيراً ، وإن تفكيكا وإن تركيباً . ومن ثم ، فالعنوان هو المفتاح الضروري لسبر أغوار النص ، والتعمق في شعابه التائهة ، والسفر في دهاليزه الممتدة »⁴.

¹ . ينظر: رحيم ، عبد القادر . العنوان في النص الإبداعي أهميته وأنواعه ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر . بسكرة ، العددان : الثاني والثالث ، جانفي . جوان 2008 ، ص : 333.

² . ينظر : مسكين ، حسنية . شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر ، رسالة دكتوراه في الأدب الحديث والمعاصر ، جامعة وهران . السانبا ، كلية الآداب واللغات والفنون ، قسم اللغة العربية وآدابها الجزائر ، بإشراف الدكتور داود محمد ، السنة الجامعية : 2013 . 2014 ، ص : 25.

³ . الجزار ، محمد فكري . العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (دط) ، مصر ، 1998 ، ص : 15.

⁴ . حمداوي ، جميل . السيميوطيقا والعنونة ، مقال منشور على موقع . arabrenewal.info ، بتاريخ : الخميس 27 يناير 2001 ، الساعة : 05 . 01 ، ينظر : <http://www.arabrenewal.info/2010-06-11-14-12-46> .

ثم يضيف قائلاً : « كما أنه الأداة التي بها يتحقق اتساق النص وانسجامه ، وبها تبرز مقروئية النص ، وتتكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة. وبالتالي ، فالنص هو العنوان ، والعنوان هو النص ، وبينهما علاقات جدلية وانعكاسية ، أو علاقات تعيينية أو إيحائية ، أو علاقات كلية أو جزئية...»¹.

والبحت في العنوان يدخل تحت ما يسمى التغريض ، والتغريض في الخطاب « يقوم بالبحث في العلاقة التي تربط موضوعه بالعنوان ، ذلك أن العنوان وسيلة تعبيرية ممكنة عن الموضوع كما أنها أداة إبراز لها قوة خاصة »².

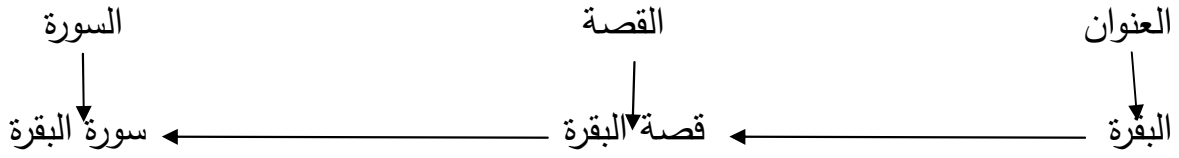
وعلى هذا الأساس فالتغريض « يربط بين العنوان وموضوع الخطاب ، ويجعل الخطاب متماسكا عموديا والعنوان معبرا عن الموضوع ، لأن العنوان هو أول ما يدهم بصيرة القارئ »³.

وحين ننظر إلى عنوان السورة (البقرة) وموضوعها المحوري وموضوعاتها الفرعية ، فسوف نجد ارتباطا وثيقا يجعل العنوان لأول وهلة يحمل إبلاغا ، فالعنوان من بدايته مبلغ عن مضمون السورة وما تحمله من القيم الإبلاغية . فهو مرتبط بالقصة التي ذكرت فيها البقرة ، وتلك القصة ترتبط محوريا بكل أجزاء السورة على الشكل الآتي :

¹ . حمداوي ، جميل . السيميوطيقا والعنونة ، موقع .arabrenewal.info.

² . بوراس ، سليمان . مفهوم الاتساق والانسجام وأشكالهما ، مجلة دراسات أدبية ، ع : 4 ، مركز البصيرة ، الجزائر ، نوفمبر 2009م ، ذو الحجة 1430هـ ، ص : 100.

³³ . بخولة ، بن الدين . الاتساق والانسجام النصي الآليات والروابط ، ص : 38.



إن العنوان يحيل مباشرة إلى تلك القصة المذكورة في ثنايا السورة ، ولذلك لا بد أن نبحث

في القصة وما تضمنت من إيلاغ ، لننظر مدى ارتباطها بمحتويات السورة الكريمة.

يقول أبو زهرة : « وسميت البقرة لأظهر الحوادث التي ذكرتها وأغربها ، وهي بقرة بني

إسرائيل التي لجوا في السؤال عنها ، وما تدل على أخلاقهم من اللجاجة في القول وإرادة

التلبيس في الأمر الواضح البين »¹.

وموجز القصة من خلال آيات السورة هو الآتي :

وقعت جريمة قتل في بني إسرائيل ، زمن موسى . عليه السلام . ولم يعرف القاتل ،

وتدافعوا في القتل ، بحيث صار بعضهم يتهم الآخر بأنه هو القاتل ، ورفعوا الأمر إلى

موسى . عليه السلام . ليحكم بينهم. وأراد الله أن يكشف لهم القاتل بواسطة معجزة مادية

محسوسة ، فأوحى إلى موسى . عليه السلام . أن يأمرهم بذبح بقرة ، أية بقرة كانت ، دون

تحديد لمواصفاتها ، ولو أخذوا أية بقرة فذبحوها لنفذوا الأمر وقاموا بالواجب ، ولكن طبيعة

اليهود في الجدل والتكؤ تأبى ذلك ، فسألوا موسى عن عمر البقرة وعن لونها وعن عملها

فأجابهم ، وبعد هذا اللجاج وجدوا البقرة وذبحوها ، ثم أمرهم موسى . عليه السلام . أن يضربوا

جسد القتيل بجزء منها ففعلوا ، فأحيا الله القتيل ، وأخبرهم عن قاتله ثم مات².

¹. أبو زهرة ، محمد . زهرة التفاسير ، م : 1 ، ص : 76.

². ينظر : الخالدي ، صلاح عبد الفتاح . مع قصص السابقين في القرآن ، ص : 57 . 58.

ذلك هو موجز القصة فلننظر إلى ما تضمنته من القيم الإبلاغية ثم نربط القصة بمضمون السورة ، لنرى مدى ارتباط العنوان (البقرة) بمحتوى السورة.

1 . تبدأ القصة بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ [البقرة : 67] . وهذا النص فيه إيلاغ بأن الأمر هو الله تعالى وليس النبي موسى ، وكذلك إذا جاء الأمر في القرآن الكريم فالأمر هو الله تعالى وليس محمد . صلى الله عليه وسلم . وما محمد إلا مبلغ عن ربه سبحانه ، وفي هذا توجيه للمؤمنين كي يستقبلوا الأوامر التي يؤمرون بها على أنها أوامر إلهية ، وهو تمهيد تربوي لما يأتي في صلب السورة من أوامر وتشريعات ، كالأمر بالإيمان ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والجهاد ، وكالنهى عن المحرمات ، كالمأكولات المحرمة ، وأكل الأموال بالباطل ، والربا ، وكالأمر بإقامة حدود الله فيما يتعلق بالدماء والأسرة وغير ذلك ، كل هذا يوجه إليه الإيلاغ الإلهي بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾ فالأمر أمر الله تعالى ، فلا هو أمر موسى ، ولا هو أمر محمد ، وهذا وجه يربط بين العنوان والقصة والسورة.

2 . في قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ إيلاغ تعليمي تربوي للمؤمنين ، وذلك أن بعض الأوامر الإلهية تخفى فيها علة الحكم¹ ، والحكمة من ورائها ، ويعجز العقل البشري عن إدراكها ، وليس للمؤمنين إلا التسليم للحكمة الإلهية البالغة ، والثقة بأن كل ما يأمر به الإله

¹ . وهو ما يسمى الحكم التعبدى ، قال ابن عاشور معرفا الحكم التعبدى بأنه « ما لا يهتدى إلى حكمته » . ينظر : ابن عاشور ، محمد الطاهر . مقاصد الشريعة الإسلامية ، تح : محمد الطاهر الميساوي ، دار النفائس ، ط : 2 ، الأردن ،

خير وصلاح وإن لم يظهر ذلك للعباد ، فحين يحكم الله بحكم ، ولا تظهر حكمته ، فما على المؤمنين إلا أن يقولوا : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : 285] ، ولا يقولوا كما قالت يهود : ﴿ أَنْتَخِذْنَا هُزُؤًا ﴾ [البقرة : 67] إذ في قولهم هذا تطاول على مقام الألوهية والوحي ، ولو كانوا مؤمنين حقا لقالوا ربنا أعلم بما يأمر أو ينهى ، ولسارعوا إلى التنفيذ ولكن القوم كانوا في شك من أمرهم ، فزعموا أن أمر الله هزء بهم ، ونسبوا ذلك إلى موسى مع أنه قال لهم بداءة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾ ، وهذا إبلاغ للمؤمنين يحثهم على تلقي أوامر الشرع بالقبول والتسليم لا بالشك والجدال والتردد.

3 . يقول الله تعالى على لسان بني إسرائيل : ﴿ قَالُوا أَذُءٌ لَنَا رَبِّكَ ﴾ [البقرة : 68] ، وفي هذا بيان إبلاغي عن نظرة اليهود إلى ربهم ، وفيه دلالة على جهلهم وتمردهم ، حيث لم يقولوا : (ربنا) بل قالوا : ﴿ رَبِّكَ ﴾ ، وكأنهم لا يعترفون ضمنيا بربوبية الله تعالى لهم ، فكأن الله رب موسى فقط وليس بربهم ، والقرآن يكشف لنا حقيقة أسلاف اليهود ، الذين يدعون في كتبهم أنهم شعب الله المختار ، ولكن القرآن يعري حقائقهم ويكشف عن وجوههم الحقيقية ، وفي الخطاب إبلاغ للمؤمنين وتعليم لهم كيف يتأدبون مع ربهم العظيم وكيف يتلقون أوامره بالجد والحزم لا بالتلوي والسخرية ، وفي هذا ترتبط القصة بمضمون السورة التي تربي الإيمان في قلوب المسلمين ليتلقوا أوامر الله تعالى بقلوب راضية مطمئنة.

4 . في تكرار السؤال من اليهود ﴿ اَدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ ، ﴿ اَدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ ... إبلاغ تحذير للمؤمنين كي لا يكثرُوا من المسائل والاختلاف على النبي . صلى الله عليه وسلم . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إنما أهلك الذين من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم»¹ ، وفي هذا تربية للمؤمنين كي لا يستعجلوا أحكام الله تعالى لأن هذه الشريعة سنتم فما عليهم إلا أن يتلبثوا حتى تنزل عليهم أحكام الله ، ولا يفعلوا كما فعل اليهود : أكثرُوا السؤال ثم لم يقوموا بشريعة الله تعالى ، وفي هذا ارتباط بمضمون السورة وما تضمنت من أحكام وتشريعات ، على المجتمع المسلم أن يعمل بها في الواقع لا أن يكتفي بمجرد سؤال .

5 . قوله تعالى على لسان بني إسرائيل : ﴿ قَالُوا أَتَنَجِّتُ بِالْحَقِّ ﴾ [البقرة : 71] ، وهذا القول قاله اليهود لموسى عليه السلام النبي الذي أرسله الله إليهم بالحق ، وأنقذهم به من الذل والاستعباد ، فهل هو كما زعموا ؟ هل هو لم يأت بالحق إلا الآن ؟ وقبل ذلك ألم يأتهم بالحق ؟ أي سلوك فج غريب ؟! إن هذا لا يصدر حتما عن قوم مؤمنين ، فإذا كان هذا قولهم لنبيهم فكيف نتصور تلقينهم للدين والشريعة الإلهية عن طريق هذا الرسول المبلغ عن الله تعالى ، وهذا إبلاغ تحذير للمؤمنين حتى لا يكون إيمانهم برسولهم المبلغ عن الله تعالى كإيمان بني إسرائيل ، وهذا أيضا فيه ربط للقصة بمضمون السورة التي تدعو إلى الإيمان

¹ . حديث صحيح متفق عليه . ينظر : النووي ، يحيى بن شرف الدين . رياض الصالحين ، دار إحياء التراث العربي ، (دط) ، لبنان ، 1403 هـ . 1983م ، باب الأمر بالمحافظة على السنة وآدابها ، ح رقم : 156 ، ص : 68 ، والشامي ، صالح أحمد . الوافي بما في الصحيحين ، دار القلم ، ط : 1 ، سورية ، 1428 هـ . 2007م ، باب ما يكره من كثرة السؤال ، ح رقم : 139 ، ص : 86 .

والعمل بالشرعية والأحكام ، لأن الأساس في تلقي أحكام الله هو الإيمان بالله تعالى وبالرسول المبلغ عنه.

6 . في قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾ [البقرة : 73] توجيه إبلاغي إلى الإيمان بالبعث والنشور ، فالله تعالى أحيا قتيل اليهود بعد ضربه بجزء من البقرة المذبوحة ، وأخبر القتل عن قاتله ثم مات ، وقد رأى اليهود ذلك عيانا ، والإيمان بالبعث والنشور واليوم الآخر ركن الدين ، لا يتم الإيمان إلا به ، وعن هذا الركن يقول الدكتور عبد الله عزام : « وأما الإيمان باليوم الآخر ، فهو كذلك من القواعد المكيئة في هذا الدين ويكون حجر الأساس في كل دين نزل من عند رب العالمين »¹ ثم يردف قائلا : « والحق أن الإيمان بالآخرة هو صمام الأمان على هذه الأرض وهو الضابط الوثيق الذي يحرس الأخلاق والحارس الأمين الذي يضمن تنفيذ الشريعة في هذه الدنيا »². وهذا الجانب من القصة يرتبط بكل ما ذكر في السورة من حديث عن الإيمان باليوم الآخر.

ونخلص إلى أن العنوان يرتبط بهذه القصة ، وهذه القصة ترتبط بموضوعات السورة : . فقد تناولت السورة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وهذا يرتبط ببعض جزئيات القصة . كما تناولت السورة الأوامر والأحكام والتشريعات ، وذلك يتصل ببعض جزئيات القصة كذلك . وتناولت السورة أحكاما معللة بحكمتها ، وأخرى لم تذكر حكمتها ، وطاعة الله واجبة

¹ . عزام ، عبد الله . العقيدة وأثرها في بناء الجيل ، مكتبة الزهراء ، (دط) ، الجزائر ، (دت) ، ص : 37.

² . المرجع نفسه ، ص : 38.

في جميعها ، وهذا ما أشارت إليه القصة. وذكر في القصة معجزة إحياء الميت ، وذلك يرتبط بكل موضوعات السورة لأن الإيمان بالبعث أساس الدين كله.

وعلى هذا نقول إن القصة مرتبطة بالسورة كلها ، وبذلك يكون الغرض من العنوان قد

تحقق لاتباط العنوان بكل موضوعات السورة من خلال القصة ، وهذا الشكل يوضح ذلك :

| العنوان | القصة | السورة |
|---------|--|---|
| البقرة | ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾ | إبلاغ بوجوب توحيد الله تعالى والإيمان به وطاعته والاحتكام إلى شرعه وتلقي أوامره بالقبول. |
| | ﴿ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴾ | إبلاغ بوجوب تلقي أحكام الله بالقبول والإذعان حتى وإن خفيت علينا الحكمة فالله تعالى هو أحكم الحاكمين. |
| | ﴿ قَالُوا ادْعُ لِنَارِكَ ﴾ | إبلاغ توجيه للمؤمنين إلى تعظيم الله تعالى واعتقاد روبيته لجميع الخلق وحاكميته لكل خلقه ، فحكمه الحكم وأمره الأمر. |
| | ﴿ قَالُوا ادْعُ لِنَارِكَ ﴾ | إبلاغ تحذير للمؤمنين من كثرة السؤال وقلة العمل ، وتحفيز لهم على تلقي أحكام الله بالقبول والاستجابة لها دون تكوؤ. |
| | ﴿ قَالُوا أَتَمَنَّ حِجَّتَ بِالْحَقِّ ﴾ | إبلاغ توجيه تربيوي للمؤمنين أن يؤمنوا بالحق الذي جاءهم به الرسول من عند الله ، فوحي الله حقه كله لا ريب فيه . |
| | ﴿ كَذَلِكَ يُعِي اللَّهُ أَلْمَوْتِ ﴾ | إبلاغ إشارة إلى اليوم الآخر والبعث بعد الموت ، ووجوب الأيمان بذلك. |

2.2.2 . إبلاغية الموضوع :

2.2.2.1 . الموضوع المحوري :

الموضوع **theme** : « هو ما يدور حوله الأثر الأدبي سواء أدل عليه صراحة أم ضمنا. ويستعمل هذا المصطلح الآن لدى علماء اللغة بمعنى أضيق هو : الفكرة الجوهرية للمؤلف أو القضية العامة التي يدافع عنها الأثر الأدبي »¹.

إن مصطلح الموضوع **theme** يستعمل لتوصيف الوحدة الدلالية للنص. ويطابق الموضوع مايعبر عنه ب (عم نتحدث ؟) ، وأيا كان طول النص ، فإن النص الذي يفترض أنه منسجم يجب أن يبني تصورا ما وأن يكون قابلا للتلخيص ، هناك من الدارسين من يتحدث في هذا المضمار عن البنية الدلالية الكبرى للدلالة على موضوع النص منظورا إليه من حيث كيانه الكلي ، ولما كانت كل مجموعة من الجمل المكونة لوحدة دلالية ما مرتبطة بموضوع ، فإن النص يحتوي موضوعات على مستويات عديدة ، علما أن المستوى الأخير يفترض أن يتضمن جميع المستويات الأخرى².

إن هذا المستوى الأخير الذي يتضمن المستويات الأخرى هو ما نسميه الموضوع المحوري الذي يشكل حلقة ربط للموضوعات الفرعية التي تتكون منها السورة ، فسورة البقرة سورة طويلة تشتمل على موضوعات كثيرة ومتنوعة ، ولكن هذه الموضوعات لا تعدم رابطا يربط بينها في وحدة كلية شاملة تحقق الانسجام التام في السورة.

¹ . وهبة ، مجدي وكامل المهندس . معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، ط : 2 ، لبنان ، 1984م ، ص : 396.

² . ينظر : مانغو دومينيك . المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، تر : محمد يحياتن ، ص : 131.

إن الموضوع المحوري في سورة البقرة هو موضوع الإيمان : بيان حقيقته ، وتربية النفوس عليه ، وتثبيته وترسيخه في القلوب ، وذلك لأن منطلق العمل من الإيمان ، فإذا تربت عليه النفوس كانت استجابتها للعمل سريعة ، وإذا عدته نفرت من العمل وتلكأت في التطبيق ، ولذلك نجد الاهتمام بالإيمان في سورة البقرة ، بل في القرآن الكريم كله واضحا جليا .

ففي أول السورة نجد الحديث عن الإيمان ضمن الحديث عن صفات المؤمنين وذلك في الخمس آيات الأولى ، ثم يأتي الحديث عن الضد ، الكفار ، وهو حديث ضمني عن الإيمان ، إذ الأشياء تتمايز بأضدادها ، ثم يأتي الكلام عن الصنف المتخبط ، المنافقين ، وهو حديث عن الإيمان بوجه آخر ، وفي كل هذه الآيات يتكرر لفظ الإيمان بصيغ مختلفة مثل : يؤمنون ، يوقنون ، لا يؤمنون ، آما ، وما هم بمؤمنين ، آمنوا كما آمن الناس ، أنؤمن كما آمن السفهاء ، وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا. ثم يتوجه الخطاب إلى الناس جميعا ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة : 21] ، وهذا من صميم الإيمان ، ثم يجيء الحديث عن الإيمان بالكتاب والرسول ، ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ [البقرة : 23] ، ثم يأتي الحديث عن الجنة والنار وما أعد فيهما لأصحابهما ، ثم عن ضرب المثل في القرآن وموقف المؤمنين من ذلك ، ثم يأتي التحذير من الكفر ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : 28] ، وهذا أيضا حديث عن الإيمان ، وتأتي بعد

هذا قصة بدء الخليقة وفيها ذكر للملائكة وإبليس وهو أيضا من مواضع الإيمان ، ثم تأتي قصة بني إسرائيل وما يتخللها من ذكر الإيمان كقوله تعالى : ﴿ وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ ﴾ [البقرة : 41] ، ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ [البقرة : 48] ، وهو حديث عن الإيمان بيوم الجزاء ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة : 55] ، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : 61] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰبِقِينَ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [البقرة : 62] ، ﴿ كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ أَلْمَوْتَى ﴾ [البقرة : 73] ، ﴿ أَنْظِمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ [البقرة : 75] ... إلخ.

وهكذا كلما مضينا في رحاب السورة الكريمة نجد قضية الإيمان ماثلة في كل جزئياتها ومواضيعها ؛ حتى نصل إلى وسط السورة وآية البر ، ثم آخر السورة وقوله تعالى ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [البقرة : 285] ، ولهذا نقول إن الموضوع المحوري في السورة الكريمة هو الإيمان وقضية الإيمان. ولكن لماذا يكون للإيمان في سورة البقرة وغيرها كل هذه العناية ؟

والجواب عن ذلك أن « الإيمان هو الركن الأساسي الذي بدأ الإسلام به في تكوين شخصية المسلم ، لأنه الجذر الأول في بناء شخصيته وهو العنصر الأساسي المحرك لعواطفه والموجه لإرادته ، ومتى صحت عناصر الإيمان في الإنسان استقامت الأساسيات

الكبرى لديه ، وكان أطوع للاستقامة على طريق الخير والرشاد وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه «¹.

إن الدين عقيدة وشريعة وأخلاق ، ولكن مبنى ذلك كله على العقيدة ، فهي الأساس ، يقول الدكتور البوطي . رحمه الله تعالى . : « تتكون البنية الإسلامية من مجموع عناصر ثلاثة هي : العقيدة ، التشريع ، الأخلاق . فالمعنى الإسلامي يتكامل لدى المسلم بالعقيدة الصحيحة إذ تستقر في قلبه ، وابتاع شرعته في سائر معاملاته مع الله ومع الناس ، ثم بالأخلاق الفاضلة إذ يقيم بها علاقاته مع الآخرين ، غير أن عماد ذلك كله إنما هو العقيدة فهو الأساس الأول الذي لا بد منه «².

ويتحدث الأستاذ محمد قطب عن مكانة العقيدة في النص القرآني كله فيقول بأنها هي : « الموضوع الرئيسي في القرآن كله مكيه ومدنيه على السواء ، ولكنها في السور المكية تستغرق المساحة كلها وتستوعب الحديث كله ، بينما هي في السور المدنية أشبه بالتيار الجاري تستتب على شاطئيه الحياة من كل جانب ، لتترعرع وتزدهر بعد أن تشعبت بها النفس ، فتجيء التنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والروحية والفكرية التي تنظم حياة المجتمع المسلم فتشغل معظم المساحة ، ولكنها تجيء مرتبطة بالعقيدة مستمدة منها «³.

¹ . الميداني ، حسن عبد الرحمن حبنكة . العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص : 31.

² . البوطي ، محمد سعيد رمضان . كبرى اليقينيات الكونية ، دار الفكر ، ط : 2 ، سورية ، 1403 هـ ، ص : 70.

³ . قطب ، محمد . دراسات قرآنية ، ص : 21.

ويلخص الأستاذ محمد قطب أثر الإيمان أو العقيدة في حياة الإنسان في جملة من

النقاط هي¹ :

- 1 . عمق الشعور بتقوى الله وخشيته والخوف من حسابه ، ويترتب عنه انضباط السلوك وحساسية الضمير تجاه مسؤولية الإنسان عن أعماله.
- 2 . صدق الجهاد في سبيل الله بالأنفس والأموال ويترتب عن ذلك التمكين لدين الله.
- 3 . تقرير مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويترتب عنه منع انتشار الفساد.
- 4 . تقرير مبدأ التكافل الاجتماعي ويترتب عنه تماسك الأمة وتعاونها على الخير.
- 5 . الوفاء بالمواثيق.
- 6 . تطبيق العدل الرياني في الأرض.
- 7 . التسامح الديني مع الطوائف الأخرى.
- 8 . المحافظة على الأخلاق في المجتمع المسلم.
- 9 . النشاط الحركي الذي نشر الدعوة في أرجاء واسعة من الأرض.
- 10 . الحركة العلمية الضخمة التي قام بها المسلمون بتوجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية.
- 11 . الحركة الحضارية التي امتدت في جميع نواحي الحياة.
- 12 . تحقيق معنى الأمة التي تجتمع على الدين وإن اختلفت اللغة والجنس.

ونخلص من هذا كله إلى أن الإيمان هو الموضوع المحوري في سورة البقرة ، وفي القرآن الكريم كله ، وكل المواضيع الأخرى فإنها تتصل به بوجه من وجوه الاتصال ، وهذا

¹ . ينظر : قطب ، محمد . ركائز الإيمان ، دار الشروق ، ط : 1 ، مصر ، 1422 هـ ، 2001 م ، ص : 437 . 438 .

يؤكد على انسجام السورة في مواضيعها المختلفة ، وارتباط هذه المواضيع مع الموضوع المحوري ارتباطا دقيقا.

2.2.2.2 .الموضوعات الفرعية :

سورة البقرة هي أطول سور القرآن الكريم ، واستمر نزولها تسع سنوات تقريبا ، فقد بدأ نزولها بعد الهجرة ، إذ هي أول ما نزل من القرآن بالمدينة¹ ، واستمر نزولها حتى كان آخر آية من القرآن الكريم من هذه السورة ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 281]².

وفي سورة البقرة موضوعات فرعية كثيرة تبدو للمتأمل أنها موضوعات متفرقة لا يجمعها عقد جامع ، وليس الأمر كذلك.

يقول الأستاذ محمد قطب : « وفيها حشد من الموضوعات المتنوعة أكثر مما حوته أية سورة أخرى من سور القرآن. ولأول وهلة يبدو هذا الحشد مجرد انتقال من موضوع إلى موضوع بغير نظام وذلك الذي يقوله الذين لا يعلمون »³.

ثم يقول الأستاذ بعد هذا : « ولكن السورة رغم طولها ذلك ، ورغم هذا الحشد من الموضوعات ، ذات «تنسيق» دقيق في بنائها ، يربط هذا الحشد كله في رباط

¹ . قال ابن كثير : « والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف وهي أول ما نزل بها » ، ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير

القرآن العظيم ، ج : 1 ، ص : 66.

² . المرجع نفسه ، ص : 558.

³ . قطب ، محمد . دراسات قرآنية ، ص : 277.

فليست السورة إذن تفاريق لا يجمعها جامع ، ولكن « السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله ، وأوله بآخره ، ويتراعى بجملته إلى غرض واحد «².

وقد درس الدكتور دراز في كتابه (النبأ العظيم) موضوعات سورة البقرة تحت عنوان (نظام عقد المعاني في سورة البقرة) ، وهو بحث يمتد من الصفحة رقم 163 إلى الصفحة رقم 211 حيث يقول في أول ذلك : « اعلم أن هذه السورة على طولها تتألف وحدثها من مقدمة ، وأربعة مقاصد ، وخاتمة «³.

ثم فصل الكاتب هذا الإجمال ، وهذا يدل على أن سورة البقرة ترتبط بموضوعاتها ارتباطا وثيقا في تسلسل معنوي يسلم أوله إلى آخره ، كما ترتبط هذا المواضيع كلها مع الموضوع المحوري.

إن سورة البقرة كغيرها من السور المدنية تعنى بالتشريع المنظم لحياة المسلمين في المجتمع الجديد بالمدينة ، المجتمع القائم على التلازم بين الدين والدولة تلازم الجسد والروح. لذا كان التشريع المدني قائما على تأصيل العقيدة الإسلامية ، ومبدؤها الإيمان بالله ، وبالغيب ، وبأن مصدر القرآن هو الله عز وجل ، والاعتقاد الجازم بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء السابقين ، وأن العمل الصالح هو ترجمان ذلك الإيمان ، والعمل

¹ .قطب ، محمد . دراسات قرآنية ، ص : 277.

² .دراز ، محمد عبد الله . النبأ العظيم ، ص : 159.

³ .المرجع نفسه ، ص : 163.

الصالح يتمثل بعقد صلة الإنسان مع ربه بواسطة الصلاة ، ويتحقق التكافل الاجتماعي بواسطة الإنفاق في سبيل الله. إن تقرير العقيدة يقتضي التحدث عن صفات المؤمنين والكافرين والمنافقين¹. وهذه هي أصناف الناس في مواجهة نزول الوحي يومئذ ، فقد كانوا في مكة صنفين : المؤمنين والكافرين ، وقد صاروا ثلاثة بظهور المنافقين في المدينة.

وذكر هؤلاء الطوائف الثلاثة في مستهل السورة ، فيه بيان لمن ينتفعون بما في هذه السورة ، وبما في القرآن كله ، من أحكام وتعاليم وإرشادات ، وبمن سيتم تطبيق هذا التشريع على أيديهم في أرض الواقع ، وهم المؤمنون ، أما غير هؤلاء من الكفار والمنافقين فإنهم لم يهتدوا بهذا الكتاب الذي لا ريب فيه ، فلا ريب والحال هذه ، ألا يعول عليهم في بناء المجتمع المسلم ، فليس لديهم قابلية للإيمان والاستجابة.

فحقيقة الطائفة الأولى (المؤمنين) أنهم قوم حصلوا فضيلة التقوى بركنيتها العلمي والعملية لاستمساكهم بالهدى ولتوفيق الله لهم ، فمآلهم الفوز والفلاح.

وحقيقة الطائفة الثانية (الكافرين) أنهم مجردون من الإيمان ، مصرون على الكفر لعدم انتفاعهم بما وهبهم الله من وسائل العلم ومآل أمرهم العذاب الأليم.

وحقيقة الطائفة الثالثة (المنافقين) صفة مركبة من إيمان ظاهر وكفر باطن ، وسبب إظهارهم الإيمان إرادة الخداع ، وسبب إخفائهم الكفر مرض قلوبهم².

¹. ينظر : الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير ، م : 1 ، ج : 1 ، ص : 72.

². ينظر : دراز ، محمد عبد الله . النبأ العظيم ، ص : 167.

كما اقتضى تقرير العقيدة التحدث عن قدرة الله عز وجل ، ببدء الخلق وتكريم آدم بسجود الملائكة له ، ثم ما حدث له ولزوجه ، وهبوطهما إلى الأرض. ولأن المسلمين يعدون إعدادا إيمانيا لتلقي شرائع الله ، والعمل على تطبيقها في حياتهم وإقامة المجتمع المسلم في المدينة ، استوجب التحذير الإلهي التحدث عن جرائم بني إسرائيل من الآية رقم 47 إلى الآية رقم 123 ، فهم قوم كفروا بنعمة الله ، ولم يقدروا نجاتهم من فرعون ، وعبدوا العجل ، وطالبوا موسى عليه السلام بمطالب على سبيل العناد والمكابرة والتحدي ، ويرغم ذلك كفروا بآيات الله وقتلوا الأنبياء بغير حق ، ونقضوا العهود والمواثيق ، فاستحقوا بذلك لعنة الله وغضبه عليهم¹.

إن هذا الإسهاب في الحديث عن بني إسرائيل له ما يبرره ، فقد كان اليهود أهل كتاب ، وقامت حياتهم على كتاب منزل من عند الله ، وأمروا بإقامة دين الله في الأرض ، ولكنهم انحرفوا حتى انقطعت صلتهم بكتاب الله انقطاعا كاملا ، وقد جاء دور أمة أخرى ، هي أمة الإسلام ، والمسلمون مأمورون بإقامة دولتهم ومجتمعهم على أساس الكتاب المنزل ، فجاء التوجيه الإلهي حتى لا يقعوا فيما وقع فيه اليهود من تحريف وبعد عن دين الله تعالى².

كما أن المعركة المستمرة بين الحق والباطل ، لم يعد طرفاها المسلمين وكفار مكة ، بل دخلت أطراف أخرى ، ومنهم اليهود ، وهؤلاء لهم أساليبهم الخاصة في المكر والمخادعة

¹. ينظر : الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير ، م : 1 ، ج : 1 ، ص : 73.

². ينظر : قطب ، محمد . دراسات قرآنية ، ص : 277.

والخبث والدهاء والكيد « فكان القرآن يعرف المسلمين بتاريخ بني إسرائيل الماضي كله ليعرفوا عدوهم على حقيقته ، ليتوقعوا منه الشر الدائم فيحذروه »¹.

ثم يتحول السياق بعد هذا التمهيد ليتوجه بالخطاب إلى المؤمنين « حيث يأخذ في وضع الأسس التي تقوم عليها هذه الجماعة المستخلفة على دعوة الله في الأرض »² ، و« يبدأ في هذا بتعيين القبلة التي تتجه إليها هذه الجماعة. وهي البيت الحرام الذي عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل أن يقيماه ويطهراه ليعبد فيه الله وحده »³.

بعد ذلك راحت السورة توضح أصول التشريع الإسلامي في نطاق العبادات والمعاملات ، من إقامة للصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والجهاد في سبيل الله وتنظيم أحكام القتال واعتماد الأشهر القمرية في الحساب والإنفاق في سبيل الله ، والوصية بالوالدين والأقربين ومعاملة اليتامى ، وتنظيم شؤون الأسرة في الزواج والطلاق والرضاع والعدة والإيلاء من النساء ، وتحريم السحر والقتل بغير حق ، وإيجاب القصاص ، وتحريم أكل أموال الناس بالباطل ، وتحريم الخمر والميسر والربا⁴.

وفي النهاية « نرى ختام السورة يتعطف على افتتاحها ، فبين طبيعة التصور الإيماني ، وإيمان الأمة المسلمة بالأنبياء كلهم وبالكتب كلها وبالغيب وما وراءه مع السمع والطاعة »⁵

¹ .قطب ، محمد . دراسات قرآنية ، ص : 278.

² .قطب ، سيد . في ظلال القرآن ، م : 1 ، ص : 34.

³ . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

⁴ . ينظر : الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير ، م : 1 ، ج : 1 ، ص : 74.

⁵ . قطب ، سيد . المرجع نفسه ، ص : 35.

وبهذا « يتناسق البدء والختام ، وتتجمع موضوعات السورة بين صفتين من صفات المؤمنين وخصائص الإيمان »¹.

مما سبق يتبين لنا أمران :

الأول : أن المواضيع الفرعية في السورة تتصل كلها بموضوع العقيدة والإيمان وهو الذي سميناه الموضوع المحوري.

الثاني : أن مواضيع السورة على تنوعها يتصل بعضها ببعض ويأخذ بعضها بعنق بعض ، وليست متفرقة أو لا يجمعها سلك جامع ، بل هي كتلة ملتحمة فيما بينها. وبهذا يتضح مدى انسجام موضوعات السورة وتلاحمها فيما بينها ، وبذلك يتحقق معيار الانسجام في السورة الكريمة.

2. 2. 3 . العلاقات الداخلية والخارجية :

ترتبط سورة البقرة داخليا بعلاقات تربط بين آياتها وأجزائها وهو ما نسميه التناسب ، مما يجعل السورة كلا متكاملًا. كما ترتبط خارجيا مع غيرها من السور بعلاقات نستطيع أن نقول إنها علاقات تناص ، أي إن السورة الكريمة تتقاطع مع غيرها من سور القرآن الكريم في مواضيع شتى ، وسنأخذ في بحث العلاقات الداخلية والخارجية للسورة الكريمة.

2. 2. 3 . 1 . العلاقات الداخلية :

إن السورة الكريمة ترتبط فيما بينها بعلاقات التناسب ، فكل آية من السورة وضعت بين ما يناسبها ويشاكلها من الآيات ، حتى لو تأخر نزولها ، فقد ثبت أن جبريل . عليه السلام .

¹ . الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير ، م : 1 ، ج : 1 ، ص : 35.

كان ينزل بالآية أو الآيات على النبي . صلى الله عليه وسلم . ثم يأمره أن يضع ما أنزل في مكان كذا من سورة كذا ، قال في البرهان : « وقال القاضي أبو بكر : ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم . فقد كان جبريل يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا »¹ .

إن « ترتيب الآيات في سورها توقيفي ، فقد كان جبريل عليه السلام يوقف النبي صلى الله عليه وسلم على مواضع الآيات من سورها ... روى أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وصححه ابن حبان والحاكم من حديث ابن عباس عن عثمان بن عفان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه شيء يدعو بعض من يكتب فيقول (ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا) الحديث »² .

ولما كان ترتيب الآيات توقيفي من الله عز وجل ، ساغ لنا أن نبحث عن العلاقات الجامعة بين هذه الآيات .

وقد أنكر الإمام الشوكاني رحمه الله أن يكون تناسب بين الآيات القرآنية محتجا بأن « هذا القرآن ما زال ينزل مفرقا حسب الحوادث المقتضية لنزوله »³ . وقد فات الإمام أن القرآن الكريم نزل كلا متكاملا إلى السماء الدنيا ، في بيت العزة ، وأنزل بعدها مفرقا في مدة

¹ . الزركشي ، بدر الدين . البرهان في علوم القرآن ، ج : 1 ، ص : 256 .

² . أبو شهبة ، محمد محمد . المدخل لدراسة القرآن الكريم ، دار اللواء ، ط : 3 ، السعودية ، 1407 هـ . 1987 م ، ص : 317 .

³ . الشوكاني ، محمد بن علي . فتح القدير ، م : 1 ، ص : 72 .

ثلاث وعشرين سنة ، فكان ينزل بحسب الوقائع والحاجة إليه¹.

وقد تحدث صاحب البرهان عن التناسب فقال : « وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، وبصير التأليف حاله حال البناء المحكم ، المتلائم الأجزاء »². وقال كذلك : « وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته ، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي ، وقال في تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط »³. كما جاء في البرهان ما يصلح أن يكون ردا على الإمام الشوكاني ، إذ يقول الزركشي : « قال بعض مشايخنا المحققين : قد وهم من قال : لا يطلب للآي الكريمة مناسبة ، لأنها على حسب الوقائع المتفرقة ، وفصل المقال أنها على حسب الوقائع تنزيلا ، وعلى حسب الحكمة ترتيبا ، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون ، مرتبة سوره كلها وآياتها بالتوقيف »⁴.

والخلاصة أن بين الآيات القرآنية داخل السورة الواحدة ، وبين السور فيما بينها علاقات ومناسبات ، والبحث في هذا يوصل إلى كون القرآن الكريم نصا واحدا ، كلا متكاملا.

وهذه نماذج لهذه العلاقات في سورة البقرة لأنه لا يمكن استيفاء جميع العلاقات

والمناسبات بين الآيات كلها :

¹. ينظر : الهري ، محمد الأمين . حدائق الروح والريحان ، م : 32 ، ص : 181.

². الزركشي ، بدر الدين . البرهان في علوم القرآن ، ج : 1 ، ص : 36.

³. المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

⁴. المرجع نفسه ، ص : 37.

1 . يقول الشيخ ابن عاشور في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ

أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة : 6] : « هذا انتقال من الثناء على الكتاب ومقلديه ،

ووصف هديه وأثر ذلك الهدي في الذين اهتدوا به والثناء عليهم الزاجع إلى الثناء على

الكتاب لما كان الثناء إنما يظهر إذا تحققت آثار الصنعة التي استحق بها الثناء ، ولما كان

الشيء قد يقدر بضده انتقال إلى الكلام على الذين لا يحصل لهم الاهتداء بهذا الكتاب »¹.

ويمكننا تسمية هذه العلاقة علاقة انتقال من حديث إلى ضده ليطمئز حسن الأول بضده.

2 . ويذكر الشيخ في تفسير قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ

غِشَاوَةً ﴾ [البقرة : 7] : أن هذه الجملة جارية مجرى التعليل للحكم السابق في قوله

تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وبيان لسببه في الواقع ، ثم يعقب

على ذلك بأن الجملة استئناف بياني يفيد جواب سائل يسأل عن سبب كونهم لا يؤمنون ،

ثم يقابل بين هذه الجملة وبين جملة سابقة فموقع هذه الجملة في نظم الكلام مقابل موقع

جملة ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [البقرة : 5] ، فل هذه الجملة مكانها في نم أصحابها

بمقدار ما لتلك من المكانة في الثناء على أربابها². فالعلاقة بين هذه الجملة وسابقتها علاقة

تعليلية لبيان السبب ، أما علاقتها بجملة ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ فهي علاقة تقابلية.

¹ . ابن عاشور ، محمد الطاهر . التحرير والتنوير ، ك : 1 ، ق : 1 ، ص : 247.

² . المرجع نفسه ، ص : 254.

3 . ويقول الشيخ عند الكلام عن الآيات التي تتحدث عن المنافقين ابتداء من قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِينَهُ الْيَوْمَ الْأَخِيرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : 8] : « فالواو لعطف

طائفة من الجمل على طائفة ، مسوق كل منها لغرض ، جمعتهما في الذكر المناسبة بين الغرضين ، فلا يتطلب في مثله إلا المناسبة بين الغرضين ، لا المناسبة بين كل جملة وأخرى من كلا الغرضين »¹.

وقد استدل الشيخ بقول الزمخشري : « وقصة المنافقين من آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة »². فالعلاقة في هذا الموضع علاقة جمع بين الغرضين المختلفين.

4 . جاء في تفسير (اللباب) لابن عادل عند قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي

خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : 2] : « اعلم أنه . تعالى . لما بين أحكام الفرق الثلاثة . أعني المؤمنين والكافرين والمنافقين . أقبل عليهم بالخطاب وهو من باب الالتفات »³.

فالعلاقة إذن بين هذه الآية وسابقتها علاقة التفات من خطاب كل فرق بمفرده إلى خطاب الكل بمجموعهم.

¹ . ابن عاشور ، محمد الطاهر . التحرير والتنوير ، ك : 1 ، ق : 1 ، ص : 259.

² . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها ، وكذلك : الزمخشري ، جار الله محمود . تفسير الكشاف ، ج : 1 ، ص : 170.

³ . ابن عادل ، أبو حفص عمر بن علي . اللباب في علوم الكتاب ، ج : 1 ، ص : 405.

ويقول سيد قطب في هذا الموضوع : « وعندما يتم استعراض الصور الثلاث يرفد السياق نداء للناس كافة ، وأمرًا للبشرية جمعاء ، أن تختار الصورة الكريمة المستقيمة ، الصورة النقية الخالصة ، الصورة العاملة النافعة ، الصورة المستهدية المصلحة ، صورة المتقين »¹. وبهذا الوجه يكون لدينا علاقة التقات وتخصيص ، لأن النداء بعد أن التفت للمجموع خص المتقين بالاختيار من بين الثلاثة ، ليكونوا الصورة المختارة التي يوجه الخطاب الناس إلى التمثل بها.

وهكذا يظهر مدى تعالق الآيات وارتباطها فيما بينها ، فلا فكاك ولا تفرق بينها ، بل كلها أخذ بعضها بحجز بعض ، مما يظهر انسجام النص القرآني ، وقد اقتصرنا على هذه النماذج وإن كانت كتب التفسير حافلة بذكر المناسبات بين الآيات ، لأننا لا نريد استقصاء البحث فيها ، بل أخذ عينات لإثبات التناسب وإظهار العلاقات الداخلية في سورة البقرة.

2. 2. 3. 2. العلاقات الخارجية :

إن المقصود بالعلاقات الخارجية ما يكون من تقاطع بين سورة البقرة وغيرها من سور القرآن الكريم ، وهذا يدخل ضمن ما يعرف بالتناص الذي كثيرا ما يستعمل « للإشارة إلى مجموعة نصوص مرتبطة فيما بينها بعلاقات تناصية »². وجاء تعريف التناص في معجم السيميائيات حيث يقول : « التناص إذن هو وجود علاقة بين

¹. قطب ، سيد . في ظلال القرآن ، م : 1 ، ص : 46.

². شارودو باتريك ودومينييك منغنو . معجم تحليل الخطاب ، ص : 318.

نص حاضر ونص أو نصوص أخرى غائبة»¹.

وعرف كتاب (مدخل إلى علم لغة النص) التناص وسماه النصوية وهي : « تتضمن

العلاقات بين نص ونصوص أخرى ذات صلة»².

ويقول أحمد عفيفي : « تتعدد تعريفات التناص . بشكل عام . بين النقاد واللغويين ، غير

أنها كلها تظهر التفاعل والتعلق والالتقاء والتداخل (اللفظي والمعنوي) بين نص ما

ونصوص أخرى»³.

وهناك من عرف التناص بأنه « علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها ببعض ، كما تقوم

بين النص والنص ، كعلاقة السؤال بالجواب ، وعلاقة التلخيص بالنص الملخص ، وعلاقة

المسودة بالتبويض ، وعلاقة المتن بالشرح ، وعلاقة الغامض بما يوضحه ، وعلاقة

المحتمل بما يحدد معناه ، وهذه العلاقة الأخيرة هي المقصودة بعبارة (القرآن يفسر بعضه

بعضاً)»⁴ ، وهذه العلاقة الأخيرة قد بحثها علماؤنا ، حيث اكتشفوا العلاقة بين آيات الكتاب

الكريم.

¹ . الأحمر ، فيصل . معجم السيميائيات ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط : 1 ، لبنان ، 1431 هـ . 2010م ، ص :

143.

² . دي بوغراند ، روبرت وفلفغانغ دريسلر ، بالاشتراك مع : إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد . مدخل إلى علم لغة

النص ، ص : 12.

³ . عفيفي ، أحمد . نحو النص ، ص : 81.

⁴ . عبد الكريم ، أشرف عبد البديع . الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن ، مكتبة الآداب ، (دط) ، مصر ،

2008م ، ص : 154.

قال ابن كثير : « فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر »¹.

وذكر الشنقيطي إجماع العلماء « على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها ، تفسير كتاب الله بكتاب الله ، إذ لا أحد أعلم بمعنى كتاب الله جل وعلا من الله جل وعلا »².

وسنبحث في دراستنا للعلاقات الخارجية العلاقات التي تربط سورة البقرة بغيرها من سور القرآن انطلاقاً من أن القرآن الكريم يفسر بعضها بعضاً ، وترتبط سورته فيما بينها بعلاقات تناسق وتقاطع وهذه نماذج للتناصق بين سورة البقرة وغيرها من السور:

2.2.3.2. التناسق بين سورتي الفاتحة والبقرة :

بين سورتي الفاتحة والبقرة علاقة إجمال وتفصيل ، فما أجمل في سورة الفاتحة وقع تفصيله في سورة البقرة ، يقول البقاعي عن علاقة السورتين : « لما أخبر سبحانه وتعالى أن عباده المخلصين سألوا في الفاتحة هداية الصراط المستقيم الذي هو غير طريق الهالكين أرشدهم في أول التي تليها إلى أن الهدى المسؤول عنه إنما هو في هذا الكتاب »³ ، وما ذكره البقاعي وجه من وجوه الارتباط بين السورتين ، فقد أجمل الحديث عن الصراط المستقيم في الفاتحة ، وفصل الحديث عن الكتاب في البقرة ، وبين من يهتدي به وذكر

¹ . ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج ، 1 ، ص : 8.

² . الشنقيطي ، محمد الأمين . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، دار عالم الفوائد ، (دط) ، مجمع الفقه الإسلامي

بجدة ، السعودية ، (دت) ، ص : 8.

³ . البقاعي ، برهان الدين . نظم الدرر ، ج : 1 ، ص : 77.

صفاتهم ، ومن يزيغ عنه من الكافرين والمنافقين ، وذكر أيضا صفاتهم ، وكل هذا إجمال لما سبق ذكره في الفاتحة .

كما أن سورة الفاتحة افتتحت بحمد الله تعالى والثناء عليه ، فهو المنعم المتفضل بالخيرات برحمته التي يرحم بها عباده في الدنيا والآخرة ، وهذا قد ذكر في الفاتحة إجمالاً بينما في البقرة وقع تفصيل النعم التي تستوجب الحمد للمنعم والشكر والثناء ، ومنها نعمة

الخلق من العدم ، ونعمة التفضيل والتكريم ، وقال تعالى : ﴿ فَادْكُرُوا فِي آدَاتِكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة : 152] وقال أيضا : ﴿ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِتْيَاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة :

172] ، وذكر في الفاتحة يوم الدين ، وهو اليوم الآخر ، وذكر في البقرة الإيمان بالآخرة

﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة : 4] ، وذكر الدلائل على إحياء الموتى ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ

بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّئُ اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾ [البقرة : 73] ، ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى

عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامًا ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ [البقرة : 259] ، وكذلك

ما جاء في قصة إبراهيم حين سأل الله تعالى فقال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ ، وكيف

أمره الله تعالى بذبح الطيور وتفريقها في الجبال ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ

أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ وكيف دعاها بعد ذلك فعادت حية ﴿ ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا

وَأَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : 260] .

وأجمل في الفاتحة ذكر العبادة ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ [الفاتحة : 5] ، وفصل هذه العبادة في سورة البقرة فذكر الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها من العبادات. وأجمل في الفاتحة الحديث عن أصناف الناس ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة : 7] وفصل الحديث في سورة البقرة عن صفات المهتدين من المؤمنين والهالكين من الكفار والمنافقين.

كما أومأت سورة الفاتحة إلى أهل الكتاب (المغضوب عليهم والضالين) ، وأطنبت سورة البقرة في الحديث عنهم على نحو تفصيلي بذكر حاضرهم أثناء تنزل القرآن وما سلف من ماضي أجدادهم. وهكذا نجد التعالق الكبير بين سورة الفاتحة وسورة البقرة مما يدل على الترابط الشديد بين السورتين.

2.2.3.2. التناسل بين سورة البقرة وسورة آل عمران :

تلقتي السورتان في أنهما مدنيتان وأنهما من الطوال ، وقد جمعها النبي . صلى الله عليه وسلم . في ذكر فضلها معا ، جاء في صحيح مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يقول : « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما »¹ ، والذي

¹ . مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري . الجامع الصحيح ، دهر الفكر ، (دط) ، لبنان ، (دت) ، م : 1 ، ج : 2 ،

يظهر للمتفحص أن السورتين شقيقتان أو توأمان لما بينهما من تقارب وتشابه عجيبين¹ ،
ومن وجوه التعالق والتناص بين السورتين أن الأولى صدرت بالحديث عن الكتاب : ﴿ ذَلِكْ

الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : 2] ، وكذلك الثانية : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾

[آل عمران : 3] ، كما تلتقي السورتان في موضوع الإيمان والتوحيد الذي هو جوهر

موضوعات القرآن الكريم ففي البقرة : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾

[البقرة : 255] ، وفي آل عمران : ﴿ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران : 1 .

2] ، ومن أوجه التعالق « قصة عيسى عليه السلام وابتداء أمره من غير أب ، والاعتبار

به نظير الاعتبار بآدم عليه السلام ، ولهذا أشار قوله تعالى : ﴿ اِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللّٰهِ كَمَثَلِ

ءَادَمَ ﴾ [آل عمران : 59]² ، ومما تتناص فيه السورتان مجادلة أهل الكتاب فقد ورد

الحديث في سورة البقرة موجهها إلى بني إسرائيل ، وورد في سورة آل عمران موجهها لأهل

الكتاب ، كما تتناص السورتان في الحديث عن إبراهيم عليه السلام ، والحديث عن البيت

الحرام ، والكلام عن الحج ، إلى غير ذلك من المواضيع التي تتناص فيها السورتان.

2.2.3.2. التناص بين سورتي البقرة والنساء :

¹ . ينظر : ناعوس ، بن يحيى طاهر . تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص ، ص : 246.

² . الثقفى ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير . البرهان في تناسب سور القرآن ، تح : سعيد بن جمعة الفلاح ، دار ابن الجوزي ،

ط : 1 ، السعودية ، 1428هـ ، ص : 89.

تلتقي سورة البقرة مع سورة النساء في مواضيع كثيرة بدءا بتقرير المبدأ الأساس الذي يقوم عليه المجتمع المسلم وهو تقرير ربوبية الله تعالى وعبودية الخلق ومنهم الإنسان لهذا الرب العظيم مما يتطلب الانصياع والاستجابة لأوامره الحكيمة ، فيقول الله تعالى في سورة البقرة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : 21] ، ويقول في سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [النساء : 1] ، ثم تمضي سورة النساء في معالجة مواضيع تتعلق بتنظيم الأسرة ، وذلك ما خصصت له سورة البقرة حيزا كبيرا ، وتتناول السورتان أحكام الجهاد وقاتل الأعداء ، كما تتناولان موضوع الصلاة ، كما تتحدث السورتان عن الخليل إبراهيم عليه السلام ، كما يوجد في السورتين حديث عن أهل الكتاب وحديث عن المنافقين ، إلى غير هذا من المواضيع.

ولكي لا نقصر الكلام على التناص بين سورة البقرة والسور المدنية ، فسوف نبحث عن التناص بين هذه السورة وغيرها من السور المكية ومن هذه السور :

2 . 2 . 3 . 2 . 4 . التناص بين سورتي البقرة والأنعام :

إن سورة الأنعام سورة مكية ، ومن خصائص القرآن المكي الدعوة إلى التوحيد وإثبات الرسالة ، وإثبات البعث والنشور ، ومجادلة المشركين بالحجج والبراهين ، ووضع الأسس العامة للتشريع والفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع¹ ، أما سورة البقرة فهي

¹ . ينظر : القطان ، مناع . مباحث في علوم القرآن ، مكتبة وهبة ، ط : 6 ، مصر ، (دت) ، ص : 59 .

مدنية ، ومن خصائص القرآن المدني بيان العبادات والمعاملات والحدود ونظام الأسرة والعلاقات الدولية وقواعد الحكم ومسائل التشريع ، ومخاطبة أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام ، والكشف عن المنافقين وتحليل نفسياتهم وبيان خطرهم¹ ، ورغم الفروق بين المكي والمدني إلا أننا لا نعدم وجود تقاطع والتقاء وتناص بين النوعين ومن ذلك مثلا أن كلا السورتين تناولتا قصة إبراهيم عليه السلام ، كم دعت السورتان إلى التعرف إلى نعم الله تعالى وشكرها ، كما تناولت السورتان بعض المأكولات المحرمة ، وأوصت السورتان بكثير من أصحاب الحقوق كالوالدين واليتامى والأقرباء ، بل يصل التناص بينهما إلى ورود آيتين متشابهتان فيهما ، وهما قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 146] ، وقوله تعالى في سورة النعام : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : 20] ، والسورتان على العموم تحددان المنهج القويم الذي يطلب من العبد سلوكه وهو الصراط المستقيم ملة إبراهيم حنيفا وهو دين الإسلام الذي أوصى إبراهيم بنبيه بالمحافظة عليه.

2.2.3.2. التناسل بين سورتي البقرة والأعراف :

أما سورة الأعراف وهي مكية أيضا فنستطيع تلمس التناص بينها وبين سورة البقرة في نقطتين هامتين :

¹ . ينظر : القطان ، مناع . مباحث في علوم القرآن ، ص : 60.

الأولى : قصة آدم عليه السلام وما دار فيها من أحداث أدت إلى هبوط آدم وزوجه إلى الأرض لتتطلق عليها الحياة البشرية ، وما فيها من تكاليف الخلافة ، والصراع بين الشيطان والإنسان.

الثانية : الحديث المطول في السورتين عن قصة موسى مع بني إسرائيل ، وقد سبقت الإشارة إلى أهمية ذلك في بناء الأمة الجديدة الوارثة بعد أن زحزحت أمة بني إسرائيل عن مكانة القيادة.

2.2.3.2 . التناسل بين سورة البقرة والسور الأخرى :

إن التناسل في سورة البقرة لا يقتصر على طوال السور فحسب ، بل إننا لنجد التناسل بين سورة البقرة وبين السور الأخرى من غير الطوال ، ومن ذلك أننا نجد التناسل مع سورة الحج في الحديث عن الحج وعن إبراهيم عليه السلام ، وكذلك مع سورة (يس) في أولها عند قوله تعالى : ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ءَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يس : 10] ، وتتناسل السورة

في ذكر صفات المؤمنين مع سورة النمل : ﴿ طَسَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى

وَمُشْرًى لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ۝٣ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِالْآخِرَةِ رَبَّنَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٥ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ۝٦ ﴾ [

النمل : 1 . 5] ومع سورة لقمان : ﴿ أَلَمْ تَرَ ۝١ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً

لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ۝٤ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٥ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ

وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [لقمان : 1 . 5] ، كما تتناسل السورة مع سورة البينة في الحديث عن

أهل الكتاب ، ومع سورة الطلاق والمجادلة في الحديث عن شؤون الأسرة ، وتتناص مع سورة (المنافقون) وسورة الحديد والمجادلة في الحديث عن المنافقين وصفاتهم ، إلى غير ذلك من أوجه التناص بين هذه السورة الكريمة وغيرها من سور القرآن الكريم ، ولأن استقصاء التناص بين سورة البقرة وغيرها من سور القرآن الكريم يتطلب بحثاً مطولاً فإننا نقتصر على ما ذكرنا من النماذج لنصل في الأخير إلى أن القرآن الكريم كله نص واحد وكتلة واحدة منسجمة ومتلائمة.

خاتمة

خاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على نبي الرحمات ، أما بعد فإننا بعد دراستنا للوظيفة الإبلاغية من منظور لسانيات النص ، وتطبيق دراستنا على نص القرآن الكريم متخذين من سورة البقرة أنموذجا للدراسة ، وبعد استيفائنا لفصول الدراسة وأبحاثها ها نحن نصل بعون الله تعالى إلى خاتمتها لنسجل النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث وهي :

1 . بعد بحثنا في وظائف اللغة ، وتطبيقها على النص القرآني الكريم ، توصلنا إلى أن بعض هذه الوظائف موجود فعلا في النص الكريم ، وبعض هذه الوظائف لا يوجد فيه ، كما لاحظنا أن بعض الوظائف قد توجد في القرآن الكريم ولكن مع بعض التحفظ والتعديل.

2 . القرآن الكريم خطاب موجه من مرسل إلى متلق ، وهو خطاب مأمور بتبليغه كله إلى الناس كافة ، ولذلك فكل أوامره ونواهيه وتعاليمه وإرشاداته وتوجيهاته موجهة للتبليغ ، وكلها تحمل قيما إبلاغية.

3 . تناول البحث مفهوم الإبلاغية عند اللسانيين المحدثين ، واستعرض منظورهم لها وتبنى البحث مفهوم الوظيفة الإبلاغية حسب تعريف (كلاوس برينكر) في كتابه (التحليل اللغوي للنصوص) حيث أن هذا التعريف داخل في صميم لسانيات النص ، وقد روعي فيه جميع عناصر الإبلاغية : الباث والمتلقي والنص والسياق وقصد الإبلاغ للتأثير والإقناع ، وهذا التعريف يلتقي مع المفهوم القرآني للتبليغ ، الذي يجعل النص القرآني كله موجها للإبلاغ ،

وتعريف برينكر يجعل من كل النصوص المنجزة فعلا نصوصا موجهة للإبلاغ نثرا كانت أو شعرا.

4 . تناولنا في بحثنا المعايير النصية التي اقترحها كل من دي بوجراند ودريسليير ، وبحثنا وجود هذه المعايير في نص القرآن الكريم وقد تبين لنا أن أغلب تلك المعايير موجودة في النص الكريم.

5 . درسنا في بحثنا العلاقة بين إبلاغية الخطاب والتواصل اللغوي وتبين لنا أن العلاقة بينهما وطيدة ، وأنه لا يوجد إبلاغ بغير تواصل ، وأن عناصر التواصل اللغوي هي نفسها عناصر الإبلاغية ، لذلك بحثنا موضوع التواصل اللغوي ضمن بحثنا العناصر الأساسية للوظيفة الإبلاغية.

6 . تنوع للخطاب الإبلاغي في القرآن الكريم فمنه ما جاء في شكل صريح مباشر كخطاب الأمر والنهي والنداء والاستفهام ، ومنه ما جاء في شكل تلميح غير مباشر مثل الخطاب الذي يأتي في صورة الخبر أو المثل أو القصة.

7 . تناول البحث أصناف المتلقين في سورة البقرة ، فدرس الخطاب الموجه لكل فئة ، وما يحمل كل خطاب من قيم إبلاغية ، وتوزيع الخطاب القرآني دليل على مراعاة المخاطب ، وما يتطلبه كل صنف من خطاب.

8 . يعد السياق عنصرا هاما من عناصر الوظيفة الإبلاغية ، وقد بحثنا أنواع السياقات المختلفة لغوية وغير لغوية ، وطبقنا ذلك على نموذج من سورة البقرة ، وتوصلنا إلى القيم الإبلاغية المتنوعة التي استخلصناها من مختلف السياقات ، والنتيجة أن الوظيفة الإبلاغية

في القرآن الكريم لا تدرس بمعزل عن سياقاتها المختلفة ، كما أن النص الكريم لا يفهم بعيدا عن السياقات المحيطة به ، وهو دليل على الصبغة التواصلية لهذا النص.

9 . يعد الإقناع والتأثير من العناصر الأساسية في وظيفة الإبلاغ في القرآن الكريم ، لأن مقصدية الإبلاغ القرآني تتطلب الوصول إلى عقل المتلقي لإقناعه ، كما تتطلب الوصول إلى وجدانه للتأثير عليه ، وذلك لحمله على تغيير ما لديه من عقائد أو سلوكيات أو أعمال غير صحيحة ، واستبدالها بالصحيح من ذلك ، وهذا لا يتم بغير تأثير وإقناع.

10 . اعتمد القرآن الكريم الحجاج وسيلة ناجعة في تحقيق الإقناع ، واستعمل لأجل ذلك أدوات لغوية وبلاغية وتداولية. كما اعتمد الحوار وسيلة حضارية للإبلاغ ، وقد تجسد ذلك في حوار القرآن الكريم للخصوم ، وفي حوارات الأنبياء مع أقوامهم ، وبذلك يتبين لنا أن القرآن الكريم يؤصل للحوار وسيلة مهمة في الدعوة والإبلاغ والإقناع والتأثير ، بعيدا عن العنف والإكراه.

11 . عند دراستنا للاتساق والانسجام في سورة البقرة تبين لنا تماسك النص القرآني على المستوى السطحي الأفقي وعلى المستوى المفهومي ، وأن جميع أدوات وآليات الترابط الشكلي والمفهومي موجودة في نصه الكريم ، مما يدل على تحقق معيار الاتساق والانسجام لهذا النص الكريم ، وهذان المعياران من أهم المعايير اللازم توفرها في أي ملفوظ لكي يكون نصا.

وفي ختام هذا المطاف نتوجه إلى الله تعالى مولانا الكريم ونسأله بمنه وفضله أن يتقبل هذا العمل ، وبياركه ، ويكتب له التوفيق ، ويجعله خالصا لوجهه الكريم وخدمة كتابه

المبارك ، كما نسأله تعالى أن يضع له القبول وينفع به من قرأه أو اطلع عليه ، ونسأله
تعالى أن يبارك في أستاذنا المشرف الدكتور محمد خان وبيارك له في أهله وماله وولده
ويطيل في عمره وينفع به ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب
الرحيم ، آمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع :

المصحف الشريف :

برواية حفص عن عاصم ، طبع : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ،
المملكة العربية السعودية ، 1411هـ .

1 . الكتب العربية :

1 . آل ياسين ، محمد حسين . الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، دار
مكتبة الحياة ، ط : 1 ، لبنان ، 1400هـ . 1980م .

2 . الإبراهيمي ، خولة طالب . مبادئ اللسانيات ، دار القصبه للنشر ، ط : 2 ، الجزائر ،
2006م .

3 . الأحمر ، فيصل . معجم السيميائيات ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط : 1 ، لبنان ،
1431هـ . 2010م .

4 . إستيتية ، سمير شريف . اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج ، عالم الكتب الحديث
وجدارا للكتاب العالمي ، ط : 2 ، الأردن ، 1429هـ . 2008م .

5 . إسحق ، علي شواخ . معجم مصنفات القرآن الكريم ، دار الرفاعي ، ط : 1 ،
السعودية ، 1403 هـ . 1983 م .

6 . الأشقر ، عمر سليمان . الربا وأثره على المجتمع الإنساني ، دار الشهاب ، (دط) ،
الجزائر ، (دت).

7 . الأشقر ، عمر سليمان . عالم السحر والمشحودة ، دار النفائس ، ط : 4 ، لبنان ،
1422 هـ . 2002 م .

8 . الأشموني ، أحمد بن محمد بن عبد الكريم . منار الهدى في بيان الوقف والابتداء ،
تح : شريف أبو العلاء العدوي ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، لبنان ، 1422 هـ .
2002 م .

9 . الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين الراغب . المفردات في غريب القرآن ، مكتبة نزار
مصطفى الباز ، (د ط) ، (د ت).

10 . الألوسي ، شهاب الدين محمود . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع
المثاني ، دار إحياء التراث ، (دط) ، لبنان ، (دت).

11 . أمين ، بكري شيخ . التعبير الفني في القرآن ، دار الشروق ، ط : 4 ، لبنان ،
1400 هـ . 1980 م .

12 . الأنصاري ، جمال الدين بن هاشم . مغنى اللبيب من كتب الأعراب ، تح : محمد
محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، (دط) لبنان ، 1411 هـ . 1991 م .

13 . بابتي ، عزيزة خوال . المعجم المفصل في النحو العربي ، دار الكتب العلمية ، ط :
1 ، لبنان ، 1413 هـ . 1992 .

14 . باطاهر ، بن عيسى . أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، دار الضياء ، ط : 1 ، الأردن ، 2000م.

15 . الباقلائي ، أبو بكر بن الطيب . إعجاز القرآن ، تح : أبو عبد الرحمن صلاح بن عويضة ، دار الكتب العلمية ، ط : 2 ، لبنان ، 1429هـ . 2008م.

16 . الباقلائي ، أبو بكر بن الطيب . التمهيد ، تح : الأب رتسو يوسف مكارثي ، المكتبة الشرقية ، (دط) ، لبنان ، 1957م.

17 . عبد الباقي ، محمد فؤاد . اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، دار إحياء الكتب العربية ، (دط) ، مصر ، (دت).

18 . عبد الباقي ، محمد فؤاد . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، (دط) ، مصر ، 1364هـ.

19 . بالي ، وحيد عبد السلام . الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار ، دار الإمام مالك ، ط : 2 ، الجزائر ، 1414هـ.

20 . بحيري ، سعيد حسن . علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، مؤسسة المختار ، ط : 1 ، مصر ، 1424 هـ . 2004م.

21 . بخولة ، بن الدين . الاتساق والانسجام النصي الآليات والروابط ، دار التنوير ، ط : 1 ، الجزائر ، 2014.

22 . بدوي ، أحمد أحمد . من بلاغة القرآن ، دار نهضة مصر ، (د ط) ، مصر ، 2005م.

23 . البركتي ، محمد عميم الإحسان المجددي . التعريفات الفقهية ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، لبنان ، 1424 هـ . 2003 م .

24 . البغوي ، الحسين بن مسعود . معالم التنزيل ، تح : محمد عبد الله النمر وآخرون ، دار طيبة ، (د ط) ، السعودية ، 1409 هـ .

25 . البقاعي ، أبو الحسن إبراهيم بن عمر . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي ، (د ط) ، مصر ، 1390 هـ . 1950 م .

26 . بليغ ، عيد . السياق وتوجيه دلالة النص ، دار بلنسية ، ط : 1 ، مصر ، 1429 هـ . 2008 م .

27 . البوطي ، محمد سعيد رمضان . كبرى اليقينيّات الكونية ، دار الفكر ، ط : 2 ، سورية ، 1403 هـ .

28 . بوقرة ، النعمان . المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي ، ط : 1 ، الأردن ، 1429 هـ . 2009 م .

29 . بومزير ، الطاهر . التواصل اللساني والشعرية ، الدار العربية للعلوم . ناشرون ، ط : 1 ، لبنان ، 1428 هـ . 2007 م .

30 . البيضاني ، محمد بن علي الصومعي . التبيان في ما صح من فضائل سور القرآن ، دار الاستقامة ، ط : 1 ، مصر ، 1430 هـ . 2010 م .

31 . التهانوي ، محمد علي . كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تح : علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط : 1 ، لبنان ، 1996 .

32 . التونجي ، محمد . الجامع في علوم البلاغة ، دار العزة والكرامة ، ط : 1 ، الجزائر ، 1434هـ . 2013 م .

33 . الثقفي ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير . البرهان في تناسب سور القرآن ، تح : سعيد بن جمعة الفلاح ، دار ابن الجوزي ، ط : 1 ، السعودية ، 1428هـ .

34 . الجرجاني ، الشريف علي بن محمد . التعريفات تح : عبد الرحمن عيرة ، عالم الكتب ، ط : 1 ، لبنان ، 1416هـ . 1996م .

35 . الجرجاني ، عبد القاهر . أسرار البلاغة ، تح : محمود محمد شاكر ، شركة القدس للنشر ، ط : 1 ، السعودية ، 1412هـ . 1991م .

36 . الجرجاني ، عبد القاهر . دلائل الإعجاز ، تح : محمود محمد شاكر ، شركة القدس ، ط : 3 ، مصر ، 1413هـ . 1992م .

37 . الجزائري ، أبو بكر جابر . أيسر التفتاسير ، مكتبة العلوم والحكم ، ط : 3 ، السعودية ، 1418هـ . 1997م .

38 . الجزار ، محمد فكري . العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (دط) ، مصر ، 1998 .

39 . ابن جزي ، محمد بن أحمد . التسهيل لعلوم التنزيل ، تح : محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، لبنان ، 1415هـ . 1995م .

40 . الجعلي ، عثمان بن حسنين بري . سراج السالك شرح أسهل المسالك ، دار الفكر ، (دط) ، لبنان ، 1420هـ . 2000م .

- 41 . ابن جني ، أبو الفتح عثمان . الخصائص ، تح : محمد علي النجار ، عالم الكتب ، ط : 1 ، لبنان ، 1427 هـ . 2006 م .
- 42 . الجودي ، لطفي فكري محمد . جماليات الخطاب في النص القرآني ، مؤسسة المختار ، ط : 1 ، مصر ، 1435 هـ . 2014 م .
- 43 . الجويني ، إمام الحرمين . الكافية في الجدل ، تح : فقيه حسين محمود ، مطبعة عسير البابي الحلبي وشركاؤه ، (دط) ، مصر ، 1399 هـ . 1979 م .
- 44 . ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد . الفصل في الملل و الأهواء والنحل ، تح : محمد إبراهيم نصر ، وعبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، ط : 2 ، لبنان ، 1416 هـ . 1996 م .
- 45 . حسان ، تمام . الأصول ، عالم الكتب ، (د ط) ، مصر ، 1420 هـ . 2000 م .
- 46 . حسن ، عباس . المحو الوافي ، دار المعارف ، ط : 3 ، مصر (دت) .
- 47 . حسين ، طه . حديث الشعر والنثر ، المجموعة الكاملة ، دار الكتاب اللبناني ، (دط) ، لبنان ، 1983 م .
- 48 . الحمد ، على توفيق ، ويوسف جميل الزعبي . المعجم الوافي في النحو العربي ، دار الجيل ، (د ط) ، لبنان ، (د ت) .
- 49 . الحمد ، غانم قدوري . أبحاث في علم التجويد ، دار عمار ، ط : 1 ، الأردن ، 1422 هـ . 2002 م .

50 . أبو حمدان ، سمير . الإبلأغفة فف البلاءة العرففة ، منشورات عوفاءاء الءولفة ، ط : 1 ، لبنان ، 1991.

51 . ءموش ، مأمون . الءفسفر المأمون ، (ءء) ، ط : 1 ، سورفة ، 1428هـ . 2007م.

52 . أبو ءفان ، مءمء بن فوسف الأءءلسف . ءفسفر البءر المءفط ، ءء : عاءل أءمء عبء الموءوء وآءرون ، ءار الءءب العلمفة ، ط : 1 ، لبنان ، 1413هـ . 1993م.

53 . الءازن ، علاء الءفن علف بن مءمء البءءاءف . ءءاب الءأوفل فف معانف الءنزفل ، ءء : عبء السلام ، مءمء علف شاهفن ، ءار الءءب العلمفة ، ط : 1 ، لبنان ، 1425هـ . 2005م.

54 . الءالءف ، صلاح عبء الفءاء . إعءاز الءرآن البفانف وءلائل مصءره الرفانف ، ءار عمار ، ط : 1 ، الأءرن ، 1421هـ . 2000م.

55 . الءالءف ، صلاح عبء الفءاء . مع ءصص السابقفن فف الءرآن ، ءار الءلم ، ط : 5 ، سورفة ، 1428هـ . 2007م.

56 . ءان ، مءمء . لغة الءرآن الءرفم ، ءراسة ءببفقفة للءملة فف سورة البءرة ، ءار الءءف ، ط : 1 ، الءزائر ، 2004م.

57 . الءءافف ، ابن سنان . سر الفصاءة ، ءار الءءب العلمفة ، ط : 1 ، لبنان ، 1402هـ . 1982م.

58 . ءءابف ، مءمء . لسانفاء الءص مءءل إلى انسءام الءءاب ، المرءز الءءافف العربف ، ط : 2 ، المغرب ، 2006م.

59. ابن خلدون ، عبد الرحمن . المقدمة ، دار الفكر ، (دط) ، لبنان ، 2007 م .
60. ابن خلدون ، عبد الرحمن . المقدمة ، تح : عبد الله محمد الدرويش ، دار البلخي ، ط : 1 ، سورية ، 1425 هـ . 2004 م .
61. الخطيب ، عبد الكريم . القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، دار المعرف ، ط : 2 ، لبنان ، 1395 هـ 1975 م .
62. الداني ، أبو عمرو . البيان في عدّ آي القرآن ، تح : غانم قدوري الحمد ، مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، ط : 1 ، الكويت ، 1414 هـ . 1994 م .
63. دراز ، محمد عبد الله . النبأ العظيم ، دار القلم ، ط : 2 ، الكويت ، 1390 هـ . 1970 م .
64. دروزة ، محمد عزة . القرآن المجيد ، المكتبة العصرية ، (دط) ، لبنان ، (دت).
65. الدرويش ، محي الدين . إعراب القرن الكريم وبيانه ، دار العمامة ودار ابن كثير ، ط : 7 ، لبنان ، 1420 هـ . 1999 م .
66. الدوسري ، عبد الرحمن بن محمد . صفوة الآثار والمفاهيم ، دار المغني للنشر ، ط : 1 ، السعودية ، 1425 هـ . 2004 م .
67. الذهبي ، محمد حسن . التفسير والمفسرون ، مكتبة وهبة (دط) ، مصر ، (دت).
68. الراجحي ، عبده . دروس في المذاهب النحوية ، دار النهضة العلمية ، ط : 2 ، لبنان ، 1988 م .

- 69 . الرازي ، أبو حاتم أحمد بن حمدان . الزينة في الكلمات الإسلامية ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ط : 1 ، اليمن ، 1415 هـ . 1994 م .
- 70 . الرازي ، فخر الدين . التفسير الكبير ، دار الفكر ، ط : 1 ، سورية ، 1401 هـ . 1981 م .
- 71 . الرازي ، محمد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، تح : محمود خاطر ، دار الفكر ، ط : 1 ، لبنان ، 1421 هـ . 2001 م .
- 72 . الرافعي ، مصطفى صادق . تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي ، ط : 2 ، لبنان ، 1394 هـ . 1974 م .
- 73 . عبد الرحمن ، طه . في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، ط : 2 ، المغرب ، 2000 م .
- 74 . عبد الرحمن ، طه . اللسان والميزان أو التوتر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، ط : 1 ، لبنان ، 1998 .
- 75 . عبد الرحمن ياسر . موسوعة الأخلاق والزهد والدقائق ، مؤسسة اقرأ ، ط : 1 ، مصر ، 1428 هـ . 2007 م .
- 76 . عبد الرحيم ، عبد الجليل . لغة القرآن الكريم ، مكتبة الرسالة الحديثة ، ط : 1 ، الأردن ، 1401 هـ . 1981 م .
- 77 . رزق ، علي . نظريات في أساليب الإقناع ، دار الصفوة ، ط : 1 ، لبنان ، 1414 هـ . 1994 م .

78. رضا ، محمد رشيد . تفسير المنار ، دار المنار ، ط : 3 ، مصر ، 1367هـ .
79. زاده ، طاش كبرى . رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة ، تح : حايف النبهان ، دار الظاهرية ، ط : 1 ، الكويت ، 1433هـ . 2012م .
80. الزبيدي ، محمد مرتضى . تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : مصطفى حجازي ، مطبعة حكومة الكويت ، (دط) ، الكويت ، 1405هـ . 1985م .
81. الزحيلي ، وهبة . التفسير المنير ، دار الفكر ، ط : 10 ، سورية ، 1430هـ . 2009م .
82. الزحيلي ، وهبة . التفسير الوسيط ، دار الفكر ، ط : 1 ، سوريا ، 1422هـ . 2001م .
83. الزحيلي ، وهبة . الفقه الإسلامي وأدلته ، دار الفكر ، ط : 2 ، سورية ، 1405هـ . 1985م .
84. الزرقاني ، محمد عبد العظيم . مناهل العرفان في علوم القرآن ، تح : هاني الحاج ، المكتبة التوفيقية ، (دط) ، مصر ، (دت) .
85. الزركشي ، بدر الدين . البرهان في علوم القرآن ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، ط : 3 ، (دب) ، 1400هـ . 1980م .
86. الزمخشري ، جار الله محمود . تفسير للكشاف ، تح : عادل أحمد عبد الجواد وآخرون ، مكتبة العبيكان ، ط : 1 ، السعودية ، 1418هـ . 1998م .

- 87 . الزناد ، الأزهر . نسيج النص . بحث فيما يكون به الملفوظ نصا ، المركز الثقافي العربي ، ط : 1 ، المغرب ، 1993م.
- 88 . زهران ، البدرابي . مقدمة في علوم اللغة ، دار العربي ، ط : 1 ، مصر ، 2008م.
- 89 . أبو الزهرة ، محمد . تاريخ الجدل ، دار الفكر العربي ، (دط) ، مصر ، (دت).
- 90 . أبو زهرة ، محمد . الخطابة ، مطبعة العلوم ، ط : 1 ، مصر ، 1353هـ . 1934م.
- 91 . أبو زهرة ، محمد . زهرة التفاسير ، دار الفكر العربي ، (دط) ، مصر ، (دت).
- 92 . زيدان ، عبد الكريم . أصول الدعوة ، (دد) ، ط : 3 ، (دب) ، 1396هـ . 1976م.
- 93 . زيدان ، عبد الكريم . الوجيز في أصول الفقه . مؤسسة الرسالة ، ط : 5 ، لبنان ، 1417هـ . 1996م.
- 94 . الزيدي ، طه أحمد . معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي ، دار النفائس ، ط : 1 ، الأردن ، 1430هـ . 2010م.
- 95 . السبعاوي ، طه عبد الله محمد . أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ، دار الكتب العلمية ، (دط) ، لبنان ، (دت).
- 96 . أبو السعود ، محمد العمادي . إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، تح : عبد القادر أحمد عطا ، مكتبة الرياض الحديثة ، (دط) ، السعودية ، (دت).
- 97 . السكاكي ، أبو يعقوب يوسف . مفتاح العلوم ، تح : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، ط : 2 ، لبنان ، 1407هـ . 1987م.

- 98 . ابن سيده ، علي ابن إسماعيل . المحكم والمحيط الأعظم ، تح : إبراهيم الأبياري ،
معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، ط : 1 ، (دب) ، 1391 هـ . 1971م .
- 99 . السيوطي ، عبد الرحمن . الإتقان في علوم القرآن ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ،
المكتبة العصرية ، (دط) ، لبنان ، 1408 هـ . 1988م .
- 100 . السيوطي ، عبد الرحمن . علم المناسبات في السور والآيات ، تح : محمد بن عمر
بن سالم بازمول ، المكتبة المكية ، ط : 1 ، السعودية ، 1423 هـ . 2002م .
- 101 . أبو شادي ، مصطفى عبد السلام . الحذف البلاغي في القرآن الكريم ، مكتبة
القرآن ، (دط) ، مصر ، (دت) .
- 102 . الشامي ، صالح أحمد . الوافي بما في الصحيحين ، دار القلم ، ط : 1 ، سورية ،
1428 هـ . 2007م .
- 103 . بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن . التفسير البياني للقرآن الكريم ، دار
المعارف ، ط : 5 ، مصر ، (دت) .
- 104 . شاهين ، عبد الصبور . تاريخ القرآن ، شركة نهضة مصر ، ط : 3 ، مصر ،
2007م .
- 105 . بن الشريف ، محمود . الأمثال في القرآن ، دار عكاظ ، ط : 2 ، السعودية ،
(دت) .
- 106 . الشنقيطي ، محمد الأمين . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، دار عالم
الفوائد ، (دط) ، مجمع الفقه الإسلامي بجدة ، السعودية ، (دت) .

- 107 . أبو شهبة ، محمد محمد . المدخل لدراسة القرآن الكريم ، دار اللواء ، ط : 3 ،
السعودية ، 1407 هـ . 1987 م .
- 108 . الشهري ، عبد الهادي بن ظافر . استراتيجيات الخطاب ، دار الكتاب الجديد
المتحدة ، ط : 1 ، ليبيا ، 2004 م .
- 109 . الشوكاني ، محمد بن علي . فتح القدير ، وزارة الشؤون الإسلامية ، (دط) ،
السعودية ، 1431 هـ . 2010 م .
- 110 . الصابوني ، محمد علي . صفوة التفاسير ، دار الضياء وقصر الكتاب ، ط :
5 ، الجزائر ، 1411 هـ . 1990 م .
- 111 . الصابوني ، محمد علي . قيس من نور القرآن الكريم . سورة البقرة وآل عمران ،
مكتبة رحاب ، ط : 2 ، الجزائر ، 1407 هـ . 1987 م .
- 112 . الصاغري ، أسعد محمد سعيد . شعب الإيمان ، دار الكلم الطيب ، ط : 2 ،
لبنان ، 1422 هـ .
- 113 . الصالح ، صبحي . مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ، ط : 6 ، لبنان ،
1972 .
- 114 . الصبيحي ، محمد الأخضر . مدخل إلى علم النص ، الدار العربية للعلوم
ناشرون ، (دط) ، لبنان ، (دت) .
- 115 . صحراوي ، مسعود . التداولية عند العلماء العرب ، دار التنوير ، ط : 1 ن
الجزائر ، 1429 هـ . 2008 م .

116. صولة ، عبد الله . الحجاج في القرآن ، دار الفاربي ، ط : 2 ، لبنان ، 2007م.
117. صولة ، عبد الله . في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، مسكيلياني للنشر ، ط : 1 ، تونس ، 2011.
118. ضيف ، شوقي . البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، ط : 9 ، مصر ، (دت).
119. ضيف ، شوقي . المدارس النحوية ، دار المعارف ، ط : 8 ، مصر ، (دت).
120. بن طاهر ، الحبيب . فقه العبادات على المذهب المالكي ، دار مكتبة المعارف ، ط : 1 ، لبنان ، 1431هـ . 2010م.
121. طبارة ، عفيف عبد الفتاح . الخطايا في نظر الإسلام ، دار العلم للملايين ، ط : 12 ، 2003.
122. طبارة ، عفيف عبد الفتاح . روح الدين الإسلامي ، دار العلم للملايين ، ط : 25 ، لبنان ، 1985م.
123. الطبال ، فاطمة بركة . النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط : 1 ، لبنان ، 1413هـ . 1993م.
124. طبانه ، بدوي . البيان العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط : 2 ، مصر ، 1377هـ . 1958م.
125. طبانة ، بدوي . معجم البلاغة العربية ، دار المنارة . جدة ، دار الراجعي ، ط : 3 ، السعودية ، 1408هـ . 1988م.

- 126 . الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن . مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار العلوم ، ط : 1 ، لبنان ، 1427 هـ . 2006 م .
- 127 . الطبري ، محمد بن جرير . جامع البيان في تأويل آي القرآن ، تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، ط : 1 ، مصر ، 1422 هـ . 2001 م .
- 128 . الطلحي ، ردة الله . دلالة السياق ، جامعة أم القرى ، ط : 1 ، السعودية ، 1424 هـ .
- 129 . طنطاوي ، محمد سيد . أدب الحوار في الإسلام ، دار نهضة مصر ، (دط) ، مصر ، 1997 م .
- 130 . الطوفي ، نجم الدين الحنبلي . علم الجدل في علم الجدل ، تح : توفهات هابريشس ، مطبعة كتابكم ، (دط) ، الأردن ، 1408 هـ . 1987 م .
- 131 . الطيار ، مساعد بن سليمان بن ناصر . التفسير اللغوي للقرآن الكريم ، دار ابن الجوزي ، ط : 1 ، السعودية ، 1422 هـ .
- 132 . ابن عادل ، أبو حفص عمر بن علي . اللباب في علوم الكتاب ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، لبنان ، 1419 هـ . 1989 م .
- 133 . عادل ، عبد اللطيف . بلاغة الإقناع في المناظرة ، دار الأمان ، ط : 1 ، المغرب ، 1413 هـ . 2013 م .
- 134 . ابن عاشور ، محمد الطاهر . التحرير والتوير ، الدار التونسية للنشر ، (دط) ، تونس ، 1984 .

- 135 . ابن عاشور ، محمد الطاهر . مقاصد الشريعة الإسلامية ، تح : محمد الطاهر الميساوي ، دار النفائس ، ط : 2 ، الأردن ، 1421 هـ . 2001 م .
- 136 . العبد ، محمد . النص والخطاب والاتصال ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، ط : 1 ، مصر ، 1426 هـ . 2005 م .
- 137 . عتر ، حسن ضياء الدين . المعجزة الخالدة ، دار البشائر الإسلامية ، ط : 3 ، لبنان ، 1415 هـ . 1994 م .
- 138 . عتر ، حسن ضياء الدين . وحي الله ، دار المكتبي ، ط : 1 ، سورية ، 1419 هـ . 1999 م .
- 139 . عتر ، نور الدين . علوم القرآن الكريم ، مطبعة الصباح ، ط : 1 ، سورية ، 1414 هـ . 1993 م .
- 140 . عتيق ، عبد العزيز . علم المعاني ، دار الآفاق العربية ، ط : 1 ، مصر ، 1427 هـ . 2006 م .
- 141 . عتيق ، عبد العزيز . في تاريخ البلاغة العربية ، دار النهضة العربية ، (دط) ، لبنان ، (دت) .
- 142 . العثمان ، محمد بن إبراهيم . أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة ، دار ابن حزم ، ط : 2 ، لبنان ، 1425 هـ ت 2004 م .
- 143 . ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله . أحكام القرآن ، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط : 3 ، لبنان ، 1424 هـ ، 2004 م .

- 144 . عروى ، محمد إقبال . دور السياق في الترجيح بين الأقاويل ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط : 1 ، الكويت ، 1428 هـ . 2007 م .
- 145 . عزام ، عبد الله . العقيدة وأثرها في بناء الجيل ، مكتبة الزهراء ، (دط) ، الجزائر ، (دت) .
- 146 . العزاوي ، أبو بكر . اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع ، ط : 1 ، المغرب ، 1426 هـ . 2006 م .
- 147 . عبد العزيز ، أمير . دراسات في علوم القرآن ، دار الشهاب ، ط : 2 ، الجزائر ، 1408 هـ . 1988 م .
- 148 . العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن حجر . العجائب في بيان الأسباب ، تح : أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمري ، دار ابن جزم ، ط : 1 ، لبنان ، 1422 هـ . 2002 .
- 149 . العسكري ، أبو هلال . جمهرة الأمثال ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد الحميد قطامش ، دار الجيل ودار الفكر ، ط : 2 ، لبنان ، 1408 هـ . 1988 م .
- 150 . العسكري ، أبو هلال . كتاب الصناعتين ، تح : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، ط : 1 ، لبنان ، 1427 هـ . 2006 م .
- 151 . عصفور ، جابر . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، ط : 3 ، لبنان ، 1992 .

- 152 . ابن عطية ، عبد الحق بن غالب . المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز ،
تح : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، لبنان ، 1422 هـ .
2001 م .
- 153 . عفيفي ، أحمد . نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق ،
ط : 1 ، مصر ، 2001 .
- 154 . العك ، خالد عبد الرحمن . أصول التفسير وقواعده ، دار النفائس ، ط : 2 ،
لبنان ، 1406 هـ . 1986 م .
- 155 . عكاشة ، محمود . علم اللغة مدخل نظري في اللغة العربية ، دار النشر
للجامعات ، ط : 1 ، مصر ، 2006 م .
- 156 . عكاوي ، إنعام فوال . المعجم المفصل لعلوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ، ط : 2 ،
لبنان ، 1417 هـ . 1996 م .
- 157 . علي ، سعيد إسماعيل . الحوار منهجا وثقافة ، دار السلام ، ط : 1 ، مصر ،
1429 هـ . 2008 م .
- 158 . علوان ، عبد الله ، وآخرون . إعراب القرآن ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، (دط) ،
مصر ، 1427 هـ . 2006 م .
- 159 . عمر ، أحمد مختار . البحث اللغوي عند العرب ، عالم الكتب ، ط : 6 ، مصر ،
1988 م .

160 . العمري ، محمد . في بلاغة الخطاب الإقناعي ، دار إفريقيا الشرق ، ط : 3 ، لبنان ، 2002م.

161 . العموش ، خلود . الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق . مثل من سورة البقرة ، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي ، ط : 1 ، الأردن ، 1429 هـ . 2008م.

162 . العوفي ، عيسى سعد وعبد الرحمن علوي . القاموس العربي الأول لمصطلحات علوم التفكير ، دار دييونو، ط : 1 ، الأردن ، 2010م.

163 . عياض ، القاضي أبو الفضل بن موسى اليحصبي. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تح : عبدة علي كوشات ، وحدة البحوث والدراسات ، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، ط : 1 ، الإمارات ، 1434 هـ . 2013م.

164 . الغزالي ، عبد القادر . اللسانيات ونظرية التواصل ، دار الحوار ، ط : 1 ، سوريا ، 2003م.

165 . الغزالي ، محمد . خلق المسلم ، دار رحاب ، ط : 4 ، الجزائر ، 2001م.

166 . الغلاييني ، مصطفى . جامع الدروس العربية ، دار ابن الجوزي ، ط : 1 ، مصر ، 2010م.

167 . ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن زكريا . الصحابي في فقه اللغة العربية ، تح : أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، لبنان ، 1418 هـ ، 1997م.

- 168 . ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن زكريا . معجم مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، (دط) ، (دب) ، 1933 هـ . 1973 م.
- 169 . فتحي ، إبراهيم . معجم المصطلحات الأدبية ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، (دط) ، تونس ، 1986 .
- 170 . الفرياني ، جعفر بن محمد . كتاب فضائل القرآن ، تح : يوسف عثمان فضل الله جبريل ، مكتبة الرشد ، ط : 1 ، السعودية ، 1409 هـ . 1989 م.
- 171 . فضل ، صلاح . مناهج النقد المعاصر ، أفريقيا الشرق ، (دط) ، لبنان ، 2002 م.
- 172 . الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب . القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، ط : 8 ، لبنان ، 1426 هـ . 2005 م.
- 173 . قاسم ، جمال إبراهيم . البلاغة الميسرة ، دار ابن الجوزي ، ط : 1 ، مصر ، 2012 م.
- 174 . القاسمي ، محمد جمال الدين . محاسن التأويل ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط : 1 ، مصر ، 1376 هـ . 1957 م.
- 175 . القحطاني ، سعيد بن علي بن وهف . الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، (دد) ، ط : 2 ، (دب) ، 1413 هـ . 1992 م.
- 176 . القرضاوي ، يوسف . الإيمان والحياة ، دار الشهاب ، (دط) ، الجزائر ، (دت).
- 177 . القرضاوي ، يوسف . المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ط : 3 ، مصر ، 1422 هـ . 2001 م.

- 178 . القرطبي ، محمد بن أحمد الأنصاري . الجامع لأحكام القرآن ، دار الشروق ،
(دط) ، لبنان ، (د ت).
- 179 . القزويني ، الخطيب . الإيضاح في علوم البلاغة ، تح : بهيج غزوي ، دار إحياء
العلوم ، ط : 1 ، لبنان ، 1408 هـ . 1988 م.
- 180 . القطان ، مناع . مباحث في علوم القرآن ، مكتبة وهبة ، ط : 6 ، مصر ، (د ت).
- 181 . قطب ، سيد . التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، ط : 3 ، لبنان ،
1403 هـ . 1983 م.
- 182 . قطب ، سيد . التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، ط : 16 ، مصر ،
1423 هـ . 2002 م.
- 183 . قطب ، سيد . في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، ط : 5 ، لبنان ،
1286 هـ . 1967 م.
- 184 . قطب ، سيد . في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط : 32 ، لبنان ، 1423 هـ .
2003 م.
- 185 . قطب ، محمد . دراسات قرآنية ، دار الشروق ، ط : 3 ، لبنان ، 1402 هـ .
1982 م.
- 186 . قطب ، محمد . ركائز الإيمان ، دار الشروق ، ط : 1 ، مصر ، 1422 هـ ،
2001 م.

- 187 . قطبي ، الطاهر . بحوث في اللغة . الاستفهام البلاغي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، (د ط) ، الجزائر ، 1992م.
- 188 . قلعة جي ، محمد رؤاس . لغة القرآن لغة العرب المختارة ، دار النفائس ، ط : 1 ، لبنان ، 1408 هـ . 1988م.
- 189 . الفتوجي ، صديق بن حسن خان . فتح البيان في مقاصد القرآن ، المكتبة العصرية ، (د ط) ، لبنان ، 1412 هـ . 1992 م.
- 190 . قياس ، ليندة . لسانيات للنص النظرية والتطبيق ، مكتبة الآداب ، ط : 1 ، مصر ، 1430 هـ . 2009م.
- 191 . ابن القيم ، محمد بن أبي بكر . بدائع الفوائد ، تح : علي بن محمد العمران ، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار عالم الفوائد ، (د ط) ، السعودية (د ت) .
- 192 . ابن القيم ، شمس الدين محمد بن أبي بكر . التفسير القيم ، تح : رضوان جامع رضوان ، دار ابن الهيثم ، ط : 1 ، مصر ، 1426 هـ . 2005م.
- 193 . ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الزرعي . الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، دار الكتب العلمية ، (د ط) ، لبنان ، (د ت) .
- 194 . الكتاني ، محمد . ثقافة الحوار في الإسلام ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط : 1 ، المغرب ، 1428 هـ . 2007م.
- 195 . ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، تح : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، لبنان ، 1419 هـ . 1998م.

- 196 . عبد الكريم ، أشرف عبد البديع . الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن ، مكتبة الآداب ، (دط) ، مصر ، 2008م.
- 197 . لاشين ، عبد الفتاح . صفاء الكلمة ، دار المريخ ، (دط) ، السعودية ، 1403هـ . 1983م.
- 198 . اللبدي ، محمد سمير نجيب . معجم المصطلحات النحوية والعرفية ، مؤسسة الرسالة ، قصر الكتاب ، دار الثقافة بالجزائر ، (دط) ، الجزائر ، (د ت).
- 199 . بن مالك ، رشيد . قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص ، دار الحكمة ، (دط) ، الجزائر ، 2000م.
- 200 . مبارك ، مبارك . معجم المصطلحات الألسنية ، دار الفكر اللبناني ، ط : 1 ، لبنان ، 1995.
- 201 . المتوكل ، أحمد . اللسانيات الوظيفية المقارنة ، دار الإيمان ، ط : 1 ، المغرب ، 1433هـ . 2012م.
- 202 . المتوكل ، أحمد . المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ، دار الإيمان ، ط : 1 ، المغرب ، 1427 هـ . 2006م.
- 203 . مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، مطبعة المصحف الشريف ، ط : 3 ، مصر ، 1413 هـ . 1992 م.
- 204 . مجمع اللغة العربية بمصر . المعجم الوجيز ، مطابع الدار الهندسية ، ط : 1 ، مصر ، 1400 هـ . 1980م.

- 205 . مجمع اللغة العربية بمصر . المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، ط : 4 ، مصر ، 1425 هـ . 2004 م .
- 206 . عبد المجيد ، جميل . البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (دط) ، مصر ، 1998 م .
- 207 . محمد ، عزة شبل . علم لغة النص . النظرية والتطبيق ، مطبعة الآداب ، ط : 2 ، مصر ، 1430 هـ . 2009 م .
- 208 . محمود ، علي عبد الحليم . فقه الدعوة إلى الله ، دار الوفاء ، ط : 2 ، (دب) ، 1411 هـ . 1990 م .
- 209 . المراغي ، أحمد مصطفى . علوم البلاغة ، دار القلم ، (دط) ، لبنان ، (دت) .
- 210 . المسدي ، عبد السلام . الأسلوبية والأسلوب ، دار سعاد الصبّاح ، ط : 4 ، الكويت ، 1993 م .
- 211 . مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري . الجامع الصحيح ، دlr الفكر ، (دط) ، لبنان ، (دت) .
- 212 . مصطفى ، معتصم بابكر . من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، كتاب الأمة ، ع : 95 ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط : 1 ، دولة قطر ، 1424 هـ . 2003 م .
- 213 . المطعني ، عبد العظيم . خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، مكتبة وهبة ، ط : 1 ، مصر ، 1413 هـ . 1992 م .

214 . معلوف ، لويس . المنجد في اللغة ، المطبعة الكاثوليكية ، ط : 19 ، لبنان ،
(دت).

215 . مكرم ، عبد العال سالم . القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، المكتبة الأزهرية
للتراث ، (د ط) ، مصر ، 2006م.

216 . المعاني ، أبو البراء أسامة بن ياسين . الصواعق المرسله في التصدي للمشعوذين
والسحرة ، دار المعالي ، ط : 1 ، الأردن ، 1421 هـ . 2000م.

217 . ابن منظور ، محمد بن مكرم . لسان العرب ، دار المعارف ، (د ط) ، مصر ،
(دت).

218 . عبد المنعم ، محمود عبد الرحمن . معجم المصطلحات والتعريفات الفقهية ، دار
الفضيلة ، (د ط) ، (د ت) .

219 . الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة . العقيدة الإسلامية وأسسها ، دار القلم ، ط :
2 ، سورية ، 1399 هـ . 1979م.

220 . الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة . البلاغة العربية ، دار القلم ، سورية ،
1416 هـ . 1996م.

221 . الميداني ، عبد الرحمن حبنكة . ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، دار
القلم ، ط : 4 ، سورية ، 1414 هـ . 1993 م.

222 . ناعوس ، بن يحيى طاهر . تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص ، دار
القدس العربي ، (د ط) ، الجزائر ، (د ت) .

- 223 . نحلة ، محمود أحمد . آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، (دط) ، مصر ، 2002م.
- 224 . نصّار ، نواف . المعجم الأدبي ، دار ورد ، ط : 1 ، الأردن ، 2007م.
- 225 . نعيم ، أنطوان وحيد . فن الخطابة والإلقاء ، دار الكتاب العربي ، (دط) ، لبنان ، 2010م.
- 216 . النفيسة ، عبد الرحمن بن حسن . التفسير المبين ، الدار التدمرية ، (دط) ، السعودية ، 1429هـ.
- 227 . النملة ، عبد الكريم بن علي بن محمد .. الشامل في حدود وتعريفات مصطلحات أصول الفقه ، مكتبة الرشد ، ط : 1 ، السعودية ، 1430هـ . 2009م.
- 228 . عبد النور ، جبور . المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، ط : 2 ، بيروت 1984.
- 229 . النووي ، يحيى بن شرف الدين . رياض الصالحين ، دار إحياء التراث العربي ، (دط) ، لبنان ، 1403هـ . 1983م.
- 230 . الهرري ، أحمد بن أحمد . الغريبين في القرآن والحديث ، تح : أحمد فريد الزبيدي ، المكتبة العصرية ، ط : 1 ، لبنان ، 1419هـ . 1999م.
- 231 . الهرري ، محمد الأمين . حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، مر : هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، دار طوق النجاة ، ط : 1 ، لبنان ، 1421هـ . 2001م.

- 232 . هلال ، عبد الغفار حامد . القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث ، دار الفكر ، العربي ، ط : 2 ، مصر ، 1425 هـ . 2004م .
- 233 . الواحدى ، أبو الحسن علي بن أحمد . أسباب نزول القرآن ، تح : كمال بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، لبنان ، 1411 هـ . 1991م .
- 234 . الولى ، محمد . الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ، المركز الثقافي العربي ، ط : 1 ن لبنان ، 1990 م .
- 235 . وهبة ، مجدي وكامل المهندس . معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، ط : 2 ، لبنان ، 1984م .
- 236 . ياسين ، خليل . أضواء على متشابهات القرآن ، دار مكتبة الهلال ، (دط) ، لبنان ، (دت) .
- 237 . ابن يعيش ، موفق بن علي . شرح المفصل ، تح : أحمد السيد احمد ، المكتبة التوفيقية ، (دط) ، مصر ، (دت) .
- 238 . يوسف ، جمعة سيد . سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، ع : 145 ، الكويت ، يناير 1990 .
- 239 . يوسف ، عبد الكريم محمود . أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ، مكتبة الغزالي ، ط : 1 ، سوريا ، 1421 هـ . 2000 م
- الكتب المترجمة :

- 240 . برينكر ، كلاوس . التحليل اللغوي للنصوص ، تر : سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار ، ط : 1 ، مصر ، 1425 هـ . 2005 م.
- 241 . جاكوبسون ، رومان ، وآخرون . التواصل نظريات ومقاربات ، تر : عز الدين الخطابي وزهور الحوتي ، منشورات عالم التربية ، ط : 1 ، المغرب ، 1428 هـ . 2007 م.
- 242 . دراز ، محمد عبد الله . مدخل إلى القرآن الكريم ، تر : محمد عبد العظيم علي ، دار القلم ، (د ط) ، الكويت ، 1404 هـ . 1984 م.
- 243 . دي بوغراند ، روبيوت . النص والخطاب والإجراء ، تر : تمام حسان ، عالم الكتب ، ط : 1 ، مصر ، 1418 هـ . 1998 م.
- 244 . دي بو جراند ، روبيرت . النص والخطاب والإجراء ، تر : تمام حسان ، عالم الكتب ، ط : 2 ، مصر ، 1428 هـ . 2007 م.
- 245 . دي بوغراند ، روبيرت ولفغانغ دريسلر . بالاشتراك مع : إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد ، مدخل إلى علم لغة النص ، مطبعة دار الكاتب ، ط : 1 ، (دب) ، 1413 هـ . 1993 م.
- 246 . ديكرو ، أوزوالد ، وجان ماري سشايفر . القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، تر : منذر عياشي ، المركز الثقافي العربي ، ط : 3 ، المغرب ، 2007 .
- 247 . سشايفر ، جان ماري . النص ، ضمن كتاب : العلاماتية وعلم النص ، تر : منذر عياشي ، المركز الثقافي العربي ، ط : 1 ، المغرب ، 2006 .

248 . شارودو ، باتريك ، ودومينيك منغنو . معجم تحليل الخطاب ، تر : عبد القادر المهيري وحمّادي صمّود ، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة ، (دط) ، تونس ، 2008م.

249 . فان دايك ، تون أ . علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، تر : سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة للكتاب ، ط : 1 ، مصر ، 1421هـ . 2001م.

250 . مانغونو ، دومنيك . المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، تر : محمد يحياتن ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط : 1 ، لبنان ، 1428هـ . 2008م.

251 . موشر ، جاك ، وأن ريبول . القاموس الموسوعي للتداولية ، تر : مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب ومراجعة خالد الميلاد ، دار سيناترا ، ط : 2 ، تونس ، 2010م.

252 . واورزنيك ، زتسيسلاف . مدخل إلى علم النص ، تر : سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار ، ط : 1 ، مصر ، 1424هـ . 2003م.

المجلات والدوريات:

253 . بحيري ، سعيد حسن . اتجاهات لغوية معاصرة ، مجلة علامات للنقد ، ج : 38 ، م : 10 ، السعودية ، رمضان 1421هـ . ديسمبر 2000م.

254 . البستاني ، بشرى حمدي ووسن عبد الغني المختار . في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم دراسة نظرية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، العراق ، م : 11 ، ع : 1 ، 2011.

- 255 . بنكراد ، سعيد . استراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإيماءة ، مجلة علامات ، المغرب ، (دت) ، ع : 21.
- 256 . بودرع ، عبد الرحمن . في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم ، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية ، كرسي القرآن وعلومه ، جامعة الملك سعود ، السعودية ، 1434هـ . 2013م.
- 257 . بوراس ، سليمان . مفهوم الاتساق والانسجام وأشكالهما ، مجلة دراسات أدبية ، ع : 4 ، الجزائر ، نوفمبر 2009م ، ذو الحجة 1430هـ.
- 258 . الجراح ، عبد المهدي وخالد الهزيمة . عوامل تشكيل الأبعاد الإبلغية النصية في قصيدة «يا شعر» للشابي ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب ، م : 4 ، ع : 1 ، 1428هـ / 2007م ، جمعية كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية ، كلية الآداب ، جامعة اليرموك ، إربد ، الأردن .
- 259 . حوشي ، عائدة . الإبلغية بين اللسانيات والسيما ، مجلة التبيين ، الجاحظية ، ع : 24 ، الجزائر ، 2005.
- 260 . رحيم ، عبد القادر . العنوان في النص الإبداعي أهميته وأنواعه ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر . بسكرة ، العددان : الثاني والثالث ، جانفي . جوان 2008.
- 261 . الرقبي ، رضوان . الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله ، عالم الفكر ، ع : 2 ، م : 40 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، أكتوبر . ديسمبر 2011م.

262 . الشريجي ، محمد يوسف . أثر العربية في ثقافة المسلمين ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، م : 86.

263 . صدار ، نور الدين . سيميائيات التواصل الفني بحث في إشكالات المقصدية ، مجلة أيقونات ، ع : 3 ، رابطة (سيما) للبحوث السيميائية . سيدي بلعباس ، الجزائر ، 2011م.

264 . فايزة ، بن أحمد عالم . الحجاج في اللسانيات التداولية دراسة لنماذج من القرآن الكريم ، مجلة الكلمة ، السنة التاسعة عشر ، 1433هـ . 2012 م ، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث ، لبنان ، ع : 75.

265 . عامر ، مجيد مطشر . نظرية النص في البحث اللساني الحديث ، مجلة آداب ذي قار ، ع : 1 ، م : 5 ، العراق ، حزيران 2009.

266 . العامري ، خليل خلف بشر . السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني ، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، م : 9 ، ج : 2 ، 2010.

267 . الولي ، محمد . مدخل إلى الحجاج . عالم الفكر ، ع : 2 ، م : 40 ، المجلس الوطني للثقافة والفتوى والآداب ، الكويت ، أكتوبر ، ديسمبر 2011.

الرسائل الجامعية :

268 . بلعش ، اليزيد . الجمل التي لا محل لها من الإعراب ووظائفها الإبلاغية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، إشراف الدكتور: لخضر بلخير ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية

الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحاج لخضر . باتنة ، الجزائر ، السنة الجامعية 2006 /
2007 م . 1427 / 1428 هـ .

269 . مسكين ، حسنية . شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر ، رسالة دكتوراه في
الأدب الحديث والمعاصر ، جامعة وهران . السانبا ، كلية الآداب واللغات والفنون ، قسم
اللغة العربية وآدابها الجزائر ، بإشراف الدكتور داود محمد ، السنة الجامعية : 2013 .
2014.

270 . الوقفي ، نادر عبد الرحمان . الإبلابية في الشاهد البلاغي ، رسالة مقدمة استكمالاً
لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الأدب العربي ، إشراف الدكتور : زهير
منصور ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة مؤتة ، 2007.

المواقع الإلكترونية :

271 . حمداوي، جميل. السيميوطيقا والعنونة ، موقع:
<http://www.arabrenewal.info>. بتاريخ : الخميس 27 يناير 2001 ، الساعة : 05 .
01.

272 . موقع نيل وفرات كوم : [http:// www.neelwafurat.com/book conte](http://www.neelwafurat.com/book conte)
.NTS.aspw?id1319689

273 . موقع المركز الوطني للمعلومات ، رئاسة الجمهورية ، اليمن :

<http://www.ymen.n.c.info/contents/studies/detqil.php?id:16687>.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

| الصفحة | الموضوع |
|---------------|--|
| أ.ب.ج.د.ه.و.ز | مقدمة |
| 1 | تمهيد : القرآن الكريم رسالة دينية ولغوية |
| 2 | تمهيد |
| 2 | 1 . القرآن الكريم رسالة دينية |
| 2 | 1 . 1 . التعريف بسورة البقرة |
| 5 | 1 . 2 . مقاصد القرآن الكريم في سورة البقرة |
| 5 | 1 . 2 . 1 . مقصد العقيدة |
| 6 | 1 . 2 . 2 . مقصد العبادات |
| 6 | 1 . 2 . 3 . مقصد المعاملات |
| 6 | 1 . 3 . 2 . 1 . الأسرة |
| 7 | 1 . 3 . 2 . 2 . المحرمات |
| 7 | 1 . 3 . 3 . القضاء والأموال والعلاقات الخارجية |
| 7 | 1 . 4 . 2 . 1 . مقصد الأخلاق |
| 8 | 1 . 5 . 2 . 1 . مقصد القصص |
| 10 | 2 . القرآن الكريم رسالة لغوية |

| | |
|----|--|
| 12 | 2 . 1 . لغة القرآن الكريم ومميزاتها |
| 26 | 2 . 2 . العلوم اللغوية التي نشأت بسبب القرآن |
| 31 | 2 . 3 . أثر القرآن الكريم في اللغة العربية |
| 35 | الفصل الأول : إبلاغية الخطاب القرآني ولسانيات النص |
| 36 | تمهيد |
| 37 | 1 . الوظائف اللغوية في القرآن الكريم |
| 37 | 1 . 1 . الوظائف اللغوية |
| 37 | 1 . 1 . 1 . تعريف الوظيفة لغة |
| 39 | 1 . 1 . 2 . تعريف الوظيفة في اصطلاح اللسانيين |
| 43 | 1 . 2 . الوظائف اللغوية في الخطاب القرآني |
| 44 | 1 . وظائف جاكبسون |
| 45 | 1 . 1 . الوظيفة الشعرية |
| 46 | 1 . 2 . الوظيفة المرجعية |
| 47 | 1 . 3 . وظيفة ما وراء اللغة |
| 49 | 1 . 4 . وظيفة إقامة الاتصال |
| 50 | 1 . 5 . الوظيفة الندائية |
| 51 | 1 . 6 . الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية |

| | |
|----|--|
| 53 | 2 . وظائف بوهلر |
| 55 | 3 . وظائف هاليداي |
| 59 | 4 . وظائف براون ويول |
| 60 | 5 . وظائف برينكر |
| 64 | 1 . 3 . الوظيفة الإبلاغية في القرآن الكريم |
| 64 | 1 . 3 . 1 . مفهوم الإبلاغ في اللغة |
| 65 | 1 . 3 . 2 . مفهوم الإبلاغ في القرآن الكريم |
| 70 | 1 . 3 . 3 . الوظيفة الإبلاغية في الدراسات اللسانية |
| 75 | 2 . التحليل النصي للخطاب |
| 75 | 2 . 1 . مفهوم النص والخطاب |
| 75 | 2 . 1 . 1 . مفهوم النص |
| 75 | 2 . 1 . 1 . 1 . مفهوم النص لغة |
| 76 | 2 . 1 . 1 . 2 . مفهوم النص في الاصطلاح |
| 78 | 2 . 1 . 2 . مفهوم الخطاب |
| 79 | 2 . 1 . 2 . 1 . مفهوم الخطاب لغة |
| 79 | 2 . 1 . 2 . 2 . مفهوم الخطاب في الاصطلاح |
| 80 | 2 . 2 . علاقة النص بالخطاب |

| | |
|-----|--|
| 81 | 2 . 3 . المعايير النصية للخطاب القرآني |
| 83 | 1 . المعيار الأول الاتساق |
| 84 | 2 . المعيار الثاني الانسجام |
| 85 | 3 . المعيار الثالث القصدية |
| 86 | 4 . المعيار الرابع الموقفية أو المقامية. |
| 87 | 5 . المعيار الخامس المقبولية |
| 88 | 6 . المعيار السادس الإخبارية |
| 88 | 7 . المعيار السابع التناسق |
| 89 | 3 . إبلاغية الخطاب والتواصل اللغوي |
| 89 | 3 . 1 . مفهوم التواصل اللغوي |
| 93 | 3 . 2 . التواصل اللغوي وتحليل الخطاب |
| 98 | 3 . 3 . التواصل اللغوي والخطاب الإبلاغي في القرآن الكريم |
| 100 | الفصل الثاني : عناصر الوظيفة الإبلاغية في سورة البقرة |
| 101 | تمهيد |
| 101 | 1 . أنواع الخطاب الإبلاغي في سورة البقرة |
| 101 | 1 . 1 . الخطاب الإبلاغي المباشر |
| 102 | 1 . 1 . الأمر |

| | |
|-----|---|
| 102 | 1. 1. 1 . تعريف الأمر |
| 102 | 2. 1. 1 . صيغ الأمر |
| 103 | 3. 1. 1 . معاني صيغ الأمر |
| 103 | 4. 1. 1 . تركيب الأمر |
| 104 | 5. 1. 1 . إبلاغية خطاب الأمر في سورة البقرة |
| 108 | 2. 1 . النهي |
| 108 | 1. 2. 1 . تعريف النهي |
| 109 | 2. 2. 1 . معاني النهي |
| 109 | 3. 2. 1 . تركيب النهي |
| 109 | 4. 2. 1 . إبلاغية النهي في سورة البقرة |
| 111 | 3. 1 . الاستفهام |
| 111 | 1. 3. 1 . تعريف الاستفهام |
| 112 | 2. 3. 1 . معاني أدوات الاستفهام |
| 112 | 3. 3. 1 . إبلاغية الاستفهام في سورة البقرة |
| 115 | 4. 1 . النداء |
| 115 | 1. 4. 1 . تعريف النداء |
| 115 | 2. 4. 1 . أغراض النداء |

| | |
|-----|--|
| 116 | 3 . 4 . 1 . حذف أداة النداء |
| 116 | 4 . 4 . 1 . استعمال « يأيها » في القرآن الكريم |
| 117 | 5 . 4 . 1 . إبلاغية النداء في سورة البقرة |
| 118 | 2 . 1 . الخطاب الإبلاغي غير المباشر |
| 119 | 1 . 2 . 1 . الخبر |
| 119 | 1 . 1 . 2 . 1 . أضرب الخبر |
| 121 | 2 . 1 . 2 . 1 . أغراض الخبر |
| 122 | 3 . 1 . 2 . 1 . إبلاغية الخبر في سورة البقرة |
| 122 | أ . الخبر المثبت |
| 124 | ب . الخبر المنفي |
| 126 | ج . الخبر المؤكد |
| 129 | 4 . 1 . 2 . 1 . الإبلاغية في أنواع أخرى للخبر |
| 129 | أ . الخبر المتضمن الأمر |
| 131 | ب . الخبر المتضمن النهي |
| 133 | ج . الخبر المتضمن الشرط |
| 135 | 2 . 2 . المثل |
| 135 | 1 . 2 . 2 . تعريف المثل |

- 136 . 2 . 2 . 2 . إبلاغية المثل في سورة البقرة
- 138 . 3 . 2 . القصة
- 138 . 1 . 3 . 2 . تعريف القصة
- 139 . 2 . 3 . 2 . إبلاغية القصة القرآنية في سورة البقرة
- 141 . 2 . الإبلاغية في خطاب المتقين
- 142 . 1 . 2 . الإبلاغية في خطاب الأنبياء
- 142 . 1 . 1 . 2 . الإبلاغية في خطاب النبي محمد . صلى الله عليه وسلم
- 147 . 2 . 1 . 2 . الإبلاغية في خطاب آدم عليه السلام
- 149 . 3 . 1 . 2 . الإبلاغية في خطاب إبراهيم عليه السلام
- 151 . 4 . 1 . 2 . الإبلاغية في خطاب موسى عليه السلام
- 154 . 2 . 2 . الإبلاغية في خطاب غير الأنبياء
- 154 . 1 . 2 . 2 . الإبلاغية في خطاب عموم الناس
- 157 . 2 . 2 . 2 . الإبلاغية في خطاب المؤمنين
- 160 . 3 . 2 . 2 . الإبلاغية في خطاب أهل الكتاب (بني إسرائيل)
- 163 . 4 . 2 . 2 . الإبلاغية في خطاب أولى الألباب
- 166 . 3 . إبلاغية السياق في سورة البقرة
- 166 . 1 . 3 . تعريف السياق لغة

| | |
|-----|--|
| 167 | 2.3 . تعريف السياق اصطلاحا |
| 169 | 3.3 . أنواع السياق |
| 173 | 4.3 . إبلاغية السياق التاريخي |
| 177 | 5.3 . إبلاغية السياق الثقافي |
| 177 | 3.5.1 . تعريف السحر |
| 178 | 3.5.2 . أنواع السحر |
| 179 | 3.5.3 . حكم تعلم السحر والعمل به |
| 181 | 6.3 . إبلاغية السياق الاجتماعي |
| 184 | 7.3 . إبلاغية السياق اللغوي |
| 184 | 7.3.1 . سياق المناسبة |
| 187 | 7.3.2 . السياق المعجمي |
| 189 | 7.3.3 . السياق النحوي |
| 194 | الفصل الثالث : إبلاغية الإقناع والتأثير في سورة البقرة |
| 195 | تمهيد |
| 195 | 1 . تعريف الإقناع والتأثير |
| 195 | 1.1 . تعريف الإقناع والتأثير لغة |
| 195 | 1.1.1 . تعريف الإقناع لغة |

| | |
|-----|---|
| 196 | 2. 1. 1. 1 . تعريف التأثير لغة |
| 196 | 2. 1 . تعريف الإقناع والتأثير اصطلاحا |
| 199 | 2 . وسائل الإقناع والتأثير |
| 201 | 2 . 1 . الحجاج |
| 201 | 2 . 1 . 1 . تعريف الحجاج لغة |
| 202 | 2 . 1 . 2 . تعريف الحجاج اصطلاحا |
| 205 | 2 . 1 . 3 . المناظرة |
| 206 | 2 . 1 . 4 . تلخيص |
| 207 | 2 . 1 . 5 . الجدل |
| 209 | 2 . 1 . 6 . تلخيص |
| 210 | 2 . 1 . 7 . الفرق بين المصطلحات الثلاثة |
| 210 | 2 . 1 . 8 . إبلاغية الحجاج في سورة البقرة |
| 211 | 2 . 1 . 8 . 1 . الأدوات اللغوية |
| 211 | 2 . 1 . 8 . 1 . 1 . ألفاظ التعليل |
| 219 | 2 . 1 . 8 . 1 . 2 . أفعال اللغة |
| 223 | 2 . 8 . 1 . 2 . الأدوات البلاغية |
| 223 | 2 . 8 . 1 . 2 . 1 . الاستعارة |

| | |
|-----|---|
| 227 | 2 . 1 . 8 . 2 . التمثيل |
| 233 | 2 . 1 . 8 . 3 . السلام الحجاجية |
| 240 | 2 . 2 . الحوار |
| 240 | 2 . 2 . 1 . الحوار لغة |
| 241 | 2 . 2 . 2 . الحوار اصطلاحا |
| 243 | 2 . 2 . 3 . إبلاغية الحوار في سورة البقرة |
| 251 | 2 . 3 . الترغيب والترهيب |
| 251 | 2 . 3 . 1 . الترغيب |
| 251 | 2 . 3 . 1 . 1 . الترغيب لغة |
| 252 | 2 . 3 . 1 . 2 . الترغيب اصطلاحا |
| 253 | 2 . 3 . 2 . الترهيب |
| 253 | 2 . 3 . 1 . 2 . الترهيب لغة |
| 253 | 2 . 3 . 2 . 2 . الترهيب اصطلاحا |
| 254 | 2 . 3 . 4 . أسس فكرة الترغيب والترهيب |
| 255 | 2 . 3 . 5 . أقسام الترغيب والترهيب |
| 255 | 1 . الترغيب المادي |
| 256 | 2 . الترغيب المعنوي |

| | |
|-----|---|
| 256 | 3 . الترهيب المادي |
| 257 | 4 . الترهيب المعنوي |
| 257 | 2 . 3 . 6 . إبلاغية الترغيب والترهيب في سورة البقرة |
| 257 | 2 . 3 . 6 . 1 . إبلاغية الترغيب المعنوي |
| 257 | 2 . 3 . 6 . 1 . 1 . الترغيب المعنوي في الدنيا |
| 258 | 2 . 3 . 6 . 1 . 2 . الترغيب المعنوي في الآخرة |
| 259 | 2 . 3 . 6 . 2 . إبلاغية الترغيب المادي |
| 259 | 2 . 3 . 6 . 2 . 1 . الترغيب المادي في الدنيا |
| 260 | 2 . 3 . 6 . 2 . 2 . الترغيب المادي في الآخرة |
| 262 | 2 . 3 . 6 . 3 . إبلاغية الترهيب المعنوي |
| 262 | 2 . 3 . 6 . 1 . الترهيب المعنوي في الدنيا |
| 264 | 2 . 3 . 6 . 2 . الترهيب المعنوي في الآخرة |
| 265 | 2 . 3 . 6 . 4 . إبلاغية الترهيب المادي |
| 265 | 2 . 3 . 6 . 1 . 4 . الترهيب المادي في الدنيا |
| 266 | 2 . 3 . 6 . 2 . 4 . الترهيب المادي في الآخرة |
| 269 | الفصل الرابع : إبلاغية الاتساق والانسجام في سورة البقرة |
| 270 | تمهيد |

| | |
|-----|---|
| 270 | 1 . إبلاغية الاتساق في سورة البقرة |
| 270 | 1 . 1 . تعريف الاتساق |
| 270 | 1 . 1 . 1 . تعريف الاتساق لغة |
| 271 | 1 . 1 . 2 . تعريف الاتساق اصطلاحا |
| 273 | 2 . 1 . إبلاغية أدوات الاتساق في سورة البقرة |
| 273 | 1 . 2 . 1 . إبلاغية الإحالة في سورة البقرة |
| 279 | 2 . 2 . 1 . إبلاغية الاستبدال في سورة البقرة |
| 284 | 3 . 2 . 1 . إبلاغية الحذف في سورة البقرة |
| 289 | 4 . 2 . 1 . إبلاغية الوصل في سورة البقرة |
| 295 | 5 . 2 . 1 . إبلاغية التكرار في سورة البقرة |
| 299 | 6 . 2 . 1 . إبلاغية التضام في سورة البقرة |
| 302 | 2 إبلاغية الانسجام في سورة البقرة |
| 302 | 1 . 2 . تعريف الانسجام |
| 302 | 1 . 1 . 2 . تعريف الانسجام لغة |
| 302 | 2 . 1 . 2 . تعريف الانسجام اصطلاحا |
| 305 | 2 . 2 . إبلاغية أدوات الانسجام في سورة البقرة |
| 305 | 1 . 2 . 2 . اسم السورة (عنوانها) |

| | |
|-----|--|
| 313 | . 2 . 2 . 2 . إبلاغية الموضوع |
| 314 | . 1 . 2 . 2 . 2 . الموضوع المحوري |
| 139 | . 2 . 2 . 2 . 2 . الموضوعات الفرعية |
| 324 | . 3 . 2 . 2 . العلاقات الداخلية والخارجية |
| 324 | . 1 . 3 . 2 . 2 . العلاقات الداخلية |
| 329 | . 2 . 3 . 2 . 2 . العلاقات الخارجية |
| 331 | . 1 . 2 . 3 . 2 . 2 . التناسل بين سورتي البقرة والبقرة |
| 333 | . 2 . 2 . 3 . 2 . 2 . التناسل بين سورة البقرة وسورة آل عمران |
| 334 | . 3 . 2 . 3 . 2 . 2 . التناسل بين سورتي البقرة والنساء |
| 335 | . 4 . 2 . 3 . 2 . 2 . التناسل بين سورتي البقرة والأنعام |
| 336 | . 5 . 2 . 3 . 2 . 2 . التناسل بين سورتي البقرة والأعراف |
| 337 | . 6 . 2 . 3 . 2 . 2 . التناسل بين سورة البقرة والسور الأخرى |
| 339 | خاتمة |
| 344 | المصادر والمراجع |
| 377 | فهرس الموضوعات |